وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا

علماءُ وحكماءُ من الغربِ أنصفوا الإسلامَ

ردودٌ على حملاتِ تشويهِ صورتهِ فى أوروبا وأمريكا



الحسينى الحسينى معدى

دار الكتاب العربي
دمشق - القاهرة

علماء وحكماء من

الغرب انصفوا الإسلام

اسم الكتاب : علماء وحكماء من الغرب أنصفو الإسلام

اسم المؤلف : الحسينى الحسينى معدِّى

المراجعة اللغوية والتدقيق : طه عبدالرؤوف سعد

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية : ٢٠٠٦/٢٣٦٧٦

الترقيم الدولى : I.S.B.N. 977 - 376 - 244 - 0

تطلب كافة منشوراتنا :

حلب : دار الكتاب العربى ـ الجميلية أمام مسرح نقابة الفنانين ـ ت: ٢٢٥٦٨٧٠

دمشق : مكتبة رياض العلبى ـ خلف البريد ـ ت : ٢٢٣٦٧٢٨

مكتبة النورى ـ أمام البريد ت : ٢٢١٠٣١٤

مكتبة عالم المعرفة ـ جسر فيكتوريا ت : ٢٢٢٨٢٢٢

مكتبه الفتال ـ فرع أول ـ ت: ٢٤٥٦٧٨٦

فرع ثانى ـ ت : ٢٢٢٢٣٧٣

الطبعة الأولى

٢٠٠٧

دار الكتاب العربى

دمشق ـ القاهرة

E-mail:darkitab2003@yahoo.com

سوريا ـ دمشق ـ الحجاز ـ شارع مسلم البارودى هاتف: ٢٢٣٥٤٠١ ص. ب ٢٤٨٢٥ فاكس : ٢٢٤٧٢٩٧

مصر ـ القاهرة ـ ٥٢ شارع عبدالخالق ثروت ـ شقة ١١ تلفاكس : ٣٩١٦١٢٢

لبنان ـ تلفاكس : ٤٣٤١٨٦ / ٠٥ ـ تليفون : ٦٥٢٢٤١ / ٠٣ ـ ص. ب ٣٠٤٣ الشويفات

علماء وحكماء من الغرب أنصفوا الإسلام

◆

الحسينى الحسينى معدى

◆

الناشر
دار الكتاب العربي
دمشق - القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّه الإِسْلامُ﴾ (آل عمران: ١٩)

﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا﴾ (يوسف: ٢٦)

﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾

(الأنبياء: ١٨)

﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾

(آل عمران: ٨٥)

﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلاَّ بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾ (آل عمران: ١٢٦)

الإهداء

أقدم هذا العمل خالصاً لوجه الله الكريم، وأهديه لحبيبه وخليله ورسوله سيدنا ومولانا محمد ﷺ عسى أن أنال شفاعته يوم الحشر العظيم.

إلى كل من يساهم فى تصحيح صورة الإسلام والمسلمين فى المجتمعات الغربية.

إلى كل من يبحث عن الحقيقة ولا يخشى فى الله لومة لائم.

إلى الذين وهبهم الله البصيرة والإنصاف وهم ليسوا قلة - والحمدلله - فى هذا العالم.

الحسينى الحسينى معدّى

المقدمـــة

مما لاريب فيه، أن هناك مفكرين منصفين - لاغربين فحسب - بل عالميين أيضاً، وهؤلاء درسوا الإسلام دراسة عميقة، فأحبه البعض وناصره، وآمن به البعض الآخر، وأعلن إسلامه وصدق فيه.. ولقد كانت الحروب الصليبية سبباً من الأسباب الأولى التى جعلت الكثير من الأوروبيين يغيرون وجهة نظرهم فيما يتعلق بالشرق على العموم وبالإسلام على الخصوص.

لقد رأى الغربيون صفات الشهامة والنبل والفروسية يتحلى بها أعداؤهم الشرقيون، ورأوا أن ديانتهم ليست على مايصوره الاستعمار من الانحطاط والتخريف.

وبدأ الغربيون يدرسون، فى شىء من التدبر والروية، هذا الشرق الذي كان لايثير فى نفوسهم إلا مارسمه رجال مغرضون من صور تبعث فى النفس النفور.. بل الاشمئزاز.

ثم كانت الرحلات الكثيرة، والاتصال المستمر، والصلات المباشرة الوثيقة، من العوامل الفعالة فى ازالة كثير من الأوهام التى علقت بأذهان الغربيين عن الشرق وعن الإسلام.

ومما لاشك فيه أنه من المفيد للمسلم ولغير المسلم أن يلم بمختلف جوانب المنظور الغربى للإسلام. وأن يعرف يقيناً أن الإسلام دين ودولة وحضارة ونظام حياة، لايعرف الحكومة الدينية (الثيوقراطية)، لأن حكومته مدنية لاعصمة لها. فهى قد تخطئ وقد تصيب. وهى تجتهد فى تطبيق شريعة الله، وتسهر على سيادة

المبادئ والقيم الإسلامية فى المجتمع المسلم، مجتمع الكفاية والعدل والكرامة لبنى الإنسان، حتى وإن كان من غير المسلمين. وكيف لا، وقد شهد التاريخ أن محمداً رسول الله ﷺ وخاتم النبيين، قد وقف إحتراماً لميت يهودى. ولما ذكّره بعض أصحابه بذلك وماكان من أمر اليهود مع المسلمين، قال قولته الخالدة: أليست نفساً؟!

وصدق الله من قبل ومن بعد، وحين يقول لنبيه محمد ﷺ فى القرآن العظيم: ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِى أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِى إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ (سبأ: ٦).

﴿قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّدًا (١٠٧) وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً (١٠٨) وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ (الإسراء: ١٠٧ ـ ١٠٩)

عزيزى القارئ.. بين يديك جلة من أقوال وشهادات بعض العلماء والمفكرين والأدباء والفلاسفة والكتّاب والحكماء فى الغرب الذين أعجبوا بالدين الإسلامى، ومع كونهم لم يرتدوا عباءة الإسلام فإنهم قالوا كلمة حق سطرها التاريخ على ألسنتهم وفى كتبهم وتراثهم، وما أحبوه كذلك إلا لأن أنصبته قد فاضت بكم من الرقى الشخصى والأخلاقى والحضارى إلى أبعد حد مما جعلهم معجبون به إلى درجة أنهم يسطرون فيه الكتب ويذكرونه فى كل وقت.

ونقدم فى هذا الكتاب صورة مما كتبه الباحثون الغربيون الذين درسوا الإسلام على حقيقته مجردين من الهوى والتعصب، فهى تمثل هذا النور والخير فى رسالته الأخلاقية السامية، ودعوته الإنسانية العالمية. فلم تسمع الإنسانية من قبل صوتاً أعلى من صوت الإسلام، ولا بياناً أروع من بيانه، ولا أخلاقاً أعظم من أخلاقه، ولا تشريعاً أعظم من تشريعه، ولم يبلغ بشر ولا نبى أو رسول من مراتب الكمال مثل مابلغ رسول الله محمد ﷺ.

وليس مستغرباً أن ينصف العشرات من أعلام الثقافة الغربية الإسلام ونبيه ﷺ بعد أن تعرفوا على عظمته ومكانته بين الأديان السماوية الأخرى.

وينبغى أن يتعلم ويستفيد المسلمون من هذه الشهادات المنصفة فى الرد على أعداء وخصوم الإسلام، ولعل فى وثائق الإنصاف الغربى لعظمة الإسلام الرد العلمى والموضوعى على حملات تشويه صورة الإسلام والمسلمين فى الغرب.. والله ولى التوفيق.

الحسينى الحسينى معدّى

الفصل الأول

القرآن الكريم

فى عيون غربية منصفة



تمهيد

رؤى غربية منصفة التقطتها من أقلام مفكرين غربيين درسوا الإسلام فراعهم جماله، وأعجبتهم مبادئه، ولكنهم لم ينزلوا قناعاتهم من سماء العقل إلى أرض القلب، ولم يسقوها بماء الوجدان، فلم تنم غراسها ولم تثمر! وفشلوا فى أن يحولوا الاقتناع بالحق إلى اعتناق له، والإعجاب بالإسلام إلى عقيدة تجرى فى العروق، وبذا فقد فشلوا فى أن يحققوا السلام الداخلى فى أعماقهم..

نعم لم يبق أمامهم إلا ضربة معول واحدة كى يصلوا إلى النبع الثر الزلال، فلم يفعلوا.. حاموا وهم الظماء حول الماء ولم ينهلوا!! وإنما أعرض أقوالهم لأولئك المهزومين أمام الغرب، الذين لا يشربون الكأس الروية إلا إذا كانت بيد غربية! ولا يجرعون الدواء إلا من تلك الصيدلية!! على أن بعض هذه العبارات كانت فى سياقها شركاً نصب للعقل المسلم، ولا حرج علينا ـ أظن ـ إن لقطنا الحبة، ومزقنا الشبكة، وطرنا بسلام.

يقول المستشرق آرثر آربرى: «عندما أستمع إلى القرآن يتلى بالعربية، فكأنما أستمع إلى نبضات قلبى»[١].

● ويقول جوته: «إن أسلوب القرآن محكم سام مثير للدهشة... فالقرآن كتاب الكتب، وإنى أعتقد هذا كما يعتقده كل مسلم... وأنا كلما قرأت القرآن شعرت أن

(١) نقلاً عن (حتى الملائكة تسأل) د. جيفرى لانغ (٢٠٦).

روحى تهتز داخل جسمى».

ولما بلغ جوته السبعين من عمره أعلن على الملأ أنه يعتزم أن يحتفل فى خشوع بليلة القدر التى أنزل فيها القرآن على النبى محمد..

وفى يوم أبصر جوته ريشة طاووس بين صفحات القرآن فهتف: «مرحباً بك فى هذا المكان المقدس، أغلى كنز فى الأرض»[1].

وفى ديوانه (الديوان الشرقى للشاعر الغربى) يقول جوته: «هاجر إلى الشرق فى طهره وصفائه، حيث الطهر والصدق والنقاء، ولتتلقى كلمة الحق منزلة من الله بلسان أهل الأرض».

«القرآن ليس كلام البشر، فإذا أنكرنا كونه من الله، فمعناه أننا اعتبرنا محمداً هو الإله!»[2].

● وتقول المستشرقة الألمانية أنا ماريا شميل، فى مقدمتها لكتاب (الإسلام كبديل) لمراد هوفمان: «القرآن هو كلمة الله، موحاة بلسان عربى مبين، وترجمته لن تتجاوز المستوى السطحى، فمن ذا الذى يستطيع تصوير جمال كلمة الله بأى لغة؟!».

● ويقول الباحث الأمريكى مايكل هارت فى كتابه المعروف (المائة الأوائل):

«لا يوجد فى تاريخ الرسالات كتاب بقى بحروفه كاملاً دون تحوير سوى القرآن».

«بين أيدينا كتاب فريد فى أصالته وفى سلامته، لم يشك فى صحته كما أنزل، وهذا الكتاب هو القرآن»[3].

● ويقول المستشرق بارتلمى هيلر: «لما وعد الله رسوله بالحفظ بقوله «والله يعصمك من الناس»، صرف النبى حراسه، والمرء لا يكذب على نفسه، فلو كان لهذا القرآن مصدر غير السماء لأبقى محمد على حراسته!».

---

(١) نقلاً عن (جوته والعالم العربى) كاتارينا مومزن (١٧٧ ـ ١٨٨ ـ ٢٦١).

(٢) البروفسورة نيبا أيوب، نقلاً عن (كيف نتعامل مع القرآن العظيم) د. يوسف القرضاوى (٢٥).

(٣) المستشرق بودلى، نقلاً عن (البحث عن الحقيقة) ص (٥٢٢).

● ويقول المستشرق (فون هامر) فى مقدمة ترجمته للقرآن: «القرآن ليس دستور الإسلام فحسب، وإنما هو ذروة البيان العربى، وأسلوب القرآن المدهش يشهد على أن القرآن هو وحى من الله، وأن محمداً قد نشر سلطانه بإعجاز الخطاب، فالكلمة لم يكن من الممكن أن تكون ثمرة قريحة بشرية».

«القرآن وحى من الله، لا يحده زمان، ومتضمن للحقيقة المركزة»[١].

● ويقول البروفسور يوشيودى كوزان - مدير مرصد طوكيو - نقلاً عن كتاب (إنه الحق): «إن هذا القرآن يصف الكون من أعلى نقطة فى الوجود... إن الذى قال هذا القرآن يرى كل شىء فى هذا الكون، وكل شىء مكشوف أمامه».

● ويحاول المفكر مارسيل بوازار أن يصل إلى سر التأثير العجيب للقرآن فيقول: «القرآن يخاطب الإنسان بكليته... من منظور تستطيع نسبته إلى علم النفس التطبيقى»[٢].

قلت: إن الذى خلق النفس البشرية والخبير بها ومنعطفاتها وآفاقها، هو الذى أنزل القرآن ليهديها سبيل» ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾[٣].



(١) د. بول شفارتسنا فى كتابه (القرآن - دليل المسيحيين) نقلاً عن (يوميات مسلم ألمانى) د. مراد هوفمان (١٢٢).

(٢) نقلاً عن (القرآن الكريم من منظور غربى) د. عماد الدين خليل (٢٨).

(٣) سورة الملك: ١٤.

أولاً: القرآن الكريم
فى عيون غربية منصفة

«لقد قمتُ بدراسة القرآن الكريم وذلك دون أى فكر مسبق وبموضوعية تامة، باحثاً عن درجة اتفاق نص القرآن ومعطيات العلم الحديث.. فأدركت أنه لا يحتوى على أية مقولة قابلة للنقد من وجهة نظر العلم فى العصر الحديث...».

(العالم الفرنسى موريس بوكاى)

خليل أحمد

«يرتبط هذا النبى ﷺ بإعجاز أبد الدهر بما يخبرنا به المسيح عليه السلام فى قوله عنه: (ويخبركم بأمور آتية)، هذا الإعجاز هو القرآن الكريم معجزة الرّسول الباقية ما بقى الزّمان. فالقرآن الكريم يسبق العلم الحديث فى كلّ مناحيه: من طب، وفلك، وجغرافيا، وجيولوجيا، وقانون، واجتماع، وتاريخ... ففى أيامنا هذه استطاع العلم أن يرى ما سبق إليه القرآن بالبيان والتعريف...»[1].

«أعتقد يقيناً أنى لو كنت إنساناً وجوديًا... لا يؤمن برسالة من الرسالات السماوية وجاءنى نفر من الناس وحدثنى بما سبق به القرآن العلم الحديث ـ فى كل مناحيه ـ لآمنت برب العزة والجبروت، خالق السماوات والأرض ولن أشرك به أحدًا...»[2].

«فى هذا الظلام الدامس ـ أيها المسيحى ـ ينزل القرآن الكريم على رسول الله ﷺ ليكشف لك عن الله عز وجل..»[3].

«للمسلم أن يعتزّ بقرآنه، فهو كالماء فيه حياة لكل من نهل منه»[4].

(١) إبراهيم خليل أحمد Ibrahim Khalil Ahmad

قس مبشر من مواليد الإسكندرية عام ١٩١٩، يحمل شهادات عالية فى علم اللاهوت من كلية اللاهوت المصرية، ومن جامعة برنستون الأمريكية. عمل أستاذًا بكلية اللاهوت بأسيوط. كما أرسل عام ١٩٥٤ إلى أسوان سكرتيرًا عامًا للإرسالية الألمانية السويسرية. وكانت مهمته الحقيقية التنصير والعمل ضد الإسلام. لكن تعمقه فى دراسة الإسلام قاده إلى الإيمان بهذا الدين وأشهر إسلامه رسميًا عام ١٩٥٩. كتب العديد من المؤلفات، أبرزها ولا ريب (محمد فى التوراة والإنجيل والقرآن)، (المستشرقون والمبشرون فى العالم العربى والإسلامى)، و(تاريخ بنى إسرائيل).

(٢) محمد فى التوراة والإنجيل والقرآن، ص ٤٧ ـ ٤٨.

(٣) نفسه، ص ٤٨.

(٤) نفسه، ص ١٧٢.

آرنولد(1)

«.. (إننا) نجد حتى من بين المسيحيين مثل الفار Alvar (الإسبانى) الذى عرف بتعصبه على الإسلام، يقرر أن القرآن قد صيغ فى مثل هذا الأسلوب البليغ الجميل، حتى إن المسيحيين لم يسعهم إلا قراءته والإعجاب به..»(2).

ايرفنج (3)

«كانت التوراة فى يوم ما هى مرشد وأساس سلوكه. حتى إذا ظهر المسيح عليه السلام اتبع المسيحيون تعاليم الإنجيل، ثم حلَّ القرآن مكانهما، فقد كان القرآن أكثر شمولاً وتفصيلاً من الكتابين السابقين، كما صحح القرآن ما قد أدخل على هذين الكتابين من تغيير وتبديل. حوى القرآن كل شىء، وحوى جميع القوانين، إذ إنه خاتم الكتب السماوية..».(4)

«يدعو القرآن إلى الرحمة والصفاء وإلى مذاهب أخلاقية سامية».(5)

---

(1) سير توماس أرنولد (١٨٦٤ - ١٩٣٠). Sir Thomas Arnold

من كبار المستشرقين البريطانيين. صاحب فكرة كتاب (تراث الإسلام) الذى أسهم فيه عدد من مشاهير البحث والاستشراق الغربي. وقد أشرف آرنولد على تنسيقه وإخراجه. تعلم فى كمبردج وقضى عدة سنوات فى الهند أستاذًا للفلسفة فى كلية عليكرة الإسلامية. وهو أول من جلس على كرسى الأستاذية فى قسم الدراسات العربية فى مدرسة اللغات الشرقية بلندن. وصفه المستشرق البريطانى المعروف (جب) بأنه «عالم دقيق فيما يكتب، وأنه أقام طويلاً فى الهند وتعرف إلى مسلميها، وأنه متعاطف مع الإسلام، وكل هذه أمور ترفع أقواله فوق مستوى الشهادات» (دراسات فى حضارة الإسلام ص ٢٤٤). ذاع صيته بكتابيه: (الدعوة إلى الإسلام) الذى ترجم إلى أكثر من لغة، و(الخلافة). كما أنه نشر عدة كتب قيمة عن الفن الإسلامى.

(2) الدعوة إلى الإسلام (بحث فى تاريخ نشر العقيدة الإسلامية)، ص ١٦٢.

(3) واشنجتون ايرفنج W. irving

مستشرق أمريكى، أولى اهتماماً كبيرًا لتاريخ المسلمين فى الأندلس. من آثاره: (سيرة النبى العربى) مذيلة بخاتمة لقواعد الإسلام ومصادرها الدينية (١٨٤٩)، و(فتح غرناطة) (١٨٥٩)، وغيرها.

(4) حياة محمد، ص ٧٢.

(5) نفسه، ص ٣٠٤.

بروز [1]

«إنه ليس هناك شىء لا دينى فى تزايد سيطرة الإنسان على القوى الطبيعية، (هناك آية فى القرآن يمكن أن يستنتج منها أنه لعل من أهداف خلق المجموعة الشمسية لفت نظر الإنسان لكى يدرس علم الفلك ويستخدمه فى حياته: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾ (يونس: ٥). وكثيراً ما يشير القرآن إلى إخضاع الطبيعة للإنسان باعتباره إحدى الآيات التى تبعث على الشكر والإيمان: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ * لِتَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾ (الزخرف: ١٢ ـ ١٣). ويذكر القرآن ـ لا تسخير الحيوان واستخدامه فحسب ـ ولكن يذكر السفن أيضًا.. فإذا كان الجمل والسفينة من نعم الله العظيمة، أفلا يصدق هذا أكثر على سكة الحديد والسيارة والطائرة؟»[2].

«.. إن أعظم نتائج العلم يمكن أن تستخدم فى أغراض هدمية أو بنائية. وربما كان هذا هو المقصود بما ورد فى القرآن خاصًا باستخدام الحديد: ﴿وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ (الحديد: ٢٥). وأظهر مثال من هذه الآية بالضرورة هو استخدام النشاط الذرى ـ الذى نشطت بحوثه ـ لضرورة حربية..»[3].

---

(١) د. ميلر بروز

رئيس قسم لغات الشرق الأدنى وآدابه وأستاذ الفقه الدينى الإنجيلى فى جامعة (بيل). وعمل أستاذًا بجامعة براون، وأستاذاً زائرًا بالجامعة الأمريكية فى بيروت، ومديرًا للمدرسة الأمريكية للبحوث الشرقية بالقدس ومن مؤلفاته:

Founders of Great Religions, 1931.

What means these Stones, 1941.

Palestine our Business, 1941.

(٢) الثقافة الإسلامية، ص ٥١.

(٣) الثقافة الإسلامية، ص ٥٤.

بلاشير[١]

«.. إن الفضل (بعد الله) يعود إلى الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه لإسهامه قبل سنة ٦٥٥ هـ فى إبعاد المخاطر الناشئة عن وجود نسخ عديدة من القرآن، وإليه وحده يدين المسلمون بفضل تثبيت نصّ كتابهم المنزل، على مدى الأجيال القادمة»[٢].

«لا جرم فى أنه إذا كان ثمة شىء تعجز الترجمة عن أدائه فإنما هو الإعجاز البيانى واللفظى والجرس الإيقاعى فى الآيات المنزلة فى ذلك العهد.. إن خصوم محمد ﷺ قد أخطأوا عندما لم يشاؤوا أن يروا فى هذا إلا أغانى سحرية وتعويذية، وبالرغم من أننا على علم ـ استقرائيًا فقط ـ بتنبؤات الكهان، فمن الجائز لنا الاعتقاد مع ذلك بخطل هذا الحكم وتهافته، فإن للآيات التى أعاد الرسول ﷺ ذكرها فى هذه السور اندفاعاً وجلالة تخلَّف وراءها بعيدًا أقوال فصحاء البشر كما يمكن استحضارها من خلال النصوص الموضوعة التى وصلتنا»[٣].

«.. إن القرآن ليس معجزة بمحتواه وتعليمه فقط، إنه أيضًا ويمكنه أن يكون قبل أى شىء آخر تحفة أدبية رائعة تسمو على جميع ما أقرته الإنسانية وبجَّلته من التحف.. إن الخليفة المقبل عمر بن الخطاب رضي الله عنه المعارض الفظ فى البداية للدين الجديد، قد غدا من أشد المتحمسين لنصرة الدين عقب سماعه لمقطع من القرآن. وسنورد الحديث فيما بعد عن مقدار الافتتان الشفهى بالنص القرآنى بعد أن رتّله المؤمنون»[٤].

(١) بلاشير R. L. Blachere
ولد بالقرب من باريس، وتلقى دروسه الثانوية فى الدار البيضاء، وتخرج بالعربية فى كلية الآداب بالجزائر (١٩٢٢)، وعين أستاذًا لها فى معهد مولاى يوسف بالرباط، ثم انتدب مديرًا لمعهد الدراسات المغربية العليا بالرباط (١٩٢٤ ـ ١٩٣٥)، واستدعته مدرسة اللغات الشرقية بباريس أستاذًا لكرسى الآداب العربى (١٩٥٣ ـ ١٩٥٩)، ونال الدكتوراه (١٩٣٦)، وعين أستاذًا محاضرًا فى السوربون (١٩٣٨)، ومشرفًا على مجلة (المعرفة)، التى ظهرت فى باريس باللغتين العربية والفرنسية، من آثاره: دراسات عديدة عن الأدب العربى فى أشهر المجلات الاستشراقية، وكتاب (تاريخ الأدب العربى) (باريس ١٩٥٢)، وترجمة جديدة للقرآن الكريم فى ثلاثة أجزاء (باريس ١٩٤٧ ـ ١٩٥٢)، وغيرها.

(٢) تاريخ الأدب العربى ٢/٢٢.

(٣) تاريخ الأدب العربى، ٢/٣١.

(٤) القرآن الكريم، ص ١٠٢ ـ ١٠٣.

«.. الإعجاز هو المعجزة المصدقة لدعوة محمد ﷺ الذى لم يرتفع فى أحاديثه الدنيوية إلى مستوى الجلال القرآنى..»(١).

«.. فى جميع المجالات التى أطللنا عليها من علم قواعد اللغة والمعجمية وعلم البيان، أثارت الواقعة القرآنية وغذت نشاطات علمية هى أقرب إلى حالة حضارية منها إلى المتطلبات التى فرضها إخراج الشريعة الإسلامية. وهناك مجالات أخرى تدخل فيها الواقعية القرآنية، كعامل أساسى... ولا تكون فاعليتها هنا فاعلية منبه فقط، بل فاعلية عنصر مبدع تتوطد قوته بنوعيته الذاتية..»(٢).

بوازار (٣)

«لابدّ عند تعريف النصّ القدسى فى الإسلام من ذكر عنصرين، الأول أنه كتاب منزل أزلى غير مخلوق، والثانى أنه (قرآن) أى كلام حى فى قلب الجماعة.. وهو بين الله والإنسانية (الوسيط) الذى يجعل أى تنظيم كهنوتى غير ذى جدوى، لأنه مرضى به مرجعًا أصليًا، وينبوع إلهام أساسى.. وما زال حتى أيامنا هذه نموذجًا رفيعًا للأدب العربى تستحيل محاكاته إنه لا يمثل النموذج المحتذى للعمل الأدبى الأمثل وحسب، بل يمثل كذلك مصدر الأدب العربى والإسلامى الذى أبدعه لأن الدين الذى أوحى به هو فى أساس عدد كبير من المناهج الفكرية التى سوف يشتهر بها الكتاب..»(٤).

«لقد أثبت التنزيل برفضه الفصل بين الروحى والزمنى أنه دين ونظام اجتماعى.. ومن البديهى أن التنزيل والسبيل الذى ظن إمكان استخدامه فيه قد

---

(١) القرآن الكريم، ص ١٠٤ ـ ١٠٥.

(٢) القرآن الكريم، ص ١٠٤.

(٣) مارسيل بوازار M. Poizar

مفكر، وقانونى فرنسى معاصر. أولى اهتماماً كبيرًا لمسألة العلاقات الدولية وحقوق الإنسان وكتب عددًا من الأبحاث للمؤتمرات والدوريات المعنية بهاتين المسألتين. يعتبر كتابه (إنسانية الإسلام)، الذى انبثق عن الاهتمام نفسه، علامة مضيئة فى مجال الدراسات الغربية للإسلام، بما تميز به من موضوعية، وعمق، وحرص على اعتماد المراجع التى لا يأسرها التحيز والهوى. فضلاً عن الكتابات الإسلامية نفسها.

(٤) إنسانية الإسلام، ص ٥٢ ـ ٥٣.

طبعا المجتمع بعمق..»[١].

« .. إن القرآن لم يقدّر قط لإصلاح أخلاق عرب الجاهلية، إنه على العكس يحمل الشريعة الخالدة والكاملة والمطابقة للحقائق البشرية، والحاجات الاجتماعية فى كل الأزمنة»[٢].

« .. يخلق الروح القرآنى مناخ غيش ينتهى به الأمر إلى مناغمة التعبيرات الذهنية والمساواة بين العقليات والنظم الاجتماعية بأكثر مما تفترض التصريفات السياسية والطوابع الأيديولوجية التى تسند إلى الدول. ولا يكفى قط ما يتردد عن درجة تأثير القرآن الكبرى فى (الذهنية الإسلامية) المعاصرة، فهو لا يزال مصدر الإلهام الفردى والجماعى الرئيسى، كما أنه ملجأ المسلمين وملاذهم الأخير»[٣].

« .. (إن) الأدوات التى يوفرها التنزيل القرآنى قادرة ولا ريب على بناء مجتمع حديث..»[٤].

بوتر [٥]

« .. عندما أكملت القرآن الكريم غمرنى شعور بأن هذا هو الحق الذى يشتمل على الإجابات الشافية حول مسائل الخلق وغيرها. وأنه يقدم لنا الأحداث بطريقة منطقية، نجدها متناقضة مع بعضها فى غيره من الكتب الدينية. أما القرآن فيتحدث عنها فى نسق رائع وأسلوب قاطع لا يدع مجالاً للشك بأن هذه هى الحقيقة وأن هذا الكلام هو من عند الله لا محالة»[٦].

---

(١) إنسانية الإسلام، ص ٢٠٦ ـ ٢٠٧.
(٢) إنسانية الإسلام، ص ١٠٩.
(٣) إنسانية الإسلام، ص ٣٤٣.
(٤) إنسانية الإسلام، ص ٣٤٥.
(٥) ديبورا بوتر D. Potter.
ولدت عام ١٩٥٤، بمدينة ترافيرز، فى ولاية متشيغان الأمريكية، وتخرجت من فرع الصحافة بجامعة متشيغان، اعتنقت الإسلام عام ١٩٨٠، بعد زواجها من أحد الدعاة الإسلاميين العاملين فى أمريكا، بعد اقتناع عميق بأن ليس ثمة من دين غير الإسلام يمكن أن يستجيب لمطالب الإنسان ذكراً كان أم أنثى.
(٦) رجال ونساء أسلموا، ص ٨/ ١٠٠.

«.. إن المضمون الإلهى للقرآن الكريم هو المسؤول عن النهوض بالإنسان وهدايته إلى معرفة الخلق، هذه المعرفة التى تنطبق على كل عصر..»(١).

«.. كيف استطاع محمد ﷺ الرجل الأمى الذى نشأ فى بيئة جاهلية أن يعرف معجزات الكون التى وصفها القرآن الكريم، والتى لا يزال العلم الحديث حتى يومنا هذا يسعى لاكتشافها؟ لا بد إذن أن يكون هذا الكلام هو كلام الله عز وجل»(٢).

بوكاى(٣)

«لقد قمت أولاً بدراسة القرآن الكريم، وذلك دون أى فكر مسبق وبموضوعية تامة باحثاً عن درجة اتفاق نص القرآن ومعطيات العلم الحديث. وكنت أعرف، قبل هذه الدراسة، وعن طريق الترجمات، أن القرآن يذكر أنواعاً كثيرة من الظاهرات الطبيعية ولكن معرفتى كانت وجيزة. وبفضل الدراسة الواعية للنص العربى استطعت أن أحقق قائمة أدركت بعد الانتهاء منها أن القرآن لا يحتوى على أية مقولة قابلة للنقد من وجهة نظر العلم فى العصر الحديث وبنفس الموضوعية قمت بنفس الفحص على العهد القديم والأناجيل. أما بالنسبة للعهد القديم فلم تكن هناك حاجة للذهاب إلى أبعد من الكتاب الأول، أى سفر التكوين، فقد وجدت مقولات لا يمكن التوفيق بينها وبين أكثر معطيات العلم رسوخاً فى عصرنا. وأما بالنسبة للأناجيل.. فإننا نجد نص إنجيل متى يناقض بشكل جلى إنجيل لوقا، وأن هذا الأخير يقدم لنا صراحة أمراً لا يتفق مع المعارف الحديثة الخاصة بقدم الإنسان على الأرض».(٤)

---

(١) رجال ونساء أسلموا، ص ٨/ ١١٣.
(٢) رجال ونساء أسلموا، ص ٨/ ١٠٩.

(٣) د. موريس بوكاى Maurice Bucaille
الطبيب والعالم الفرنسى المعروف. كان كتابه (القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم) من أكثر المؤلفات التى عالجت موضوعاً كهذا، أصالة واستيعاباً وعمقاً. ويبدو أن عمله فى هذا الكتاب القيم منحه قناعات مطلقة بصدق كتاب الله، وبالتالى صدق الدين الذى جاء به. دعى أكثر من مرة لحضور ملتقى الفكر الإسلامى الذى ينعقد فى الجزائر صيف كل عام، وهناك أتيح له أن يطلع أكثر على الإسلام فكراً وحياة.

(٤) القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم، ص ١٥٠.

«لقد أثارت الجوانب العلمية التى يختص بها القرآن دهشتى العميقة فى البداية. فلم أكن أعتقد قط بإمكان اكتشاف عدد كبير إلى هذا الحد من الدعاوى الخاصة بموضوعات شديدة التنوع ومطابقته تماماً للمعارف العلمية الحديثة، وذلك فى نص كتب منذ أكثر من ثلاثة عشر قرناً. فى البداية لم يكن لى أى إيمان بالإسلام. وقد طرقت دراسة هذه النصوص بروح متحررة من كل حكم مسبق وبموضوعية تامة..»(١).

«.. تناولت القرآن منتبهاً بشكل خاص إلى الوصف الذى يعطيه عن حشد كبير من الظاهرات الطبيعية. لقد أذهلتنى دقة بعض التفاصيل الخاصة بهذه الظاهرات وهى تفاصيل لا يمكن أن تدرك إلا فى النص الأصلى. أذهلتنى مطابقتها للمفاهيم التى نملكها اليوم عن نفس هذه الظاهرة والتى لم يكن ممكناً لأى إنسان فى عصر محمد ﷺ أن يُكَوِّن عنها أدنى فكرة..»(٢).

«.. كيف يمكن لإنسان - كان فى بداية أمره أمياً -.. أن يصرح بحقائق ذات طابع علمى لم يكن فى مقدور أى إنسان فى ذلك العصر أن يكونها، وذلك دون أن يكشف تصريحه عن أقل خطأ من هذه الوجهة؟»(٣).

بيكارد(٤)

«.. ابتعت نسخة من ترجمة سافارى (Savary) الفرنسية لمعانى القرآن وهى أغلى ما أملك. فلقيت من مطالعتها أعظم متعة وابتهجت بها كثيراً حتى غدوت وكأن شعاع الحقيقة الخالد قد أشرق على بنوره المبارك(٥).

(١) القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم، ص ١٤٥.

(٢) القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم، ص ١٤٥.

(٣) القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم، ص ١٥٠.

(٤) وليم بيرشل بشير بيكارد W. B. Beckard
إنكليزى، تخرج من كانتر بورى. مؤلف وكاتب مشهور. ومن بين مؤلفاته الأدبية بالإنكليزية (مغامرات القاسم) و (عالم جديد). شارك فى الحرب العالمية الأولى وأسر. عمل فترة من الوقت فى أوغندا. أعلن إسلامه عام ١٩٢٢ م.

(٥) رجال ونساء أسلموا، ٢/ ٨٦.

حتى(١)

«إن الأسلوب القرآنى مختلف عن غيره، ثم إنه لا يقبل المقارنة بأسلوب آخر، ولا يمكن أن يقلَّد. وهذا فى أساسه، هو إعجاز القرآن.. فمن جميع المعجزات كان القرآن المعجزة الكبرى»(٢).

«.. إن إعجاز القرآن لم يحل دون أن يكون أثره ظاهراً على الأدب العربى. أما إذا نحن نظرنا إلى النسخة التى نقلت فى عهد الملك جيمس من التوراة والإنجيل وجدنا أن الأثر الذى تركته على اللغة الإنكليزية ضئيل، بالإضافة إلى الأثر الذى تركه القرآن على اللغة العربية. إن القرآن هو الذى حفظ اللغة العربية وصانها من أن تتمزق لهجات»(٣).

حنا(٤)

«إنه لا بد من الإقرار بأن القرآن، فضلاً عن كونه كتاب دين وتشريع، فهو أيضاً كتاب لغة عربية فصحى. وللغة القرآن الفضل الكبير فى ازدهار اللغة، ولطالما يعود إليه أئمة اللغة، فى بلاغة الكلمة وبيانها، سواء كان هؤلاء الأئمة مسلمين أم مسيحيين. وإذا كان المسلمون يعتبرون أن صوابية لغة القرآن هى نتيجة محتومة لكون القرآن منزلاً ولا تحتمل التخطئة، فالمسيحيون يعترفون أيضاً بهذه الصوابية،

(١) د. فيليب حتى P. Hitti

ولد عام ١٨٨٦ م، لبنانى الأصل، أمريكى الجنسية، تخرج من الجامعة الأمريكية فى بيروت (١٩٠٨ م)، ونال الدكتوراه من جامعة كولومبيا (١٩١٥ م)، وعين معيداً فى قسمها الشرقى (١٩١٥ ـ ١٩١٩)، وأستاذاً للتاريخ العربى فى الجامعة الأمريكية ببيروت (١٩١٩ ـ ١٩٢٥)، وأستاذاً مساعداً للآداب السامية فى جامع برنستون (١٩٢٦ ـ ١٩٢٩ م)، وأستاذاً ثم أستاذ كرسى ثم رئيساً لقسم اللغات والآداب الشرقية (١٩٢٩ ـ ١٩٥٤ م)، حين أحيل على التقاعد، أنتخب عضواً فى جمعيات ومجامع عديدة من آثاره: (أصول الدولة الإسلامية) (١٩١٦ م)، (تاريخ العرب) (١٩٢٧ م) (تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين) (١٩٥١ م) (لبنان فى التاريخ) (١٩٦١ م) وغيرها.

(٢) الإسلام منهج حياة، ص ٦٢.

(٣) الإسلام منهج حياة، ص ٢٨٧ ـ ٢٨٨.

(٤) الدكتور جورج حنا.

مسيحى من لبنان، ينطلق فى تفكيره من رؤية مادية طبيعية صرفة، كما هو واضح فى كتابه المعروف (قصة الإنسان).

بقطع النظر عن كونه منزلاً أو موضوعاً، ويرجعون إليه للاستشهاد بلغته الصحيحة، كلما استعصى عليهم أمر من أمور اللغة»[١].

داود[٢]

«.. تناولت نسخة من ترجمة معانى القرآن الكريم باللغة الإنجليزية، لأننى عرفت أن هذا هو الكتاب المقدس عند المسلمين، فشرعت فى قراءته وتدبر معانيه. لقد استقطب جل اهتمامى، وكم كانت دهشتى عظيمة حين وجدت الإجابة المقنعة عن سؤالى المحير: (الهدف من الخلق) فى الصفحات الأولى من القرآن الكريم.. لقد قرآت الآيات (٣٠ ـ ٣٩) من سورة البقرة.. وهى آيات توضح الحقيقة بجلاء لكل دارس منصف، إن هذه الآيات تخبرنا بكل وضوح وجلاء وبطريقة مقنعة عن قصة الخلق..»[٣].

«.. إن دراستى للقرآن الكريم وضحت أمام ناظرى العديد من الإشكالات الفكرية وصححت الكثير من التناقضات التى طالعتها فى الكتب السماوية السابقة»[٤].

درمنغم[٥]

«للمسيح عليه السلام فى القرآن مقام عالٍ، فولادته لم تكن عادة كولادة بقية الناس، وهو رسول الله الذى خاطب الله جهراً عن مقاصده وحدث عن ذلك أول شخص

---

(١) قصة الإنسان، ص ٧٩ ـ ٨٠.

(٢) عامر على داود A. Ali David

ينحدر من أسرة هندية برهمية، تنصرت على أيدى المبشرين الذين قاموا مع طلائع الاستعمار، كان كثير القراءة للكتب الدينية، ولما أتيح له أن يطلع على القرآن الكريم كان الجواب هو انتماؤه للإسلام.

(٣) رجال ونساء أسلموا، ٧/ ١١٦ ـ ١١٨. (٤) رجال ونساء أسلموا، ٧/ ١١٨.

(٥) إميل درمنغم E. Dermenghem

مستشرق فرنسى، عمل مديراً لمكتبة الجزائر، من آثاره: (حياة محمد) (باريس ١٩٢٩) وهو من أدق ما صنفه مستشرق عن النبى ﷺ، و (محمد والسنة الإسلامية) (باريس ١٩٥٥ م)، ونشر عدداً من الأبحاث فى المجلات الشهيرة مثل: (المجلة الأفريقية)، و (حوليات معهد الدراسات الشرقية)، و (نشرة الدراسات العربية)... إلخ.

كلمه، وهو كلمة الله الناطقة من غير اختصار على الوحى وحده.. والقرآن يقصد النصرانية الصحيحة حينما يقول: إن عيسى عليه السلام كلمة الله، أو روح الله، ألقاها إلى مريم وأنه من البشر.. وهو يَذم مذهب القائلين بألوهية المسيح عليه السلام، ومذهب تقديم الخبز إلى مريم عبادة ثم أكله وما إلى ذلك من مذاهب الإلحاد النصرانية، لا النصرانية الصحيحة، ولا يسع النصرانى إلا أن يرضى بمهاجمة القرآن للثالوث المؤلف من الله وعيسى ومريم».(١)

«سيكون القرآن حافزاً للجهاد يردده المؤمنون كما يردد غيرهم أناشيد الحرب، محرضاً على القتال جامعاً لشؤونه، محركاً لفاترى الهمم، فاضحا للمخلفين مخرياً للمنافقين، واعدا الشهداء بجنات عدن»(٢).

«كان محمد ﷺ يعد نفسه وسيلة لتبليغ الوحى، وكان مبلغ حرصه أن يكون أميناً مصغياً أو سجلاً صادقاً أو حاكياً معصوماً لما يسمعه من كلام الظل الساطع والصوت الصامت للكلام القديم على شكل دنيوى، لكلام الله الذى هو أم الكتاب، للكلام الذى تحفظه ملائكة كرام فى السماء السابعة. ولا بد لكل نبى من دليل على رسالته، ولا بد له من معجزة يتحدى بها.. والقرآن هو معجزة محمد ﷺ الوحيدة، فأسلوبه المعجز وقوة أبحاثه لا تزال.. إلى يومنا يثيران ساكن من يتلونه، ولو لم يكونوا من الأتقياء العابدين، وكان محمد ﷺ يتحدى الإنس والجن بأن يأتوا بمثله، وكان هذا التحدى أقوى دليل لمحمد على صدق رسالته.. ولا ريب أن فى كل آية منه، ولو أشارت إلى أدق حادثة فى حياته الخاصة، تأتيه بما يهز الروح بأسرها من المعجزة العقلية، ولا ريب فى أن هنالك ما يجب أن يبحث به عن سر نفوذه وعظيم نجاحه»(٣).

«كان لمحمد ﷺ بالوحى آلام كبيرة.. وحالات مؤثرة كره أن يطلع الناس عليها، ولاحظ أبو بكر رضي الله عنه ذات يوم، والحزن ملء قلبه، بدء الشيب فى لحية النبى ﷺ فقال له النبى: (شيبتنى هود وأخواتها: الواقعة والحاقة والقارعة). وكان النبى ﷺ

---

(١) حياة محمد، ص ١٣١ ـ ١٣٢.

(٢) حياة محمد، ص ١٩٥.

(٣) حياة محمد، ص ٢٨٩ ـ ٢٨٠.

يشعر بعد الوحى بثقل فى رأسه فيطبه بالمراهم، وكان يدثر حين الوحى فيسمع له غطيط وأنين. وكان إذا نزل الوحى عليه يتحدر جبينه عرقاً فى البرد»[1].

«كان محمد ﷺ، وهو البعيد من إنشاء القرآن وتأليفه ينتظر نزول الوحى إليه أحياناً على غير جدوى، فيألم من ذلك، ويود لو يأتيه الملك متواتراً»[2].

دى كاسترى[3]

«.. إن العقل يحار كيف يتأتى أن تصدر تلك الآيات عن رجل أمى وقد اعترف الشرق قاطبة بأنها آيات يعجز فكر بنى الإنسان عن الإتيان بمثلها لفظاً ومعنى. آيات لما سمعها عتبة بن ربيعة حار فى جمالها، وكفى رفيع عبارتها لإقناع عمر بن الخطاب رضي الله عنه فآمن برب قائلها، وفاضت «عين نجاشى الحبشة بالدموع لما تلا عليه جعفر بن أبى طالب سورة زكريا (مريم) وما جاء فى ولادة يحيى وصاح القسس أن هذا الكلام وارد من موارد كلام عيسى عليه السلام.. لكن نحن معشر الغربيين لا يسعنا أن نفقه معانى القرآن كما هى لمخالفته لأفكارنا ومغايرته لما ربيت عليه الأمم عندنا. غير أنه لا ينبغى أن يكون ذلك سبباً فى معارضة تأثيره فى عقول العرب. ولقد أصاب (جان جاك روسو) حيث يقول: (من الناس من يتعلم قليلاً من العربية ثم يقرأ القرآن ويضحك منه ولو أنه سمع محمداً ﷺ يمليه على الناس بتلك اللغة الفصحى الرقيقة وصوته المشبع المقنع الذى يطرب الآذان ويؤثر فى القلوب.. لخر ساجداً على الأرض وناداه: أيها النبى رسول الله خذ بيدنا إلى مواقف الشرف والفخار أو مواقع التهلكة والأخطار فنحن من أجلك نود الموت أو الانتصار).. وكيف يعقل أن النبى ﷺ ألف هذا الكتاب باللغة الفصحى مع أنها فى الأزمان الوسطى

---

(١) حياة محمد، ص ٢٨٣.

(٢) حياة محمد، ص ٢٨٥.

(٣) الكونت هنرى دى كاسترى (١٨٥٠ ـ ١٩٢٧).

مقدم فى الجيش الفرنسى، قضى فى الشمال الأفريقى ردحاً من الزمن. من آثاره: (مصادر غير منشورة عن تاريخ المغرب) (١٩٥٠)، (الأشراف السعديون) (١٩٢١)، (رحلة هولندى إلى المغرب) (١٩٢٦)، وغيرهما.

كاللغة اللاتينية ما كان يعقلها إلا القوم العالمون.. ولو لم يكن فى القرآن غير بهاء معانيه وجمال مبانيه لكفى بذلك أن يستولى على الأفكار ويأخذ بمجامع القلوب..»(١).

«أتى محمد ﷺ بالقرآن دليلاً على صدق رسالته، وهو لا يزال إلى يومنا هذا سراً من الأسرار التى تعذر فك طلاسمها ولن يسبر غور هذا السر المكنون إلا من يصدق بأنه منزل من الله..»(٢).

«.. قد نرى تشابهاً بين القرآن والتوراة فى بعض المواضع، إلا أن سببه ميسور المعرفة.. إذا لاحظنا أن القرآن جاء ليتممها، كما أن النبى ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين»(٣).

دينيه(٤)

«لقد حقق القرآن معجزة لا تستطيع أعظم المجامع العلمية أن تقوم بها، ذلك أنه مكن للغة العربية فى الأرض بحيث لو عاد أحد أصحاب رسول الله ﷺ إلينا اليوم لكان ميسوراً له أن يتفاهم تمام التفاهم مع المتعلمين من أهل اللغة العربية، بل لما وجد صعوبة تذكر للتخاطب مع الشعوب الناطقة بالضاد. وذلك عكس ما يجده مثلاً أحد معاصرى (رابيليه) من أهل القرن الخامس عشر الذى هو أقرب إلينا من عصر القرآن، من الصعوبة فى مخاطبة العدد الأكبر من فرنسيي اليوم»(٥).

---

(١) الإسلام: خواطر وسوانح، ص ١٨ ـ ٢٠.

(٢) الإسلام: خواطر وسوانح، ص ٢٠.

(٣) الإسلام: خواطر وسوانح ص ٢٢ ـ ٢٣.

(٤) إيتين دينيه (١٨٦١ ـ ١٩٢٩) Et. Dinet

تعلم فى فرنسا، وقصد الجزائر، فكان يقضى فى بلدة بوسعادة نصف السنة من كل عام، وأشهر إسلامه وتسمى بناصر الدين (١٩٢٧)، وحج إلى بيت الله الحرام (١٩٢٨).

من آثاره: صنف بمعاونة سليمان بن إبراهيم (محمد فى السير النبوية)، وله بالفرنسية (حياة العرب)، و (حياة الصحراء)، و (أشعة خاصة بنور الإسلام)، و (الشرق فى نظر الغرب)، و (الحج إلى بيت الله الحرام).

(٥) أشعة خاصة بنور الإسلام، ص ٣٥.

« .. أحس المشركون، فى دخيلة نفوسهم، أن قد غزا قلوبهم ذلك الكلام العجيب الصادر من أعماق قلب الرسول الملهم ﷺ وكلهم كثيراً ما كانوا على وشك الخضوع لتلك الألفاظ الأخاذة التى ألهمها إيمان سماوى، ولم يمنعهم عن الإسلام إلا قوة حبهم لأعراض الدنيا ..»(١).

«إن معجزة الأنبياء الذين سبقوا محمداً كانت فى الواقع معجزات وقتية وبالتالى معرضة للنسيان السريع. بينما نستطيع أن نسمى معجزة الآيات القرآنية: (المعجزة الخالدة) وذلك أن تأثيرها دائم ومفعولها مستمر، ومن اليسير على المؤمن فى كل زمان وفى كل مكان أن يرى هذه المعجزة بمجرد تلاوة فى كتاب الله، وفى هذه المعجزة نجد التعليل الشافى للانتشار الهائل الذى أحرزه الإسلام، ذلك الانتشار الذى لا يدرك سببه الأوروبيون لأنهم يجهلون القرآن، أو لأنهم لا يعرفونه إلا من خلال ترجمات لا تنبض بالحياة فضلاً عن أنها غير دقيقة»(٢).

«إن كان سحر أسلوب القرآن وجمال معانيه، يحدث مثل هذا التأثير فى (نفوس علماء) لا يمتون إلى العرب ولا إلى المسلمين بصلة، فماذا ترى أن يكون من قوة الحماسة التى تستهوى عرب الحجاز وهم الذين نزلت الآيات بلغتهم الجميلة؟.. لقد كانوا لا يسمعون القرآن إلا وتتملك نفوسهم انفعالات هائلة مباغتة، فيظلون فى مكانهم وكأنهم قد سمِّروا فيه. أهذه الآيات الخارقة تأتى من محمد ﷺ ذلك الأمى الذى لم ينل حظّاً من المعرفة؟.. كلا إن هذا القرآن لمستحيل أن يصدر عن محمد، وإنه لا مناص من الاعتراف بأن الله العلى القدير هو الذى أملى تلك الآيات البينات..»(٣).

«لا عجب أن نرى النبى الأمى يتحدى الشعراء، ويعترف لهم بحق نعتهم له بالكذب، أن ائتوا بعشر سور من مثله، فقد آمن بعجزهم عن ذلك»(٤).

---

(١) محمد رسول الله، ص ١٠٦.
(٢) محمد رسول الله، ص ١١٨.
(٣) محمد رسول الله، ص ١١٩ ـ ١٢١.
(٤) محمد رسول الله، ص ١٢١.

ديورانت[1]

«.. ظل (القرآن) أربعة عشر قرناً من الزمان محفوظاً فى ذاكرة (المسلمين) يستثير خيالهم، ويشكل أخلاقهم، ويشحذ قرائح مئات الملايين من الرجال. والقرآن يبعث فى النفوس أسهل العقائد، وأقلها غموضاً، وأبعدها عن التقيد بالمراسم والطقوس، وأكثرها تحرراً من الوثنية والكهنوتية. وقد كان له أكبر الفضل فى رفع مستوى المسلمين الأخلاقى والثقافى، وهو الذى أقام فيهم قواعد النظام الاجتماعى والوحدة الاجتماعية، وحرضهم على اتباع القواعد الصحيحة، وحرر عقولهم من كثير من الخرافات والأوهام، ومن الظلم والقسوة، وحسَّن أحوال الأرقاء، وبعث فى نفوس الأذلاء الكرامة والعزة، وأوجد بين المسلمين.. درجة من الاعتدال والبعد عن الشهوات لم يوجد لها نظير فى أية بقعة من بقاع العالم يسكنها الرجل الأبيض..»[2].

روزنتال[3]

«من الدوافع العملية لدراسة التاريخ توفر المادة التاريخية فى القرآن مما دفع مفسريه إلى البحث عن معلومات تاريخية لتفسير ما جاء فيه. وقد أصبح الاهتمام بالمادة التاريخية، على مر الزمن، أحد فروع المعرفة التى تمت بالارتباط بالقرآن. وإذا كان الرسول ﷺ قد سمع بعض الأخبار والمعلومات التاريخية، فإن هذا لا يبرر

---

(١) ول ديورانت W. Durant

مؤلف أمريكى معاصر، يعد كتابه (قصة الحضارة) ذو الثلاثين مجلداً، واحداً من أشهر الكتب التى تؤرخ للحضارة البشرية عبر مساراتها المعقدة المتشابكة، عكف على تأليفه السنين الطوال، وأصدر جزأه الأول عام ١٩٣٥، ثم تلته بقية الأجزاء.

ومن كتبه المعروفة كذلك (قصة الفلسفة).

(٢) قصة الحضارة، ص ١٣/ ٦٨ ـ ٦٩.

(٣) فرانز روزنثال F. Rosenthal

من أساتذة جامعة ييل.

من آثاره: العديد من الدراسات والأبحاث فى المجلات الشهيرة مثل (الثقافة الإسلامية)، (الشرقيات)، (صحيفة الجمعية الأمريكية الشرقية). كما ألف عدداً من الكتب من أشهرها: (مناهج العلماء المسلمين فى البحث العلمى)، و (علم التاريخ عند المسلمين).

الافتراض بأنه قد قرأ المصادر التاريخية كالتوراة فى ترجماتها العربية. لقد وردت فى القرآن معلومات تاريخية تختلف عما يدعى اليهود وجوده فى التوراة. وقد ذكر الرسول ﷺ أن اليهود والنصارى حرفوا التوراة، وتمسك المسلمون بما جاء فى القرآن.. لقد أشار القرآن إلى كثير من الأحداث التى أحاطت بالرسول ﷺ.. وكان لذلك أهمية فى التاريخ الإسلامى لأن الأحداث التى أشارت إليها الآيات صارت لها أهمية تاريخية كبرى للمسلمين، واستثارت البحوث التاريخية..»(١).

ريسلر(٢)

«.. لما كانت روعة القرآن فى أسلوبه فقد (أنزل) ليقرأ ويتلى بصوت عال. ولا تستطيع أية ترجمة أن تعبر عن فروقه الدقيقة المشبعة بالحساسية الشرقية. ويجب أن تقرأه فى لغته التى كتب بها لتتمكن من تذوق جماله وقوته وسمو صياغته. ويخلق نثره الموسيقى والمسجوع سحراً مؤثراً فى النفس حيث تزخر الأفكار قوة وتتوهج الصور نضارة. فلا يستطيع أحد أن ينكر أن سلطانه السحرى وسموه الروحى يسهمان فى إشعارنا بأن محمداً ﷺ كان ملهماً بجلال الله وعظمته»(٣).

«كان فى القرآن فوق أنه كتاب دينى خلاصة جميع المعارف.. وظل زمناً طويلاً أول كتاب يتخذ للقراءة إلى الوقت الذى شكل فيه وحدة كتاب المعرفة والتربية. ولا يزال حتى اليوم النص الذى تقوم عليه أسس التعليم فى الجامعات الإسلامية. ولا تستطيع الترجمات أن تنقل ثروته اللغوية (إذ يذبل جمال اللغة فى الترجمات كأنها زهرة قطفت من جذورها) ولذلك يجب أن يقرأ القرآن فى نصه الأصلى»(٤).

«إن القرآن يجد الحلول لجميع القضايا، ويربط ما بين القانون الدينى والقانون الأخلاقى، ويسعى إلى خلق النظام، والوحدة الاجتماعية، وإلى تخفيف البؤس

---

(١) علم التاريخ عند المسلمين، ص ٤١ ـ ٤٢.

(٢) جاك. س. ريسلر — J. S. Restler

باحث فرنسى معاصر، وأستاذ بالمعهد الإسلامى بباريس.

(٣) الحضارة العربية، ص ٣٠ ـ ٣١.

(٤) الحضارة العربية، ص ٤٥.

والقسوة والخرافات. إنه يسعى على الأخذ بيد المستضعفين، ويوصى بالبر، ويأمر بالرحمة.. وفى مادة التشريع وضع قواعد لأدق التفاصيل للتعاون اليومى، ونظم العقود والمواريث، وفى ميدان الأسرة حدد سلوك كل فرد تجاه معاملة الأطفال والأرقاء والحيوانات والصحة والملبس، إلخ..»[١].

«.. حقاً، لقد ظلت شريعة القرآن راسخة على أنها المبدأ الأساسى لحياة المسلم ولم يتعرض ما جاء فى القرآن من نظر وأخلاق ونظام لأية تغييرات ولا لتبديلات بعيدة الغور»[٢].

«يظل القرآن طيلة القرون الأولى للهجرة من جهة المبدأ مصدر الإلهام لكل العقلية الإسلامية فهو يضم بين طرافة الأفكار والأحاسيس الضرورية والكافية لتزويد أعظم الدراسات فى الفكر»[٣].

سارتون[٤]

«(إن) لغة القرآن على اعتبار أنها اللغة التى اختارها الله جل وعلا للوحى كانت، بهذا التحديد، كاملة... وهكذا يساعد القرآن على رفع اللغة العربية إلى مقام المثل الأعلى فى التعبير عن المقاصد،.. (وجعل منها) وسيلة دولية للتعبير عن أسمى مقتضيات الحياة»[٥].

(١) الحضارة العربية، ص ٥١. (٢) الحضارة العربية، ص ٧٥.

(٣) الحضارة العربية، ص ٢١٢.

(٤) جورج سارتون (١٨٨٤ ـ ١٩٥٦) G. Sarton

ولد فى بلجيكا، وحصل على الدكتوراه فى العلوم الطبيعية والرياضية (١٩١١)، فلما نشبت الحرب رحل إلى إنكلترا. ثم تحول عنها إلى الولايات المتحدة، وتجنس بجنسيتها فعين محاضراً فى تاريخ العلم بجامعة واشنطن (١٩١٦)، ثم فى جامعة هارفارد (١٩١٧ ـ ١٩٤٩). وقد أنكب على دراسة اللغة العربية فى الجامعة الأمريكية ببيروت (١٩٣١ ـ ١٩٣٢) وألقى فيها وفى كلية المقاصد الإسلامية محاضرات ممتعة لتبيان فضل العرب على التفكير الإنسانى، زار عدداً من البلدان العربية، وتمرس بالعديد من اللغات، ومنح عدة شهادات دكتوراه كما انتخب عضواً فى عشرة مجامع علمية وفى عديد من الجمعيات العالمية، وأشرف على عدد من المجلات العلمية.

من آثاره: خلف أكثر من خمسمائة بحث، وخير تصانيفه وأجمعها: (المدخل إلى تاريخ العلم) فى خمسة مجلدات (١٩٢٧، ١٩٣١، ١٩٤٧).

(٥) الثقافة الغربية فى رعاية الشرق الأوسط، ص ٣٧ ـ ٣٨.

ستيجفسكا[1]

«إن القرآن الكريم مع أنه أنزل على رجل عربى أمى نشأ فى أمة أمية، فقد جاء بقوانين لا يمكن أن يتعلمها الإنسان إلا فى أرقى الجامعات. كما نجد فى القرآن حقائق علمية لم يعرفها العالم إلا بعد قرون طويلة»[2].

ستيفنز[3]

«فى تلك الفترة من حياتى بد لى وكأننى فعلت كل شىء وحققت لنفسى النجاح والشهرة والمال والنساء.. كل شىء، ولكن كنت مثل القرد أقفز من شجرة إلى أخرى ولم أكن قانعاً أبداً. ولكن كانت قراءة القرآن بمثابة توكيد لكل شىء بداخلى كنت أراه حقّاً، وكان الوضع مثل مواجهة شخصيتى الحقيقية»[4].

«القرآن الكريم يقرر الكثير عن الزواج، وعن العلاقة بين الرجل والمرأة، وعن أى موضوع آخر تقريباً»[5].

---

(١) بوجينا غيانة ستيجفسكا Bozena - Gajane Strzewska

باحثة بولونية معاصرة، درست الإسلام فى الأزهر على يد أساتذة ومشرفين أخصائيين زهاء خمس سنوات (١٩٦١ ـ ١٩٦٥)، تمكنت خلالها من اللغة العربية كذلك، وكانت قد أنهت دراساتها العليا فى كلية الحقوق، وفى معهد اللغات الشرقية فى بولونيا.

(٢) تاريخ الدولة الإسلامية وتشريعها، ص ١٧.

(٣) كات ستيفنز C. Stephens

المغنى البريطانى ـ نمساوى الأصل ـ المشهور. بيع من أسطواناته ما يقدر بالمليون فى الستينيات وأوائل السبعينيات، اعتنق الإسلام عام ١٩٧٦ بعد أن تعرف على القرآن الكريم بواسطة شقيقه. يقضى الآن معظم وقته فى المسجد ويلعب دوراً فعالاً فى شؤون الجالية الإسلامية فى لندن.

(٤) رجال ونساء أسلموا، ١٠/ ١٠٣.

(٥) رجال ونساء أسلموا، ١٠/ ١٠٣.

سلهب[1]

«إن الآية التى أستطيب ذكرها هى التى تنبع سماحاً إذ تقول: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (العنكبوت: ٤٦). ذلك ما يقوله المسلمون للمسيحيين وما يؤمنون به لأنه كلام الله إليهم. إنها لعبارات يجدر بنا جميعاً، مسيحيين ومسلمين، أن نرددها كل يوم، فهى حجارة الأساس فى بناء نريده أن يتعالى حتى السماء، لأنه البناء الذى فيه نلتقى والذى فيه نلقى الله: فحيث تكون المحبة يكون الله. والواقع أن القرآن يذكر صراحة أن الكتب المنزلة واحدة، وأن أصلها عند الله، وهذا الأصل يدعى حيناً (أم الكتاب) وحيناً آخر (اللوح المحفوظ) أو (الإمام المبين)..»[2].

«.. إن محمداً ﷺ كان أميّاً لا يقرأ ولا يكتب. فإذا بهذا الأمى يهدى إلى الإنسانية أبلغ أثر مكتوب حلمت به الإنسانية منذ كانت الإنسانية، ذلك كان القرآن الكريم، الكتاب الذى أنزله الله على رسوله هدى للمتقين..»[3].

«.. الإسلام ليس بحاجة إلى قلمنا، مهما بلغ قلمنا من البلاغة. ولكن قلمنا بحاجة إلى الإسلام، إلى ما ينطوى عليه من ثروة روحية وأخلاقية، إلى قرآنه الرائع الذى بوسعنا أن نتعلم منه الكثير»[4].

«لم يقدر لأى سفر، قبل الطباعة، أيّاً كان نوعه وأهميته، أن يحظى بما حظى به القرآن من عناية واهتمام، وأن يتوفر له ما توفر للقرآن من وسائل حفظته من

---

(١) نصرى سلهب D. Salhab

مسيحى من لبنان، يتميز بنظرته الموضوعية وتحريه للحقيقة المجردة، كما عرف بنشاطه الدؤوب لتحقيق التعايش السلمى بين الإسلام والمسيحية فى لبنان، وعبر الستينيات كتب العديد من الفصول وألقى العديد من المحاضرات فى المناسبات الإسلامية والمسيحية على السواء، متوخياً الهدف نفسه.

من مؤلفاته: (لقاء المسيحية والإسلام) (١٩٧٠)، و (فى خطى محمد) (١٩٧٠).

(٢) لقاء المسيحية والإسلام، ص ٢٢.

(٣) لقاء المسيحية والإسلام، ص ٢٢.

(٤) لقاء المسيحية والإسلام، ص ١٢١.

الضياع والتحريف، وصانته عما يمكن أن يشوب الأسفار عادة من شوائب»[١].

«تلك اللغة التى أرادها الله قمة اللغات، كان القرآن قمتها، فهو قمة القمم، ذلك بأنه كلام الله..»[٢].

سوسه[٣]

«يرجع ميلى إلى الإسلام.. حينما شرعت فى مطالعة القرآن الكريم للمرة الأولى.. فولعت به ولعاً شديداً.. وكنت أطرب لتلاوة آياته..»[٤].

« .. الواقع أن تحوير وتبديل مصاحف اليهود أثر أجمع عليه العلماء فى عصرنا الحالى نتيجة الدرس والتنقيب وقد جاء ذلك تأييداً علمياً للأقوال الربانية التى أوحيت قبل نيف وثلاثة عشر قرناً على لسان النبى العربى الكريم ﷺ. أما الفرقان المجيد.. فقد حافظ المسلمون عليه بحرص شديد وأمانة صادقة فهو حقًّا الكتاب المقدس الفريد الذى أجمع الكل على سلامته وطهارته من التلاعب والتحوير، وما على القارئ إلا أن يطالع ما كتبه المستشرقون فى هذا الباب.. الذين وصفوا كيفية جمعه وتدوينه، وهؤلاء أجانب غرباء كثيراً ما يصوبون أسهمهم الناقدة السامة نحو الإسلام. والواقع أن الدلائل التاريخية واضحة بأجلى وضوح مما لا يترك أى شك فى أن الفرقان الكريم لم يطرأ عليه أى تحريف أو تحوير وقد جاء كلام الله بكامله على لسان نبيه ﷺ دون أن يتغير فيه حرف واحد»[٥].

---

(١) لقاء المسيحية والإسلام، ص ٣٣٧.

(٢) لقاء المسيحية والإسلام، ص ٣٤٢.

(٣) الدكتور أحمد نسيم سوسه Dr. A. N. Sousa

باحث مهندس من العراق، وعضو فى المجمع العلمى العراقى، وواحد من أبرز المختصين بتاريخ الرى فى العراق، كان يهودياً فاعتنق الإسلام متأثراً بالقرآن الكريم.

ترك الكثير من الدراسات فى مختلف المجالات وخاصة فى تاريخ الرى، وفند فى عدد منها ادعاءات الصهيونية العالمية من الناحية التاريخية، ومن مؤلفاته الشهيرة: (مفصل العرب واليهود فى التاريخ)، و (فى طريقى إلى الإسلام) الذى تحدث فيه عن سيرة حياته.

(٤) فى طريقى إلى الإسلام ١/ ٥١.

(٥) فى طريقى إلى الإسلام ١/ ٨٦.

«ورد فى القرآن أنه جاء مهيمناً على ما بين يديه من الكتب، ويستدل من ذلك أن التعاليم الإلهية المقدسة الأصلية قد ضمن القرآن المحافظة عليها بما أوضحه من الحقيقة بإظهار الصحيح والدخيل فى الكتب الرائجة فى زمان نزوله، وعليه فيكون بهذا البيان والإيضاح قد جاء خير مهيمن على كتب الله الحقيقية وخير حافظ إياها من التلاعب»(١).

«الواقع أنه يتعذر على المرء الذى لم يتقن اللغة العربية ولم يضطلع بآدابها أن يدرك مكانة هذا الفرقان الإلهى وسموه وما يتضمنه من المعجزات المبهرة، ولما كان القرآن الكريم قد تناول كل أنواع التفكير والتشريع فقد يكون من العسير على إنسان واحد أن يحكم فى هذه المواضع كلها. وهل من مناص للمرء من الانجذاب إلى معجزة القرآن بعد تمعنه فى أمية نبى الإسلام ووقوفه على أسرار حياة الرسول ﷺ.. فقد جعل الله تعالى معجزة القرآن وأمية محمد ﷺ برهاناً على صدق النبوة وصحة انتساب القرآن له..»(٢).

«إن معجزة القرآن الكريم هى أكثر بروزاً فى عصرنا الحالى، عصر النور والعلم، مما كانت عليه فى الأزمنة التى سادها الجهل والخمول..»(٣).

سيديو(٤)

«لا تجد فى القرآن آية إلا توحى بمحبة شديدة لله.. وفيه حث كبير على الفضيلة خلال تلك القواعد الخاصة بالسلوك الخلقى.. وفيه دعوة كبيرة إلى تبادل العواطف وحسن المقاصد والصفح عن الشتائم، وفيه مقت للعجب والغضب، وفيه

---

(١) فى طريقى إلى الإسلام ١/ ٨٧.

(٢) فى طريقى إلى الإسلام ١/ ١٨٢ ـ ١٨٣.

(٣) فى طريقى إلى الإسلام ١/ ١٨٥.

(٤) لويس سيديو (١٨٠٨ ـ ١٨٧٦) L. Sedillot

مستشرق فرنسى عكف على نشر مؤلفات أبيه جان جاك سيديو الذى توفى عام ١٨٣٢ قبل أن تتاح له فرصة إخراج كافة أعماله فى تاريخ العلوم الإسلامية. وقد عين لويس أمينًا لمدرسة اللغات الشرقية (١٩٣١) وصنف كتابًا بعنوان (خلاصة تاريخ العرب) فضلاً عن (تاريخ العرب العام)، وكتب العديد من الأبحاث والدراسات فى المجلات المعروفة.

إشارة إلى أن الذنب قد يكون بالفكر والنظر، وفيه حض على الإيفاء بالعهود حتى مع الكافرين، وتحريض على خفض الجناح والتواضع، وعلى استغفار الناس لمن يسيئون إليهم، لا لعنهم ويكفى جميع تلك الأقوال الجامعة المملوءة حكمة ورشدًا لإثبات صفاء قواعد الأخلاق فى القرآن.. إنه أبصر كلّ شىء»[1].

«.. صلح القرآن ليكون نموذجًا للأسلوب وقواعد النحو.. فأوجب ذلك نشوء علم اللغة، فظهور علم البيان الذى درس فيه تركيب الكلام ومقتضى الحال والبديع وأوجه البلاغة، وأضحى لصناعة قراءة القرآن وتفسيره أكثر من مئة فرع، فأدى هذا إلى ما لا حصر له من التأليف فى كلّ منها، واغتنت اللغة العربية بتعابير جديدة كثيرة بعيدة من الفساد بمخالطة اللغات الأخرى..»[2].

«مما يجدر ذكره أن يكون القرآن، بين مختلف اللغات التى يتكلم بها مختلف الشعوب الإسلامية فى آسيا حتى الهند، وفى أفريقية حتى السودان، كتاباً يفهمه الجميع، وأن يربط القرآن هذه الشعوب المتباينة الطبائع برابط اللغة والمشاعر..»[3].

سيرويا[4]

«.. القرآن من الله بأسلوب سام رفيع لا يدانيه أسلوب البشر، وهو فى الوقت عينه، (ثورة عقيدية، هذه الثورة العقيدية لا تتعرف - لا بالبابا ولا أى مجمع لعلماء الكهنوت والقساوسة)، حيث لم يشعر الإسلام يوماً بالخشية والهلع من قيام مبدأ التحكيم العقلى الفلسفى فإذا قارنا الإسلام باليهودية والمسيحية نجد بعض

---

(١) تاريخ العرب العام، ص ٨٩، ٩٨ - ٩٩، ١٠٠، ١١٧.

(٢) تاريخ العرب العام، ص ٤٥٨.

(٣) تاريخ العرب العام، ص ٤٥٨.

(٤) هنرى سيرويا H. Serouya

مستشرق فرنسى.

من آثاره: (موسى بن ميمون: ترجمته وآثاره وفلسفته) (١٩٢١)، (الصوفية والمسيحية واليهودية)، (فلسفة الفكر الإسلامى).

الخطوط المميزة والتى لا تبدو مطابقة تماماً خاصة مع المسيحية.. فالنظام المسيحى اليهودى يخالف الإسلام حيث لا يوجد فراغ بين الخالق والخلق البشرى، هذا الفراغ لدى اليهود والمسيحيين ملىء بالواسطة.. ولا شىء من هذا يتفق مع الإسلام. فمحمد ﷺ مع كونه مبعوثاً ورسولاً من لدن الله لم يتظاهر بإنكار دعوات كل من موسى وعيسى، كل مجهوده انحصر فى تنقيتهما على ما جاء فى القرآن، الذى وضع فى العام الأول مهاجمة مبدأ الثلاثية منبهاً إلى أن عيسى ليس سوى رجل ابن مريم وليس بابن الله والقول بأن الله له ولد، هذا شرك كبير تنشق له السماء وتنفتح له الأرض وتنسحق له الجبال. أما روح القدس فما هو إلا بمثابة ملاك مثل جبريل دوره هو أن ينقل إلى عيسى ومحمد ﷺ الدعوة المقدسة، أما مريم فهى مريم العذراء وليست بأم الله..»(١).

شـــاد(٢)

«.. عندما آمنت بالتوحيد بدأت أبحث عن الحجج والبراهين التى تثبت أن القرآن هو كتاب الله تعالى وأنه آخر الكتب السماوية وخاتمها. وإننى أحمد الله إذ مكننى من حل هذه المسألة. فالقرآن الكريم هو الكتاب الوحيد الذى يعترف بكافة الكتب السماوية الأخرى، بينما نجد أنها جميعاً يرفض بعضها بعضاً.. وهذه فى الحقيقة هى إحدى خصائص ومميزات القرآن الكريم، آخر الكتب السماوية وخاتمها»(٣).

«.. إن القرآن الكريم هو الكتاب السماوى الوحيد الذى يحفظه عن ظهر قلب ألوف مؤلفة من البشر فى مختلف بقاع الأرض، بينما نجد أن الكتب المقدسة

(١) فلسفة الفكر الإسلامى، ص ٣٢ ـ ٣٣.

(٢) بشير أحمد شاد Basheer A. Shad

ولد عام ١٩٢٨، لأسرة نصرانية هندية بقرية ديان جالو الهندية، كان أبوه ماتياس مبشراً نصرانياً ولذا حرص على تنشئة ابنه على ذات الطريق، فى عام ١٩٤٧ أكمل دراسته وبدأ يعمل مبشراً فى لاهور، لكنه مثل كثيرين غيره ما لبث أن فقد قناعاته ـ كلية ـ بالنصرانية وانتهى به الأمر بعد عشرين سنة من البحث والمعاناة إلى إعلان إسلامه، (حزيران عام ١٩٦٨).

(٣) رجال ونساء أسلموا، ص ٧/ ١٩ ـ ٢٠.

الأخرى محفوظة بالخط المطبوع فقط. ومن هنا لو حدث لسبب أو لآخر أن اختفت الكتب المطبوعة يظل القرآن هو كتاب الله الوحيد المحفوظ فى الصدور. وهكذا يحق له أن يتباهى بأنه ظل فى مأمن من التحريف لم ينقص منه حرف واحد ولم يزد فيه حرف واحد منذ أن نزل به الوحى على رسول الله ﷺ. فليست هناك أية تناقضات ولا أخطاء من أى نوع فى القرآن الكريم، هذا فى الوقت الذى تعانى فيه الكتب السماوية الأخرى فى نسختها الحالية من الكثير من التغيير والتبديل. وهذا سبب آخر جعلنى أؤمن بالإسلام»(١).

فاغليرى(٢)

«إن معجزة الإسلام العظمى هى القرآن الذى تنقل إلينا الرواية الراسخة غير المنقطعة، من خلاله، أنباء تتصف بيقين مطلق. إنه كتاب لا سبيل إلى محاكاته. إن كلا من تعبيراته شامل جامع، ومع ذلك فهو ذو حجم مناسب، ليس بالطويل أكثر مما ينبغى، وليس بالقصير أكثر مما ينبغى. أما أسلوبه فأصيل فريد. وليس ثمة أيما نمط لهذا الأسلوب فى الأدب العربى تحدر إلينا من العصور التى سبقته. والأثر الذى يحدثه فى النفس البشرية إنما يتم من غير أيما عوض عرضى أو إضافى من خلال سموه السليقى. إن آياته كلها على مستوى واحد من البلاغة، حتى عندما تعالج موضوعات لا بد أن تؤثر فى نفسها وجرسها كموضوع الوصايا والنواهى وما إليها. إنه يكرر قصص الأنبياء عليهم السلام وأوصاف بدء العالم ونهايته، وصفات الله وتفسيرها، ولكن يكررها على نحو مثير إلى درجة لا تضعف من أثرها. وهو ينتقل من موضوع إلى موضوع من غير أن يفقد قوته. إننا نقع هنا على العمق والعذوبة معاً ـ وهما صفتان لا تجتمعان عادة ـ حيث تجد كل صورة

---

(١) رجال ونساء أسلموا، ص ٧/ ٢٠.

(٢) لورافيشيا فاغليرى L. Veccia Vaglieri

باحثة إيطالية معاصرة انصرفت إلى التاريخ الإسلامى قديماً وحديثاً، وإلى فقه العربية وآدابها. من آثارها: (قواعد العربية) فى جزئين (١٩٣٧ ـ ١٩٤١)، و (الإسلام) (١٩٤٦)، و (دفاع عن الإسلام) (١٩٥٢)، والعديد من الدراسات فى المجلات الاستشراقية المعروفة.

بلاغية تطبيقاً كاملاً فكيف يمكن أن يكون هذا الكتاب المعجز من عمل محمد ﷺ، وهو العربى الأمى»(١).

«لا يزال لدينا برهان آخر على مصدر القرآن الإلهى فى هذه الحقيقة: وهى أن نصه ظل صافياً غير محرف طوال القرون التى تراخت ما بين تنزيله ويوم الناس هذا، وأن نصه سوف يظل على حاله تلك من الصفاء وعدم التحريف، بإذن الله، ما دام الكون»(٢).

«إن هذا الكتاب، الذى يتلى كل يوم فى طول العالم الإسلامى وعرضه، لا يوقع فى نفس المؤمن أيما حس بالملل. على العكس، إنه من طريق التلاوة المكررة يحبب نفسه إلى المؤمنين أكثر فأكثر يوماً بعد يوم. إنه يوقع فى نفس من يتلوه أو يصغى إليه حسّاً عميقاً من المهابة والخشية. إن فى إمكان المرء أن يستظهره فى غير عسر، حتى إننا لنجد اليوم، على الرغم من انحسار موجة الإيمان، آلافاً من الناس القادرين على ترديده عن ظهر قلب. وفى مصر وحدها عدد الحفاظ أكثر من عدد القادرين على تلاوة الأناجيل عن ظهر قلب فى أوروبا كلها»(٣).

«إن انتشار الإسلام السريع لم يتم لا عن طريق القوة ولا بجهود المبشرين الموصولة. إن الذى أدى إلى ذلك الانتشار كون الكتاب الذى قدمه المسلمون للشعوب المغلوبة، مع تخييرها بين قبوله ورفضه، كتاب الله، كلمة الحق، أعظم معجزة كان فى ميسور محمد ﷺ أن يقدمها إلى المترددين فى هذه الأرض»(٤).

«فيما يتصل بخلق الكون فإن القرآن على الرغم من إشاراته إلى الحالة الأصلية وإلى أصل العالم.. لا يقيم أيما حد مهما يكن فى وجه قوى العقل البشرى، ولكنه يتركها طليقة تتخذ السبيل الذى تريد..»(٥).

---

(١) دفاع عن الإسلام، ص ٥٦ ـ ٥٧.

(٢) دفاع عن الإسلام، ص ٥٨ ـ ٥٩.

(٣) دفاع عن الإسلام، ص ٥٩.

(٤) دفاع عن الإسلام، ص ٥٩.

(٥) دفاع عن الإسلام، ص ٦٠.

فـايـس[١]

«هكذا، بإلماح إلى وعى الإنسان وعقله ومعرفته بدأ تنزيل القرآن..»[٢].

«أصبحت إلسا (زوجتى)، شأنى أنا، أكثر تأثراً مع الوقت بذلك الالتئام الباطنى بين تعاليم (القرآن) الأخلاقية وتوجيهاته العلمية. إن الله بمقتضى القرآن، لم يطلب خضوعاً أعمى من جانب الإنسان بل خاطب عقله: إنه لا يقف بعيداً عن مصير الإنسـان بل إنه (أقـرب إليك من حـبل الوريد) إنه لم يرسم أى خط فـاصل بين الإيمان والسلوك الاجتماعى»[٣].

«.. لقد عـرفت الآن، بصورة لا تقبل الجدل، أن الكتاب الذى كنت ممسكاً به فى يدى كان كتاباً موحى به من الله. فبالرغم من أنه وضع بين يدى الإنسان منذ أكثر من ثلاثة عشر قرناً فإنه توقع بوضوح شيئاً لم يكن بالإمكان أن يصبح حقيقة إلا فى عصرنا هذا المعقد، الآلى. لقد عـرف الناس التكاثر فى جميع العصـور والأزمنة ولكن هذا التكاثر لم ينتـه قط من قبل إلى أن يكون مـجـرد اشـتـيـاق إلى امتلاك الأشياء وإلى أن يصبح ملهاة حجبت رؤية أيما شىء آخر.. اليوم أكثر من أمس وغداً أكثر من اليوم.. لقد عرفت أن هذا[٤] لم يكن مجرد حكمة إنسانية من إنسان عاش فى الماضى البعيد فى جزيرة العرب النائية فمهما كان هذا الإنسـان على مثل هذا القدر من الحكمة فإنه لم يكن يستطيع وحده أن يتنبأ بالعذاب الذى

---

(١) ليوبولد فايس (محمد أسد) L. Weiss

مفكر، وصحفى نمساوى، أشهر إسلامه، وتسمى بمحمد أسد، وحكى فى كتابه القيم (الطريق إلى مكة) تفاصيل رحلته إلى الإسلام. وقد أنشأ بمعاونة وليم بكتول، الذى أسلم هو الآخر، مجلة (الثقافة الإسلامية)، فى حيدر آباد، الدكن (١٩٢٧) وكتب فيها دراسات وفيرة معظمها فى تصحيح أخطاء المستشرقين عن الإسلام.

من آثاره: ترجم صحيح البخارى بتعليق وفهرس، وألف (أصول الفقه الإسلامى)، و (الطريق إلى مكة)، و (منهاج الإسلام فى الحكم)، و (الإسلام على مفترق الطرق).

(٢) الطريق إلى مكة، ص ٣٠٣.

(٣) الطريق إلى مكة، ص ٣١٨.

(٤) يشير إلى سورة التكاثر التى أخبرت بإعجاز عن أزمة القرن العشرين.

يتميز به هذا القرن العشرون. لقد كان ينطق لى، من القرآن، صوت أعظم من صوت محمد»[1].

فيشر[2]

« إن القرآن كلام الله يشد فؤاد المسلم، وتزداد روعته حين يتلى عليه بصوت مسموع، ولكنه لا يفهم هذه الروعة كما لم يفهمها زملاؤه الذين سبقوه إلى الاعتراف ببلاغة القرآن، واعتماداً على أثره البليغ فى قلوب قرائه وسامعيه، ثم يقفون عند تقرير هذه البلاغة بشهادة السماع»[3].

« .. إن القرآن كتاب تربية وتثقيف، وليس كل ما فيه كلاماً عن الفرائض والشعائر، وإن الفضائل التى يحث عليها المسلمين من أجمل الفضائل وأرجحها فى موازين الأخلاق، وتتجلى هداية الكتاب فى نواهيه كما تتجلى فى أوامره..»[4].

جب[5]

«إذا رأى أحد أن إلحاح القرآن على فعل الخير غير كثير أثبتنا له بالحجة القاطعة خطأه وسقنا إليه ذلك التعريف الشامل للبر فى تلك الآية العظيمة ﴿لَيْسَ

---

(١) الطريق إلى مكة، ص ٣٢٨ ـ ٩٣٢.

(٢) الدكتور سدنى فيشر Sydney Fisher

أستاذ التاريخ فى جامعة أوهايو الأمريكية، وصاحب الدراسات المتعددة فى شؤون البلاد الشرقية التى يدين الأكثرون من أبنائها بالإسلام. مؤلف كتاب (الشرق الأوسط فى العصر الإسلامى) والذى يناقش فيه العوامل الفعالة التى يرجع إليها تطور الشعوب والحوادث فى هذه البلاد وأولها الإسلام.

(٣) الشرق الأوسط فى العصر الإسلامى، عن العقاد: ما يقال عن الإسلام، ص ٥٤.

(٤) الشرق الأوسط فى العصر الإسلامى، عن العقاد: ما يقال عن الإسلام، ص ٥٤.

(٥) سير هاملتون الكساندر روسكين جب ١٨٩٥ ـ ١٩٦٧.

يعد إمام المستشرقين الإنكليز المعاصرين، أستاذ اللغة العربية فى جامعة لندن سنة ١٩٣٠، وأستاذ فى جامعة أكسفورد منذ سنة ١٩٣٧، وعضو مؤسس فى المجمع العلمى المصرى، تفرغ للأدب العربى وحاضر بمدرسة المشرقيات بلندن.

من آثاره: (دراسات فى الآداب العصرية) (١٩٢٦)، (الفتوحات الإسلامية فى آسيا الوسطى وعلاقتها ببلاد الصين)، (رحلات ابن بطوطة)، (اتجاهات الإسلام المعاصرة)، وهو أحد محررى دائرة المعارف الإسلامية.

الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ (البقرة: ١٧٧). فالبر إذن تاج الإيمان الحق، حين يدرك المؤمن أخيراً أن الله شاهد أبداً، ويستجيب لشهوده فى كل أفكاره وأعماله»[١].

«هذه إذن، هى الرسالة التى بلغها القرآن إلى الجيل الأول من المسلمين وظل يبلغها إلى جميع الأجيال منذ ذلك العهد. فالقرآن سجل لتجربة حية مباشرة فى ميدان الألوهية، تجربة ذات طرفين: واحد مطلق وآخر متصل بشؤون الحياة العامة، ودعوة للمخلوق كى ينظم حياته ليتمكن من الأخذ بنصيب فى تلك التجربة. وحين يتبع المسلم أوامر القرآن ويسعى ليستكنه روح تعاليمه، لا بفكره فحسب بل بقلبه وروحه أيضاً، فإنه يحاول أن يستملك شيئاً من الرؤى الحدسية ومن التجربة التى كانت للرسول الحبيب. ويعظم فى عينيه مغزى كل آية فيه، لإيمانه بأنه كلام الله. ولو لم يكن هذا الإيمان شعبة من عقيدته لما تناقصت قيمته لديه من حيث هو منبع حى للإلهام والاستبصار الدينى»[٢].

«مهما يكن أمر استمداد الإسلام من الأديان التى سبقته فذلك لا يغير هذه الحقيقة أيضاً وهى: أن المواقف الدينية التى عبر عنها القرآن ونقلها إلى الناس تشمل بناء دينياً جديداً متميزاً»[٣].

«.. على الرغم مما قام به العلماء المتأخرون من تطوير لعلم كلام إسلامى منهجى، يبقى صحيحاً ما ذكرناه سابقاً وهو: أن جمهور الجماعة الإسلامية كان يتألف من شعوب أحدثت لديها ممارسة حقائق الدين ممارسة حدسية أثراً أقوى وأسرع من كل أثر خلفه أى قدر من الجدل العقلى أو من حذاقته وبراعته»[٤].

(١) دراسات فى حضارة الإسلام، ص ٢٥٤.

(٢) دراسات فى حضارة الإسلام، ص ٢٥٤.

(٣) دراسات فى حضارة الإسلام، ص ٢٥٤ ـ ٢٥٥.

(٤) دراسات فى حضارة الإسلام، ص ٢٥٥.

«إننا نخطئ خطأ فاحشاً إذا اقتصرنا على النظر إلى هذه العقيدة نظرتنا لمذهب لاهوتى أتقن بشكل وراثى من جيل إلى جيل منذ ألف وثلاثمائة سنة. إنها على العكس من ذلك يقين وإيمان حى يتجدد ويتأكد باستمرار فى قلوب المسلمين وأرواحهم وأفكارهم، ولدى العربى بشكل خاص، حين يدرس النص المقدس. لقد عارض المذهب السنى المتمسك بشكل عام ترجمة القرآن إلى اللغات الإسلامية الأخرى على الرغم من أن النص العربى يظهر فى بعض الأحيان مقترناً بترجمة تركية أو فارسية أو أردية وغيرها من اللغات. إن هذا الموقف يستند على محاكمة شرعية متماسكة تصوغ حجبها إلى حد ما بشكل عقلانى مستندة فى ذلك على اعتبارات بعيدة عن هذا الشكل العقلانى. والواقع أن القرآن لا يمكن ترجمته بشكل أساسى كما هى الحال بالنسبة للشعر الرفيع. إذ ليس بالإمكان التعبير عن مكنون القرآن باللغة العادية، ولا يمكن أن يعبر عن صوره وأمثاله لأن كل عطف أو مجاز أو براعة لغوية يجب أن تدرس طويلاً قبل أن ينبثق المعنى للقارئ. والقرآن كذلك له حلاوة وطلاوة ونظم بديع مرتب لا يمكن تحديده لأنها تعد بسحرها أفكار الشخص الذى يصغى إلى القرآن لتلقى تعاليمه. ولا شك أن تأويل كلمات القرآن إلى لغة أخرى لا يمكن إلا أن يشوهها ويحول الذهب النقى إلى فخار..»[١].

كوبولد[٢]

«.. وذكرتُ أيضاً ما جاء فى القرآن عن خلق العالم وكيف أن الله سبحانه وتعالى قد خلق من كل نوع زوجين، وكيف أن العلم الحديث قد ذهب يؤيد هذه النظرية بعد بحوث مستطيلة ودراسات امتدت أجيالاً عديدة[٣].

«إن أثر القرآن فى كل هذا التقدم (الحضارى الإسلامى) لا ينكر، فالقرآن هو

(١) الاتجاهات الحديثة فى الإسلام، ص ٣٠ ـ ٣١.

(٢) اللادى ايفلين كوبولد

نبيلة إنكليزية، اعتنقت الإسلام وزارت الحجاز، وحجت إلى بيت الله، وكتبت مذكراتها عن رحلتها تلك فى كتاب لها بعنوان: (الحج إلى مكة) (لندن ١٩٣٤) والذى ترجم إلى العربية بعنوان: (البحث عن الله).

(٣) البحث عن الله، ص ٤٥.

الذى دفع العرب إلى فتح العالم، ومكنهم من إنشاء إمبراطورية فاقت إمبراطورية الإسكندر الكبير، والإمبراطورية الرومانية سعة وقوة وعمراناً وحضارة..»[١].

«الواقع أن جمل القرآن، وبديع أسلوبه أمر لا يستطيع له القلم وصفاً ولا تعريفاً، ومن المقرر أن تذهب الترجمة بجماله وروعته وما ينعم به من موسيقى لفظية لست تجدها فى غيره من الكتب. ولعل ما كتبه المستشرق جوهونسن بهذا الشأن يعبر كل التعبير عن رأى مثقفى الفرنجة وكبار مفكريهم قال: (إذا لم يكن شعراً، وهو أمر مشكوك به، ومن الصعب أن يقول المرء بأنه من الشعر أو غيره، فإنه فى الواقع أعظم من الشعر، وهو إلى ذلك ليس تاريخاً ولا وصفاً، ثم هو ليس موعظة كموعظة الجبل ولا هو يشابه كتاب البوذيين فى شىء قليل أو كثير، ولا خطباً فلسفية كمحاورات أفلاطون، ولكنه صوت النبوة يخرج من القلوب السامية، وإن كان عالميّاً فى جملته، بعيد المعنى فى مختلف سوره وآياته، حتى إنه يُرَدَّد فى كل الأصقاع، ويرتل فى كل بلد تشرق عليه الشمس»[٢].

«أشار الدكتور مارديل المستشرق الفرنسى الذى كلفته الحكومة الفرنسية بترجمة بعض سور القرآن، إلى ما للقرآن الكريم من مزايا ليست توجد فى كتاب غيره وسواه فقال: (أما أسلوب القرآن فإنه أسلوب الخالق عز وجل وعلا، ذلك أن الأسلوب الذى ينطوى عليه كنه الكائن الذى يصدر عنه هذا الأسلوب لا يكون إلا إلهيّاً. والحق والواقع أن أكثر الكُتَّاب ارتياباً وشكّاً قد خضعوا لتأثير سلطانه وسحره، وأن سلطانه على ملايين المسلمين المنتشرين على سطح المعمور لبالغ الحد الذى جعل أجانب المبشرين يعترفون بالإجماع بعدم إمكان إثبات حادثة واحدة محققة ارتد فيها أحد المسلمين عن دينه إلى الآن. ذلك أن هذا الأسلوب.. الذى يفيض جزالة فى اتساق منسق متجانس. كان له الأثر العميق فى نفس كل سامع يفقه اللغة العربية، لذلك كان من الجهد الضائع الذى لا يثمر أن يحاول المرء (نقل) تأثير هذا النثر البديع الذى لم يسمع بمثله بلغة أخرى..»[٣].

«الواقع أن للقرآن أسلوباً عجيباً يخالف ما كانت تنتهجه العرب من نظم ونثر،

---

(١) البحث عن الله، ص ٥١.

(٢) البحث عن الله، ص ١١١ ـ ١١٢.

(٣) البحث عن الله، ص ١١٢ ـ ١١٣.

فَحُسنُ تأليفه، والتئام كلماته، ووجوه إيجازه، وجودة مقاطعه، وحسن تدليله، وانسجام قصصه، وبديع أمثاله، كل هذا وغيره جعله فى أعلى درجات البلاغة، وجعل لأسلوبه من القوة ما يملأ القلب روعة، لا يمل قارئه ولا يخلق (لايبلَى) بترديده.. قد امتاز بسهولة ألفاظه حتى قَلَّ أن تجد فيها غريباً، وهى مع سهولتها جزلة عذبة، وألفاظه بعضها مع بعض متشاكلة منسجمة لا تحس فيها لفظاً نابياً عن أخيه، فإذا أضفت إلى ذلك سمو معانيه أدركت بلاغته وإعجازه»(١).

كويليام(٢)

«من الوجه العلمى، بصرف النظر عن أنه كتاب موحى به، فالقرآن أبلغ كتاب فى الشرق.. (وهو حافل بالمنجزات السامية ملىء بالاستعارات الباهرة)..»(٣).

«أحكام القرآن ليست مقتصرة على الفرائض الأدبية والدينية.. إنه القانون العام للعالم الإسلامى، وهو قانون شامل للقوانين المدنية والتجارية والحربية والقضائية والجنائية والجزائية. ثم هو قانون دينى يدار على محوره كل أمر من الأمور الدينية إلى أمور الحياة الدنيوية، ومن حفظ النفس إلى صحة الأبدان، ومن حقوق الرعية إلى حقوق كل فرد، ومن منفعة الإنسان الذاتية إلى منفعة الهيئة الاجتماعية، ومن الفضيلة إلى الخطيئة، ومن القصاص فى هذه الدنيا إلى القصاص فى الآخرة.. وعلى ذلك فالقرآن يختلف مادياً عن الكتب المسيحية المقدسة التى ليس فيها شىء من الأصول الدينية بل هى فى الغالب مركبة من قصص وخرافات واختباط عظيم فى الأمور التعبدية.. وهى غير معقولة وعديمة التأثير»(٤).

«لقد عثرت فى دائرة المعارف العامة Popular Encyclopedia على نبذة نصها

---

(١) البحث عن الله، ص ١١٣.

(٢) عبد الله كويليام Kwelem

مفكر إنكليزى، ولد سنة ١٨٥٦، وأسلم سنة ١٨٨٧، وتلقب باسم: (الشيخ عبد الله كويليام). من آثاره: (العقيدة الإسلامية) ، و (أحسن الأجوبة).

(٣) العقيدة الإسلامية، ص ١١٩ ـ ١٢٠.

(٤) نفسه، ص ١٢٢ ـ ١٢٣.

كما يأتى (إن لغة القرآن معتبرة بأنها من أفصح ما جاء فى اللغة العربية فإن ما فيه من محاسن الإنشاء وجمال البراعة جعله باقياً بلا تقليد ودون مثيل. أما أحكامه العقلية فإنها نقية زكية إذا تأملها الإنسان بعين البصيرة لعاش عيشة هنية)..»[1].

«هذا القرآن الذى هو كتاب حكمة فمن أجال طرف اعتباره فيه وأمعن النظر فى بدائع أساليبه وما فيها من الإعجاز رآه وقد مر عليه من الزمان ألف وثلاثمائة وعشرون سنة كأنه مقول فى هذا العصر إذ هو مع سهولته بليغ مُمتَنَع ومع إيجازه مفيد للمرام بالتمام. وكما أنه كان يرى مطابقاً للكلام فى زمن ظهوره لهجة وأسلوباً كذلك يرى موافقاً لأسلوب الكلام فى كل زمن ولهجة، وكلما ترقت صناعة الكتابة قدرت بلاغته وظهرت للعقول مزاياه. وبالجملة فإن فصاحته وبلاغته قد أعجزت مصاقع البلغاء وحيرت فصحاء الأولين والآخرين. وإذا عطفنا النظر إلى ما فيه من الأحكام وما اشتمل عليه من الحكم الجليلة نجده جامعاً لجميع ما يحتاجه البشر فى حياته وكماله وتهذيب أخلاقه.. وكذا نراه ناهياً عما ثبت بالتجارب العديدة خسرانه وقبحه من الأفعال ومساوئ الأخلاق.. وكم فيه ما عدا ذلك أيضاً ما يتعلق بسياسة المدن وعمارة الملك، وما يضمن للرعية الأمن والدعة من الأحكام الجليلة التى ظهرت منافعها العظيمة بالفعل والتجربة فضلاً عن القول..»[2].

«إن من ضمن محاسن القرآن العديدة أمرين واضحين جداً أحدهما علامة الخشوع والوقار التى تشاهد دائماً على المسلمين عندما يتكلمون عن المولى ويشيرون إليه.. والثانى خلوه من القصص والخرافات وذكر العيوب والسيئات إلى آخره، الأمر الذى يؤسف عليه كثيراً لوقوعه بكثرة فيما يسميه المسيحيون (العهد القديم)..»[3].

---

(١) نفسه، ص ١٣٨.

(٢) نفسه، ص ١٣٩ ـ ١٤٠.

(٣) أحسن الأجوبة عن سؤال أحد علماء أوروبة، ص ٢٣ ـ ٢٦.

لاندو(١)

«إن مهمة ترجمة القرآن بكامل طاقته الإيقاعية، إلى لغة أخرى، تتطلب عناية رجل يجمع الشاعرية إلى العلم، فإننا لم نعرف حتى وقت قريب ترجمة جيدة استطاعت أن تتلقف شيئاً من روح الوحى المحمدى. والواقع أن كثيراً من المترجمين الأوائل لم يعجزوا عن الاحتفاظ بجمال الأصل فحسب، بل كانوا إلى ذلك مفعمين بالحقد على الإسلام إلى درجة جعلت ترجماتهم تنوء بالتحامل والغرض. ولكن حتى أفضل ترجمة ممكنة للقرآن فى شكل مكتوب لا تستطيع أن تحتفظ بإيقاع السور الموسيقى الآسر، على الوجه الذى يرتلها به المسلم. وليس يستطيع الغربى أن يدرك شيئاً من روعة كلمات القرآن وقوتها إلا عندما يسمع مقاطع منه مرتلة بلغته الأصلية»(٢).

« .. كلف كاتب الوحى، زيد بن ثابت، جمع الآيات القرآنية فى شكل كتاب وكان أبو بكر رضي الله عنه قد أشرف على هذه المهمة. وفيما بعد، إثر جهد مستأنف بذل بأمر من الخليفة عثمان رضي الله عنه اتخذ القرآن شكله التشريعى النهائى الذى وصل إلينا سليماً لم يطرأ عليه أى تحريف»(٣).

« .. إن بين آيات قصار السور ترابطاً باهراً له تأثيره الوجدانى برغم أنه ليس ثمة أيما وزن نظامى. وفى الحق إن سماع السور تتلى فى الأصل العربى، كثيراً ما يخلف فى نفس المرء تأثيراً بليغاً. لقد أريد بالقرآن.. أن يتلى فى صوت جهير. ويتعين على المرء أن يسمعه مرتلاً لكى يحكم عليه حكماً عادلاً ويقدره حق قدره..

(١) روم لاندو R. Landau

نحات وناقد فنى إنكليزى، زار زعماء الدين فى الشرق الأدنى (١٩٣٧)، وحاضر فى عدد من جامعات الولايات المتحدة (١٩٥٢ ـ ١٩٥٧)، أستاذ الدراسات الإسلامية وشمالى أفريقيا فى المجمع الأمريكى للدراسات الآسيوية فى سان فرنسيسكو (١٩٥٣).

من آثاره: (الله ومغامراتى) (١٩٣٥)، (بحث عن الغد) (١٩٣٨)، (سلم الرسل) (١٩٣٩)، (دعوة إلى المغرب) (١٩٥٠)، (سلطان المغرب) (١٩٥١)، (فرنسا والعرب)، (الفن العربى) (١٩٥٥).. وغيرها.

(٢) الإسلام والعرب، ص ٣٦ ـ ٣٧.

(٣) نفسه، ص ٢٩٦.

وبوصفه كلمة الله الحقيقية، كان معجزاً لا سبيل إلى محاكاته، ولم يكن ثمة، بكل بساطة، أيما شىء من مثله»(١).

لوبون(٢)

«.. إن أصول الأخلاق فى القرآن عالية علوّاً ما جاء فى كتب الديانات الأخرى جميعها، وإن أخلاق الأمم التى دانت له تحولت بتحول الأزمان والعروق مثل تحول الأمم الخاضعة لدين عيسى عليه السلام.. إن أهم نتيجة يمكن استنباطها هى تأثير القرآن العظيم فى الأمم التى أذعنت لأحكامه، فالديانات التى لها ما للإسلام من السلطان على النفوس قليلة جداً، وقد لا تجد ديناً اتفق له ما اتفق للإسلام من الأثر الدائم، والقرآن هو قطب الحياة فى الشرق وهو ما نرى أثره فى أدق شؤون الحياة»(٣).

«إن هذا الكتاب (القرآن) تشريع دينى وسياسى واجتماعى، وأحكامه نافذة منذ عشرة قرون..»(٤).

ليختنشتاتر(٥)

«.. إن المسلم العصرى يعتقد أن كتابه المنزل يسمح له، بل يوجب عليه، أن يعالج مشكلات عصره بما يوافق الدين ولا يضيع المصلحة أو يصد عن المعرفة كما انتهت إليها علوم زمنه.. وإن مزية القرآن - فى عقيدة المسلم - أنه متمم للكتب

(١) نفسه، ص ٢٩٦ - ٢٩٧.

(٢) جكوستاف لوبون Dr. G. Lebon

ولد عام ١٨٤١ م، وهو طبيب، ومؤرخ فرنسى، عنى بالحضارات الشرقية.

من آثاره: (حضارة العرب) (باريس ١٨٨٤)، (الحضارة المصرية)، و (حضارة العرب فى الأندلس).

(٣) حضارة العرب، ص ٤٣١ - ٤٣٢.

(٤) النتائج الأولى للحرب (عن: محمد كرد على: الإسلام والحضارة العربية، ١/ ٧٤).

(٥) الدكتورة إلسه ليختنشتاتر Ilse Lictenstadter

سيدة ألمانية، درست العلوم العربية والإسلامية فى جامعة فرانكفورت، ثم فى جامعة لندن، وأقامت زهاء ثلاثين سنة بين بلاد الشرقين الأدنى والأوسط، وعنيت عناية خاصة بدعوات الاجتهاد والتجديد والمقابلة بين المذاهب. من مؤلفاتها (الإسلام والعصر الحديث).

السماوية ويوافقها فى أصول الإيمان، ولكنه يختلف عنها فى صفته العامة فلا يرتبط برسالة محدودة تمضى مع مضى عهدها ولا بأمة خاصة يلائمها ولا يلائم سواها. وكل ما يراد به الدوام، ينبغى أن يوافق كل جيل ويصلح لكل أوان»(١).

«إنه من الضرورى لإدراك عمل القرآن من حيث هو كتاب دينى وكتاب اجتماعى أن ندرك صدق المسلم حين يؤكد أن القرآن يمكن أن يظل أساساً لإدراك الحكم المعقدة التى تعالج مشكلات المجتمع الحديث. فإن النبى ﷺ يرى أن القرآن هو حلقة الاتصال بين الإله فى كماله الإلهى وبين خليقته التى يتجلى فيها بفيوضه الربانية وآيتها الكبرى الإنسان. وإن واجب الإنسان أن يعمل بمشيئة الله للتنسيق بين العالم الإلهى وبين عالم الخلق والشهادة، وخير ما يدرك به هذا المطلب أن تتولاه جماعة إنسانية تتحرى أعمق الأوامر الإلهية وألزمها وهى أوامر العدل للجميع والرحمة بالضعيف والرفق والإحسان. وتلك هى الوسائل التى يضعها الله فى يد الإنسان لتحقيق نجاته، فهو هنا مسؤول عن أعماله ومسؤول كذلك عن مصيره»(٢).

مونتاى(٣)

«إننى لا أشك لحظة فى رسالة محمد ﷺ. وأعتقد أنه خاتم الأنبياء والمرسلين، وأنه بُعث للناس كافة، وأن رسالته جاءت لختم الوحى الذى نزل فى التوراة والإنجيل. وأحسن دليل على ذلك هو القرآن المعجزة. فأنا أرفض خواطر بسكال العالم الأوروبى الحاقد على الإسلام والمسلمين إلا خاطرة واحدة وهى قوله: ليس القرآن من تأليف محمد ﷺ، كما أن الإنجيل ليس من تأليف متى»(٤).

---

(١) الإسلام والعصر الحديث، عن العقاد: ما يقال عن الإسلام، ص ١٩.

(٢) نفسه، ص ١٩.

(٣) فنساى مونتاى: المنصور بالله الشافعى F. Montague

فرنسى، رجل باحث وترحال، اختص بدراسة القضايا الإسلامية والغربية، عن كثب، قضى سنوات عديدة فى المغرب والمشرق وانتهى الأمر به إلى إعلان إسلامه فى صيف عام ١٩٧٧.

(٤) رجال ونساء أسلموا، ٥/ ٤٥.

« .. إن مثل الفكر العربى الإسلامى المبعد عن التأثير القرآنى كمثل رجل أفرغ من دمه»(١).

هونى(٢)

« .. لن أستطيع مهما حاولت، أن أصف الأثر الذى تركه القرآن فى قلبى، فلم أكد أنتهى من قراءة السورة الثالثة من القرآن حتى رددتنى ساجدة لخالق هذا الكون، فكانت هذه أول صلاة لى فى الإسلام..»(٣).

وات(٤)

«يعتبر القرآن مزيلا قلاقل العصر نتيجة أسباب دينية بالرغم من الأسباب الاقتصادية والاجتماعية والأخلاقية وأنه لا يمكن تقويمها إلا باستخدام الوسائل الدينية مثل كل شىء. وإنه لمن الجرأة الشك فى حكمة القرآن نظراً لنجاح محمد ﷺ فى تبليغ الرسالة التى أمره الله بتبليغها..»(٥).

«يجب علينا فى رأيى، مهما كان موقفنا الدينى، أن نعتبر رسالة القرآن انبثاقاً خلاقاً فى الوضع المكى. ولا شك أنه كانت توجد مشاكل تتطلب الحل، وأزمات حاول البعض تخفيفها، ولكن كان يستحيل الانتقال من هذه المشاكل وتلك الأزمان

---

(١) نفسه، ص ٥/ ٥٠ ـ ٥١.

(٢) عائشة برجت هونى Ayesha Bridget Honey

نشأت فى أسرة إنكليزية مسيحية، وشغفت بالفلسفة، ثم سافرت إلى كندا لإكمال دراستها، وهناك فى الجامعة أتيح لها أن تتعرف على الإسلام، وأن تنتهى إليه، وقد عملت مدرسة فى مدرسة عليا فى نيجيريا.

(٣) رجال ونساء أسلموا، ص ١/ ٥٩ ـ ٦٠.

(٤) مونتجومرى وات Montgomery, Watt

عميد قسم الدراسات العربية فى جامعة أدنبرا سابقاً.

من آثاره: (عوامل انتشار الإسلام)، (محمد فى مكة)، (محمد فى المدينة)، (الإسلام والجماعة الموحدة)، وهو دراسة فلسفية اجتماعية لرد أصل الوحدة العربية إلى الإسلام (١٩٦١).

(٥) محمد فى مكة، ص ١٣٥.

إلى رسالة القرآن بواسطة التفكير المنطقى.. ولا شك أن رسالة القرآن تحل مشاكل اجتماعية وأخلاقية وفكرية، ولكن لا تحلها جميعاً دفعة واحدة وليس بصورة بديهية. ولربما قال مؤرخ دنيوى إن محمداً وقع صدفة على أفكار كانت بمثابة المفتاح لحل المشاكل الأساسية فى زمانه، ليس هذا ممكناً. ولا يمكن للمحاولات التجريبية ولا للفكر الناقد أن يفند لنا كما يجب رسالة القرآن»(١).



(١) المرجع نفسه، ص ١٣٥ ـ ١٣٦.

ثانياً: شهادات متفرقة

١ ـ الفيلسوف الفرنسى (جوستاف لوبون)

ولد عام ١٨٤١ وتوفى عام ١٩٣١

«القرآن قانون دينى وسياسى واجتماعى، وأحكامه نافذة منذ قرون كثيرة، والمسلمون إخوة يعبدون إلهاً واحداً، وشريعتهم واحدة يبغضون ما يبغضون ويحبون ما يحبون، ويجمع الحج كل سنة فى مكة جماعات المؤمنين، وحرص الإسلام على تقرير المساواة فى أكمل صورها وجعلها من العقائد الأساسية التى يجب أن يدين بها كل مسلم».

٢ ـ توماس كارليل (١٧٩٥ ـ ١٨٨١):

«لا شك أن القرآن، ذلك الأسلوب الذى لم يستطع أبلغ بلغاء عصر محمد أن يأتى بمثله، أنزله الله عليه ليكون شريعة الوجود إلى يوم البعث».

٣ ـ سير هاملتون جيب:

«حقيقة الإسلام نابعة من القرآن الذى ما ترك شيئاً فى الدنيا إلا ولمسه، وقدمه، وقدم له، وأعطى أيضاً مفاتيح المستقبل لأصحاب العقول».

٤ ـ إدوارد هنرى بالمر (١٨٤٠ ـ ١٨٨٣)

«سيأتى يوم يصبح فيه الإسلام دين العالم، فهذا هو الدين الذى لم يترك كتابه الكريم شاردة ولا واردة إلا جاء بها ـ لم يكن لى خيار حين سميت نفسى عبد الله، فقد كنت مسلماً وأفخر أن أظل بهذا الاسم».

٥ ـ سير توماس أرنولد (١٨٦٤ ـ ١٩٣٠)

«القرآن الكريم يأمر بالدعوة والإقناع، وينهى عن الإكراه حيث يقول «ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن».

٦ ـ رينولد ألين نيكولسن (١٨٦٨ ـ ١٩٤٥)

«استحق القرآن أن يُكَرَّم، لأنه بالفعل الكتاب الإلهى الذى يجب على البشر جميعاً العمل به، لأنه جاء لخيرهم».

«القرآن الكريم له بلاغة مؤثرة فى الوجدان، والبلاغة التى تؤثر فى الوجدان لا يمكن أن تكون من صنع بشر كما يدعى البعض».

«إن القرآن الكريم دستور إلهى فعلاً فهو يقنن الحياة بعيداً عن حياة الغاب، إلى حياة التحضر الكامل واستمعوا إلى القرآن واعملوا به تجدوه يخطط للحياة بأسلوب راقٍ ويتناول حضارى قلما تجده فى الكتب التى سبقته».

٧ ـ ڤولتير

«مما لا شك فيه أن الإسلام له كتاب ما حُرِّف لأنه ليس فى قدرة بشر أن يأتى بحرف فيه. فالذى جاء به الوحى لا يمكن لإنسان أن يقلده».

٨ ـ تشارلز جوزيف آدمز

«الذى يقرأ القرآن، يحس أنه ليس من صنع البشر، وإنما جاءت به السماء على محمد، صاحب الصوت الرخيم، الذى أضاف بصوته حسّاً وقبولاً وقوة وجدت طريقها إلى عقول وقلوب الذين آمنوا به، ففتح بهم، وانتصر بهم، ولو لم يمت لكان الإسلام هو دين العالم، وكان القرآن، هو الكتاب الوحيد، الذى يقدم للحياة، الطريق إلى الصلاح والسلام».

٩ ـ يوهان فولفانج فون جوته

لم أجد كيانى كله يهتز، إلا وأنا أقرأ القرآن.

لم أجد عقلى وقلبى فى خشوع إلا وأنا أقرأ هذا الكتاب السماوى العزيز فى كل شىء.



الفصل الثانى

الإسلام فى عيون غربية منصفة

أولاً: الإسلام فى
عيون غربية منصفة

تقول الشاعرة ساروجينى نايدو:

«لقد كان الإسلام فى المسجد عند أداء الصلاة، وفى ساحة الحرب إذ يقاتل المسلمون صفّاً، وكانت عدالة الإسلام تطبق خمس مرات فى اليوم، عندما كان الأمير والفقير يركعان ويسجدان كتفاً إلى كتف.. لقد شدتنى مرات ومرات وحدة الإسلام التى لا تتجزأ والتى تجعل من الإنسان أخاً للإنسان»[١].

ويقول الأمير البريطانى تشارلز

«إن الإسلام يمكن أن يعلمنا طريقة للتفاهم والعيش فى العالم، الأمر الذى فقدته المسيحية، فالإسلام يرفض الفصل بين الإنسان والطبيعة، والدين والعلم، والعقل والمادة»[٢].

وتقول المستشرقة الألمانية زيغريد هونكه:

«لا إكراه فى الدين، هذا ما أمر به القرآن الكريم، فلم يفرض العرب على الشعوب المغلوبة الدخول فى الإسلام، فبدون أى إجبار على انتحال الدين الجديد اختفى معتنقو المسيحية اختفاء الجليد، إذ تشرق الشمس عليه بدفئها! وكما تميل الزهرة إلى النور ابتغاء المزيد من الحياة، هكذا انعطف الناس حتى من بقى على دينه، إلى السادة الفاتحين»[٣].

---

(١) (مثاليات الإسلام) ساروجينى نايدو (١٦٩).

(٢) (الإسلام والغرب) محاضرة الأمير تشارلز فى مركز أوكسفورد للدراسات الإسلامية عام ١٩٩٣.

(٣) شمس الله تسطع على الغرب) زيغريد هونكه (٣٦٤ ـ ٣٦٦).

ويقول غوستاف لوبون فى «التمدن الإسلامى»:

«كل ما جاء فى الإسلام يرمى إلى الصلاح والإصلاح، والصلاح أنشودة المؤمن، وهو الذى أدعو إليه المسيحيين».

ويقول المستشرق بول دى ركلا:

«يكفى الإسلام فخراً أنه لا يقر مطلقاً قاعدة (لا سلام خارج الكنيسة) التى يتبجح بها كثير من الناس، والإسلام هو الدين الوحيد الذى أوجد بتعاليمه السامية عقبات كثيرة تجاه ميل الشعوب إلى الفسق والفجور»[١].

الإسلام دين التسامح:

يقول المستشرق بارتلمى سانت هلر:

«إن دعوة التوحيد التى حمل لواءها الإسلام، خلصت البشرية من وثنية القرون الأولى»[٢].

ويقول العلامة الكونت هنرى دى كاسترى:

«درست تاريخ النصارى فى بلاد الإسلام، فخرجت بحقيقة مشرقة هى أن معاملة المسلمين للنصارى تدل على لطف فى المعاشرة، وهذا إحساس لم يؤثر عن غير المسلمين.. فلا نعرف فى الإسلام مجامع دينية، ولا أحباراً يحترفون السير وراء الجيوش الغازية لإكراه الشعوب على الإيمان»[٣].



(٢) عن (مقدمات العلوم والمناهج) أنور الجندى (/١٣٣).

(٣) عن (مقدمات العلوم والمناهج) (١١٩/٨).

(٤) عن (التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام) محمد الغزالى (١٩٤ ـ ١٩٦).

ويبين الشاعر جوته ملامح هذا التسامح في كتابه (أخلاق المسلمين) فيقول:

«للحق أقول: إن تسامح المسلم ليس من ضعف، ولكن المسلم يتسامح مع اعتزازه بدينه، وتمسكه بعقيدته».

ويؤكد هانوتو إعجابه بروعة التسامح الإسلامى فيقول:

«إننا مدينون للمسلمين بالعدل والسلم والتساهل الدينى، ومن الواجب أن ندرس هذا الدين ونبذل جهدنا فى فهمه، وعلينا أن نتخذ (لا إكراه فى الدين) شعاراً»[1].

ويقول المستشرق لين بول:

«فى الوقت الذى كان التعصب الدينى قد بلغ مداه جاء الإسلام ليهتف (لكم دينكم ولى دين)، وكانت هذه المفاجأة للمجتمع البشرى الذى لم يكن يعرف حرية التدين، وربما لم يعرفها حتى الآن»[2].

الإسلام ملاذ الإنسانية:

يقول المفكر آرثر هاملتون:

«لو توخى الناس الحق لعلموا أن الدين الإسلامى هو الحل الوحيد لمشكلات الإنسانية»[3].

ويؤكد هذا المعنى عالم القانون مارسيل بوازار:

«إن دخول الإسلام إلى الساحة العالمية، وإعادة الأمر إلى نصابه بتحقيق التوازن المطلوب، ليس هو مجرد مشاركة فعالة، وإنما هو إنقاذ للوضع البشرى المنهار».

---

(١) عن (الإسلام والمسيحية مع العلم والمدنية) الإمام محمد عبده (١٦٢) وهو كتاب قيم ننصح بقراءته.

(٢) عن (الإسلام) د. أحمد شلبى (٢٩٦).

(٣) عن (محمد فى الآداب العالمية المنصفة) محمد عثمان (٦٢).

ويقول الفيلسوف جورج برناردشو:

«الإسلام هو الدين الذى نجد فيه حسنات الأديان كلها، ولا نجد فى الأديان حسناته! ولقد كان الإسلام موضع تقديرى السامى دائماً، لأنه الدين الوحيد الذى له ملكة هضم أطوار الحياة المختلفة، والذى يملك القدرة على جذب القلوب عبر العصور[1].. قد برهن الإسلام من ساعاته الأولى على أنه دين الأجناس جميعاً، إذ ضم سلمان الفارسى وبلالاً الحبشى وصهيباً الرومى فانصهر الجميع فى بوتقة واحدة»[2].

ويقول شاعر فرنسا (لامارتين):

«الإسلام هو الدين الوحيد الذى استطاع أن يفى بمطالب البدن والروح معاً، دون أن يُعرِّض المسلم لأن يعيش فى تأنيب الضمير... وهو الدين الوحيد الذى عباداته بلا صور، وهو أعلى ما وهبه الخالق لبنى البشر»[3].

الإسلام دين الفطرة والتوحيد:

يقول المستشرق النرويجى المنصف الدكتور إينربرج:

«يعتبر الطفل فى الإسلام مولوداً على الفطرة، أما المسيحيون فيحكمون على الطفل أنه يولد متحملاً للخطيئة، وقبل مائة عام كانوا يغطسون أطفالهم فى الماء حتى يطهروا من الخطيئة، فإذا ماتوا قبل الغسل لم يدفنوهم! وإنما يلقونهم فى القمامة لأنهم متسخون بالخطيئة!»[4].

وتقول الأديبة مى زيادة:

«الدين المسيحى أقرب إلى النظريات، وعلى نقيضه الإسلام فإنه نظرى وعملى معاً[5]... ولا تملأ هاوية النفس غير عطور الشرق، وتلك الأصداء المرفرفة الهابطة من أعالى المآذن مرددة (لا إله إلا الله)»[6].

(١) من رسالته (نداء للعمل). (٢) عن (الإسلام) د. أحمد شلبى (٢٩٤).

(٣) (السفر إلى الشرق) لامارتين (٤٧).

(٤) عن كتاب (حوارات مع أوربيين غير مسلمين) للدكتور عبد الله الأهدل (١٦٤).

(٥) (المساواة) مى زيادة (٥٣). (٦) (الصحائف) مى زيادة (٩٢).

ويقول المستشرق روم لاندو:

«إن شهادة التوحيد فيها من الحيوية ما يقطع بضربة واحدة شجرة الوثنية... وإن المسلم ينعم بالأمن والطمأنينة لأن فى إمكانه أن يبلغ مثل دينه الأعلى هنا على سطح الأرض.. فالإسلام دين عملى وميسر... لقد كان الإسلام ديناً توحيديّاً على نحو لا يعرف هوادة، ديناً واقعيّاً شاملاً ينظم كل شىء»[1].

الإسلام دين الأخوة والمساواة:

يقول عميد الدراسات التبشيرية فى أمريكا (ساليب) فى كتابه (المسلم يواجه المستقبل):

«إن المتحول إلى الإسلام يصلى إلى جانب أستاذه! وإن الإخوة فى الإسلام ليست دينية فحسب، وإنما اجتماعية أيضاً.. الإسلام لا يرسم خطاً لونياً بين الأبيض والأسود».

ويقول المؤرخ أرنولد توينبى فى (دائرة المعارف التاريخية):

«إننى أدعو العالم إلى الأخذ بمبدأ الإخاء والمساواة الإسلامى، فعقيدة التوحيد التى جاء بها الإسلام هى أروع الأمثلة على فكرة توحيد العالم. وإن فى بقاء الإسلام أملاً للعالم كله».

ويقول المؤرخ ولز فى (معالم تاريخ الإنسانية):

«الإسلام مملوء بروح الرفق والسماحة والأخوة، وعقيدته سهلة يسيرة الفهم، أوصلها محمد إلى القلوب دون أى فرية مبهمة».

الإسلام دين القوة والعزيمة:

يقول المؤرخ ول ديورانت:

«ليس فى التاريخ دين غير الإسلام يدعو أتباعه على الدوام إلى أن يكونوا أقوياء، وليس فى التاريخ دين فرض على الأغنياء ما فرضه الإسلام من الضرائب لإعانة الفقراء»[2].

(١) (الإسلام والعرب) روم لاندو (٤٨ ـ ٥٢ ـ ٢١٠).

(٢) فى موسوعته (قصة الحضارة) الجزء الحادى عشر.

ويقول المؤرخ مونتجمرى وات فى (الإسلام والجماعة المتحدة):

«إن سر القوة فى الإسلام أنه منح الفرد مقياساً للحياة هو مقياس الضمير الحر، وأنه وهب الجماعة المسلمة مبدأ (الأمة) هذا المبدأ الذى تفرد به الإسلام لم يزل ينبوعاً لكل فيض من فيوض الإيمان، ويدفع المسلمين إلى (الوحدة) فى أمة واحدة تختفى فيها حواجز الأجناس واللغات».

ويقول الممثل العالمى أنطونى كوين:

«أحسست أن الإسلام قوة غير عادية بعد أن درست ومثلت حياة عمر المختار!».

قلت: كيف لا يخامره هذا الشعور عندما يقرأ قول الشهيد عمر المختار قبل إعدامه: لئن كسر المدفع سيفى، فلن يكسر الباطل حقى».

ويقول المؤرخ كروبر فى (طبيعة الثقافة):

«لقد انتشر الإسلام فى العالم كله فى زمن يسير، كما ينتشر شعاع الشمس فى لحظات.. وكان انتشاره دليلاً على سمو مبادئه وغاياته وعقائده وتشريعاته، هذه المبادئ التى كانت ولا تزال تشع النور والهداية والمعرفة والعلم على الناس»(١).

ويقول جوته:

«درست تاريخ الأديان على مدى خمسين عاماً، وإن العقيدة التى يُربَّى عليها المسلمون لتدعو لأعظم دهشة!! إذ تقوم على أساس الإيمان بأنه لن يصيب الإنسان إلا ما كتبه الله له، وإنه ما من شىء ينقص هذه العقيدة، ولن يكون بإمكان أى امرئ أن يتجاوزها.. إن الإسلام هو الدين الذى سنقر به جميعاً إن عاجلاً أو آجلاً... وأنا لا أكره أن يقال عنى أنى مسلم»(٢).

وأختم هذه النقول المثلجة للصدور بسطور من كتاب جوته (الديوان الشرقى للشاعر الغربى) وأهدى هذه الكلمات إلى أهالى الشهداء فى فلسطين وفى كل بلاد المسلمين.

---

(١) المؤرخ كروبر فى (طبيعة الثقافة) ص (٣٨٨).

(٢) (جوته والعالم العربى) كاتارينا مومزن (٢٢٣ ـ ٢٢٦).

يقول جوته:

«لا تندبوا الشهداء فإنهم أحياء، لقد فتحت السماوات أبوابها لهم، وهم أولاء يقرعون أبواب الجنة يدخلونها بسلام آمنين... ويجتلون من مجالى الجمال والسنا والجلال ما اكتحلت به عين النبى فى ليلة المعراج، وفى جنة النعيم تقبل أسراب الحور العين على أجنحة النسيم، فأنعم أيها المجاهد الشهيد! إن كونك بطلاً أمر مفروغ منه عندهن، وإلا لما كنت هنا بينهن، ولكن أى الأبطال تكون؟ وسرعان ما يعرفن من جرحك الذى نقش على صدرك، فلونه لون دم وريحه ريح مسك... إن المال فان، والجاه زائل، ولا يبقى إلا طعنة كهذه لقيها المؤمن فى سبيل الله... إنهن يدعينك فى لطف وإيناس إلى شراب أهل النعيم، ذلك هو الرحيق المختوم، فأنت مع الحور العين فى مطلب جد عزيز، ومن حقك أن تطلب الجنة من أجله، فانعم بهذا الصفاء الذى ليس له كفاء!».

وعندما يصل قلم (جوته) إلى هنا يطعمه الرجاء فى رحمة الله أن يدخل الجنة مع المسلمين، ولكن حورية تستوقفه وتحاوره: «اليوم أنا الموكلة بباب النعيم، ولا أدرى ما العمل وأنت عندى ظنين؟! أتراك حقّاً من معشر المسلمين؟! هل أنت من المجاهدين؟ فاكشف إذن عن جراحك إن كنت من الصادقين»..

جوته: دعينى أدخل الجنة، لقد عشت رجلاً، أى إننى كنت من المجاهدين.. لقد عملت مع صفوة العاملين، وتألق اسمى بحروف مشبوبة الأنوار فى قلوب الصالحين الأبرار... وإذا كان الإسلام يعنى الاستسلام لله، فكلنا نحيا ونموت على الإسلام»[1](❖).



(١) (الديوان الشرقى للشاعر الغربى) لشاعر الألمان (جوته) ص (١٢٨ - ١٣٠ - ١٣١).

(❖) «من كتاب» ربحت محمداً ولم أخسر المسيح» للدكتور: عبد المعطى الدالاتى.

ثانياً: شهادات متفرقة

١ ـ القس (مليشون):

فى كتابه: سياحة دينية فى الشرق ـ تاريخ الحروب الصليبية: ـ «لما استولى عمر على مدينة أورشليم، لم يفعل بالمسيحيين ضرراً مطلقاً، ولكن لما استولى عليها المسيحيون قتلوا المسلمين ولم يشفقوا وحرقوا اليهود إحراقاً».

٢ ـ (ليودورش):

«إن الإسلام دين إنسانى طبعى اقتصادى أدبى ولم أذكر شيئاً من القوانين الوضعية إلا وجدته مشرعاً فيه، ولقد وجدت فيه حل المسألتين اللتين تشغلان العالم طرا: الأولى فى قول القرآن: «إنما المؤمنون إخوة».

فهذا أجمل مبادئ الاشتراكية، والثانية فرض الزكاة على كل ذى مال وتخويل الفقراء حق أخذها غصباً إذا امتنع الأغنياء عن دفعها طوعاً. وهذا هو دواء الفوضوية».

٣ ـ العلامة ماسينيون:

«يمتاز الإسلام بأنه يمثل فكرة مساواة صحيحة بمساهمة كل فرد من أفراد الشعب بربع العشر فى موارد الجماعة. والإسلام ينادى بالعداء للأموال المصرفية (الربا) والقروض الحكومية والضرائب غير المباشرة على ضرورات الحياة فى حين أنه شديد التمسك بحقوق الزوج والولد والملكية. وللإسلام ماض بديع من تعاون الشعوب وتفاهمها. وليس من مجتمع آخر له مثل ما للإسلام من ماض كلله النجاح فى جمع كلمة مثل هذه الشعوب الكثيرة المتباينة على بساط المساواة فى الحقوق والواجبات.

٤ ـ المؤرخ الإنجليزى الكبير (أرنولد توينبى):

«لم تكن رسالة الإسلام مقصورة على بلاد العرب. بل إن للعالم أجمع نصيباً فيه ولما لم يكن هناك غير إله واحد. كذلك لا يكون هناك غير دين يدعى إليه الناس كافة.

٥ ـ سير توماس وارنولد: فى كتاب (الدعوة إلى الإسلام):

«القول بأن الإسلام قد تقدم بالسلاح أمر ليس فيه إلا القليل جداً من الحقيقة بل إن الأمر على عكس ذلك تماماً لأن الإسلام قد لاقى الانتشار السريع بعد أن انتزع الأوروبيون السلاح من أيدى المسلمين».

٦ ـ توماس كارليل ـ ولد عام ١٧٩٥ وتوفى عام ١٨٨١ م:

«لقد مضى على هذا الدين مئتان وألف عام، وهو الدين القويم والصراط المستقيم لأكثر من سدس سكان العالم وما زال فوق ذلك ديناً يؤمن به أهله من حبات أفئدتهم ولا أحسب أن أمة اعتصمت بدينها اعتصام المسلمين بإسلامهم إذ يوقنون به كل اليقين.

٧ ـ الدكتور كونستيان سنوك:

«الإسلام لا يقاوم النصرانية لأن الإسلام فى المستقبل سيشكل نفسه حسب حاجات العصر الحديث ولن يدع النصرانية تغلبه وتسلبه أبناءه الذين كسبهم من مئات الأجيال وقد طبعوا بطابعه وصاروا جزءاً منه وهم يمثلونه فى سائر بقاع الأرض».

٨ ـ المستشرق لوسين يوفا:

«الإسلام يتفق مع مدنية زماننا الحاضر تمام الاتفاق».

٩ ـ الكاتب الشهير جورج برنارد شو. ولد عام ١٨٥٦ وتوفى عام ١٩٥٠

«لقد نادى الإسلام بالحرية والإخاء والمساواة ورسم وسائل تحقيقها وأقام موازين الحق والعدل والإنصاف ودعا إلى التعاون على البر والخير والإصلاح».

١٠ ـ جان مليا:

«فرضت الأديان على من يدينون بها معتقدات ثقيلة يصعب القيام بأعبائها لبعدها عن مدى الأفهام. على حين كان الإسلام عجيباً فى سهولته صريحاً فى فروضه. وكان هذا سبباً فى سرعة انتشاره بين الشعوب التى اضطربت نتيجة ما أصابها من الشك المضنى فى عقائدها الدينية.

١١ ـ المستشرق النمسوى المسلم (فايس):

«لقد أبطل الإسلام العصبية العرقية وشق الطريق إلى الإخاء الإنسانى وإلى المساواة ولكن المدنية الغربية لا تزال عاجزة عن أن تنظر إلى ما وراء ذلك الأفق الضيق من العداء الجنسى والقومى فالإسلام لم يعرف الطبقات الاجتماعية، ولا حروب تلك الطبقات فى مجتمعه. ولكن التاريخ الأوروبى كله منذ أيام اليونان والرومان مملوء بالصراع فيما بين الطبقات وبالعداء الاجتماعى.

١٢ ـ اللورد هيدلى:

«لو ندبت لجنة من الإنجليز الأكفاء لفحص الدين الصالح لأن يتدين به العالم كله. لأجمعوا على اختيار الإسلام».

١٣ ـ الفرنسى دوزى فى كتاب: تاريخ عرب إسبانيا:

« .. وقد تمكن الإسلام من التوغل فى أفريقيا لأنه لم يفرق بين الأبيض والأسود. فالناس جميعاً سواسية كأسنان المشط».

١٤ ـ الإنجليزى (أروان ويرث):

«إننى تبينت أننى أدين بدين الإسلام دون شعور منى بذلك».

١٥ ـ جيمس متشيز:

«كثيراً ما أحسست وأنا أعيش بين المسلمين أن الله عندهم حقيقة أكبر مما هو عند المسيحيين».

١٦ ـ شهادة للإسلام من كاردينال بالفاتيكان

قال الكاردينال بول باد ـ مسؤول المجلس الفاتيكانى للثقافة، وأحد مساعدى بابا الفاتيكان يوحنا بولس الثانى ـ فى مقابلة أجرتها معه جريدة «لوفيجارو» الفرنسية مؤخراً: «إن تزايد الحضور الإسلامى فى أوربا بات حقيقة، ويجب الاستعداد له، والتعامل معه بدون انفعال انطلاقاً من أن الجميع أبناء إبراهيم»!.

وأشار المسؤول الفاتيكانى إلى أن «المرء لا يحتاج إلى أن يكون خبيراً ضليعاً لكى يلاحظ تفاوتاً متزايداً بين معدلات النمو السكانى فى أنحاء معينة من العالم، ففى البلدان ذات الثقافة المسيحية ـ كما قال ـ يتراجع النمو السكانى بشكل تدريجى، بينما يحدث العكس فى البلدان الإسلامية الناشئة».

وأوضح الكاردينال أن «التحدى الذى يشكله الإسلام يكمن فى أنه دين، وثقافة، ومجتمع، وأسلوب حياة وتفكير، وتصرف، فى حين أن المسيحيين فى أوروبا يميلون إلى تهميش الكنيسة أمام المجتمع، ويتناسون الصيام الذى يفرضه عليهم دينهم، وفى الوقت نفسه ينبهرون بصيام المسلمين فى شهر رمضان»(*).

١٧ ـ يقول البروشادور فى حديث له عن المسلمين:

(إن هذا المسلم الذكى الشجاع، قد ترك لنا حيث حل آثار علمه وفنه، أنار مجده وفخاره. ثم يقول: من يدرى؟ قد يعود اليوم الذى تصبح فيه بلاد الإفرنج مهددة بالمسلمين. فيهبطون من السماء لغزو العالم مرة أخرى ـ ولست أدعى النبوة، ولكن الأمارات الدالة على هذا الاحتمالات كثيرة لا تقوى الذرة ولا الصواريخ على وقف تيارها)[١].

١٨ ـ ويقول مرماديوك:

(إن المسلمين يمكنهم أن ينشروا حضارتهم بنفس السرعة التى نشروها بها سابقاً، إذا رجعوا إلى الأخلاق التى كانوا عليها حينما قاموا بدورهم الأول. لأن هذا

(*) نقلاً عن جريدة «الشرق الأوسط» بتاريخ ٢١ جمادى الآخرة ١٤٢٠ هـ

(١) من كتاب لِمَ هذا الرعب من الإسلام لسعيد جودت ص (١٩ ـ ٢٣).

العالم الخاوى لا يستطيع أن يقف أمام حضارتهم)[1].

١٩ ـ ويقول الدكتور حسن عباس زكى:

أنه قرأ لمؤلف فرنسى كتاباً جاء فيه (لو أن العرب عرفوا قيمة الإسلام لحكموا العالم إلى قيام الساعة).

كما أنه قرأ لمؤلف إنجليزى كتاباً جاء فيه (إن نظام الزكاة فى الإسلام هو أفضل حل لمشاكل العالم).

٢٠ ـ وتقول العالمة الذرية (جونان التوت) ـ التى أسلمت على يد الدكتور البيصار من بين (٢٥٠) رجلاً وامرأة أشهروا إسلامهم فى اليوم نفسه ومن بينهم سفير غانا:

(المسألة ليست انتقالاً من دين إلى دين آخر. ولا هى تحد لمشاعر وطقوس توارثناها ـ إنما هى الحرية المنشودة والفردوس المفقود الذى نشعر بأننا فى أشد الحاجة إليه. نحن الشباب فى الغرب، نرفض واقع الدين الرومانسى، والواقع المادى للحياة. وحل هذه المعادلة الصعبة هى أن نشعر بالإيمان بالله) وتضيف قائلة (بعض الشباب غرق فى الرقص بحثاً عن الله، ـ فى الشيطان، فى المخدرات، وفى الهجرة إلى الديانات الشرقية القديمة. وخاصة البوذية ـ وقليلون هم الذين أعطوا لأنفسهم فرصة التأنى والبحث والدراسة. وهؤلاء وجدوا فى الدين الإسلامى حلاً للمعادلة الصعبة ـ وإذا كان عددهم لا يزال قليلاً حتى الآن، فلأن ما نسمعه عن هذا الدين العظيم مشوش، ومحرف، وغير صادق فكل ما هو معروف عندنا عن الإسلام خزعبلات رددها المستشرقون، منذ مئات السنين، ولا تزال أصداؤها قوية حتى الآن، فالدين الإسلامى كما فى إشاعات المستشرقين هو دين استعباد المرأة، وإباحة الرق وتعدد الزوجات، ودين السيف لا التسامح) وتقول أيضاً: (لا تصدقوا فكرة الحرية المطلقة فى أمريكا. والتى تنقلها لكم السينما الأمريكية، فإن فى بلادنا كثير من المتعصبين دينياً. ولذا فإننى أعرف جيداً أننى مقبلة على حرب صليبية فى بلادى وأسرتى، وستزداد هذه الحرب اشتعالاً عندما أبدأ فى إقناع غيرى بهذا

---

(١) المصدر السابق والصفحة نفسها.

الدين العظيم) ثم تقول: (لقد بدأت أحس بوجود الثواب والعقاب وهذا السلوك هو الذى سيحكم سلوكى ويضبطه فى الاتجاه الصحيح)[١].

٢١ - ويقول أحد قساوسة جنوب أفريقيا مخاطباً مبعوث مجلة الاعتصام المنتدب لزيارة المركز الإسلامى هناك:

(أنا قس من رجال الدين المسيحى أحمل اسماً مسيحياً. وهذا الاسم لا يعنيكم ولن أقوله - ولكن أقول - بالرغم من أنى دربت على المسيحية، وتعلمتها فى جامعات بريطانيا، وأُعددت لأكون راية للمسيحية، وداعية لها، إلا أنى لم أشعر بأن المسيحية استطاعت أن تجيب على تساؤلاتى، لأنها مرتبكة فى جسمى - وقد فكرت فى التخلص من المسيحية السوداء التى لا تعترف بآدميتنا، والتى جاءتنا بالإنجيل فى يد وبالعبودية فى اليد الأخرى وجاءنا أدعياؤها بالإنجيل فى يد، وبزجاجة الخمر فى اليد الأخرى). ثم يضيف قائلاً: لقد رأيتكم تصلون. فإذا بالأبيض بجانب الأسود، والغنى بجانب الفقير، والمتعلم بجانب الجاهل، لهذا أقول إن الأفريقى ليس بحاجة للمسيحية إنه فى حاجة إلى هذا الدين العظيم - وبعد أن اغرورقت عيناه بالدموع قال: لماذا حجبتم عنا هذا الدين؟ أنيروا لنا الطريق فإن مبادئ هذا الدين هى التى يمكن أن تنقذ العالم مما هو مقبل عليه من فوضى ودمار[٢].

٢٢ - ويقول أميل درمنغم الذى كتب كتاباً فى سيرة النبى محمد ﷺ:

ولما نشبت الحرب بين الإسلام والمسيحية، اتسعت هوة الخلاف، وازدادت حدة، ويجب أن نعترف بأن الغربيين كانوا السابقين إلى أشد الخلاف فمن البيزنطيين من أوقر الإسلام احتقاراً من غير أن يكلفوا أنفسهم مؤونة دراسته، ولم يحاربوا الإسلام إلا بأسخف المثالب - فقد زعموا أن محمداً لص!، وزعموه متهالكاً على اللهو!، وزعموه ساحراً!، وزعموه رئيس عصابة من قطاع الطرق! بل زعموه قساً رومانياً!!، مغيظاً محنقاً، إذ لم ينتخب لكرسى البابوية - وحسبه بعضهم إلهاً زائفاً!!! يقرب له عباده الضحايا البشرية وذهبت الأغنيات إلى حد أن جعلت

(١) مجلة الدعوة المصرية.

(٢) مجلة الاعتصام العدد (٨) السنة (٤١) رجب سنة ١٣٩٨ هـ.

محمداً صنماً من ذهب وجعلت المساجد ملأى بالتماثيل والصور[١].

٢٣ ـ وفى كتاب (معالم تاريخ الإنسانية) يقول ويلز:

(كل دين لا يسير مع المدنية فاضرب به عرض الحائط. ولم أجد ديناً يسير مع المدنية أنى سارت سوى دين الإسلام):

٢٤ ـ ويقول (هنرى دى شاميون) تحت عنوان (الانتصار الهمجى على العرب):

لولا انتصار جيش (شار مارتل) الهمجى على العرب فى فرنسا فى معركة (تور) على القائد الإسلامى (عبد الرحمن الغافقى) لما وقعت فرنسا فى ظلمات العصور الوسطى. ولما أصيبت بفظائعها ولما كابدت المذابح الأهلية الناشئة عن التعصب الدينى ـ ولولا ذلك الانتصار البربرى لنجت إسبانيا من وصمة محاكم التفتيش، ولما تأخر سير المدنية ثمانية قرون بينما كنا مثال الهمجية[٢].

٢٥ ـ ويقول (أناتول فرانس):

عن أفظع سنة فى تاريخ فرنسا هى سنة (٧٣٢) م وهى السنة التى حدثت فيها معركة (بواتيه) والتى انهزمت فيها الحضارة العربية أمام البربرية الإفرنجية ـ ويقول أيضاً:

(ليت (شارل مارتل) قطعت يده ولم ينتصر على القائد الإسلامى (عبد الرحمن الغافقى) إن انتصاره أخر المدنية عدة قرون)[٣].

٢٦ ـ ويقول كارليل الإنكليزى فى كتابه (الأبطال):

من العار أن يصغى الإنسان المتمدن من أبناء هذا الجيل إلى وهم القائلين أن دين الإسلام دين كذب. وأن محمداً لم يكن على حق: لقد آن لنا أن نحارب هذه الادعاءات السخيفة المخجلة ـ فالرسالة التى دعا إليها هذا النبى ظلت سراجاً

---

(١) كتاب الإسلام بين الإنصاف والجحود. ص (١٢٩).

(٢) انظر الحديقة (ج ٧/ ص ٢٤٦).

(٣) انظر مجلة الكفاح العربى (٣ ـ ٦٧٦).

منيراً أربعة عشر قرناً من الزمن لملايين كثيرة من الناس ـ فهل من المعقول أن تكون هذه الرسالة التى عاشت عليها هذه الملايين، وماتت أكذوبة كاذب أو خديعة مخادع؟! لو أن الكذب والتضليل يروجان عند الخلق هذا الرواج الكبير لأصبحت الحياة سخفاً، وعبثاً. وكان الأجدر بها أن لا توجد.

٢٧ ـ إن الرجل الكاذب لا يستطيع أن يبنى بيتاً من الطوب لجهله بخصائص البناء، وإذا بناه فما ذلك الذى يبنيه إلا كومة من أخلاط هذه المواد ـ فما بالك بالذى يبنى بيتاً دعائمه هذه القرون العديدة وتسكنه مئات الملايين من الناس.

وعلى ذلك فمن الخطأ أن نعد محمداً كاذباً متصنعاً متذرعاً بالحيل والوسائل لغاية أو مطمع.. فما الرسالة التى أداها إلا الصدق والحق وما كلمته إلا صوت حق صادر من العالم المجهول وما هو إلا شهاب أضاء العالم أجمع. ذلك أمر الله وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء[1].

٢٨ ـ ويقول إدوارد مونتيه:

(الإسلام دين سريع الانتشار. يروج من تلقاء نفسه دون أى تشجيع تقدمه له مراكز منظمة لأن كل مسلم مبشر بطبيعته. فهو شديد الإيمان، وشدة إيمانه تستولى على قلبه وعقله. وهذه ميزة ليست لدين سواه. ولهذا نجد أن المسلم الملتهب إيماناً بدينه، يبشر به أينما ذهب وحيثما حل. وينقل عدوى الإيمان لكل من يتصل به).

* * *

هذا ما تيسر كتابته عن هؤلاء الذين تجردت ضمائرهم للحق وابتعدوا عن التعصب وقالوا الحق، ولمن أراد أن يطلع على المزيد مما كتبه الكثيرون ممن أنصفوا الإسلام أن يرجع إلى الكتب الآتية:

١ ـ (نظرات فى تاريخ الإسلام) تأليف: رينهاردت دوزى.

٢ ـ (حضارة الإسلام) تأليف: غوستاف لوبون.

(١) من كتاب الإسلام بين الإنصاف والجحود ص (١٢٩).

٣ ـ (الأبطال) تأليف: توماس كارليل.

٤ ـ (محاسن الإسلام) للدكتورة: لورا فينشيا فاليرى.

٥ ـ (قصة الحضارة) تأليف: ول ديورانت.

٦ ـ (دفاع عن الإسلام) تأليف المستشرق: فاغليرى تعريب (منير بعلبكى).

٧ ـ (الدعوة إلى الإسلام) تأليف (توماس أرنولد).

٨ ـ (إنسانية الإسلام) لأحد المستشرقين.

٩ ـ (بناء الإنسانية) تأليف: روبرت بريفولت.



ثالثاً: شهادات أخرى

١ ـ جورج برنارد شو (١٨٥٦ ـ ١٩٥٠)[١]:

«لا شك أن الإسلام ونبى الإسلام استطاعا أن يجعلانى أقف باحترام شديد للرسالة ورسولها، وتمنيت دائماً أن يكون الإسلام هو سبيل العالم فلا منقذ له سوى رسالة محمد. ولقد وضعت دائماً دين محمد موضع الاعتبار السامى، بسبب حيويته فهو الدين الوحيد الذى يلوح لى أنه صالح لأطوار الحياة المختلفة، بحيث يستطيع أن يكون جذاباً لكل جيل. أرجو أن تفهموا نبوءتى، فالإسلام قادم ليصبح العالم به فى حب وسلام. فقد دخل وما يزال يدخل الإسلام كثرة هائلة من بنى قومى، ومن الأقوام الأخرى، حتى ليمكن أن يقال إن تحول أوروبا إلى الإسلام، قد بدأ».

٢ ـ برتراند رسل (١٨٧٢ ـ ١٩٧٠)[٢]:

«لقد كانت رسالة محمد توحيداً سهلاً، ليس فيه التعقيد الذى تراه فى عقيدتىّ الثالوث والتجسيد».

٣ ـ سير (هاملتون جيب): فى كتابه (ها هو الإسلام) ١٩٣٢[٣]:

الإسلام جاء ليكمل الرسالات جميعاً، فلم نجده أنكر الأديان التى سبقته وكتبها، ولا تعاليمها، ولا حتى أنبياءها.

(١) جورج برنارد شو: كاتب مسرحى بريطانى. حصل على جائزة نوبل للآداب عام ١٩٢٥، من أشهر مسرحياته بيجماليون وجان دارك.

(٢) برتراند رسل: فيلسوف بريطانى كبير من ممثلى الواقعية الجديدة ومن محاربى المادية والمثالية معاً. حصل على جائزة نوبل للسلام عام ١٩٥٠.

(٣) سير هاملتون جيب: أستاذ اللغة العربية فى جامعات: لندن، أكسفورد، هارفارد. قدم العديد من الدراسات والأبحاث عن الإسلام.

٤ ـ سير توماس أرنولد (١٨٦٤ ـ ١٩٣٠) فى كتابه الدعوة إلى الإسلام[١]:

«الإسلام دين رسالة، وهذا هو الذى دفع المسلمين أن يحملوا رسالة الإسلام معهم إلى الشعوب التى دخلوها، وجعلهم ينشدون لدينهم الحق مكاناً فى كل مكان دخلوه، وذلك لصدق عقيدتهم.

٥ ـ إدوارد لين ـ أسلم وأصبح اسمه الشيخ منصور[٢]:

«الذى يقترب من الإسلام يقترب منه الإسلام، فيضفى عليه جلالاً ووقاراً، فالإسلام رغم أنه عبادة عظيمة فهو بقرآنه الكريم، يحمل كل العلوم فى هذا الكتاب الإلهى، وكنت أود أن أعرف مكنونات القرآن، لكنى رغم بحثى أقول ما أوتيت إلا قليلا».

٦ ـ جان جاك روسو: (١٧١٢ ـ ١٧٧٨)[٣]:

«رسالة محمد قوية، أعطته قوة، راح ينشد بها الرسالة فوجدت صدى غير عادى. وكلما أراد محمد أن يجعل بنى قومه فى قوته، كان يتلو عليهم القرآن فيجعلهم يطلبون منه أن يأمرهم بما أراد الله، لنشر الإسلام فى ربوع الأرض، وكانوا بالقرآن ينتصرون ويفتحون الممالك.

٧ ـ ڤولتير[٤]:

«ليس صحيحاً أن الإسلام استولى قهراً وبالسيف على أكثر من نصف الكرة الأرضية، هذه شائعات، تحاول أن تقلل من قيمة الإسلام ورسوله، لكن أكبر سلاح استخدمه المسلمون لبث الدعوة هو اتصافهم بالأخلاق العالية، والدليل على أن

---

(١) سير توماس أرنولد: باحث ودارس وعاشق للدراسات العربية، له باع كبير فى الدراسات عن الإسلام. كان عميداً لقسم الدراسات العربية فى مدرسة اللغات الشرقية بلندن.

(٢) إدوارد لين: أصبح اسمه بعد إسلامه (الشيخ منصور) مستشرق شهير، كتب العديد من الدراسات عن القرآن والآداب الإسلامية.

(٣) جان جاك رسو: فيلسوف فرنسى شهير ـ صاحب نظرية العقد الاجتماعى.

(٤) ڤولتير: هو فرانكو ماريا أدويت: كان الشخصية الرائدة، لحركة الاستنارة الفرنسية فى القرن الثامن عشر. كان شاعراً، كاتباً مسرحياً، وكاتب مقالات وقصص قصيرة، ومؤرخاً وفيلسوفاً.

الإسلام لم ينتشر بسيف أن كثيرين اعتنقوا الإسلام وهم بعيدون عن بلاده وغزواته وفتوحاته فكيف إذن وصلهم السيف الذى يدعيه مؤرخونا وخطباؤنا.

نريد أن نمحوا هذه الأخطاء التى ارتكز عليها الكارهون للإسلام وللتاريخ. فالذين يكذبون على التاريخ لا يستحقون أدنى احترام.

٨ ـ نابليون بونابرت[1]:

«لم أكن أعرف أن الإسلام قوى بما يحمل علماؤه فى صدورهم وعقولهم ـ يبدو أن القرآن الذى يحملون، قوة عليا، لا تقهر ولا تهزم. أنا لا أستطيع أن أقهر القوى العليا التى تحرك المسلمين».

٩ ـ كليمان هيار: (١٨٥٢ ـ ١٩٢٧)[2]:

«سيأتى اليوم الذى يصبح فيه الإسلام هو المحرك الحقيقى لهذا العالم. فقط على المسلمين ودعاتهم تعريف العالم به، بشىء واحد فقط، بالسلوك، فالسلوك الإسلامى هو الذى نشر الإسلام فى ربوع الأرض».

١٠ ـ جوستاف لوبون: (١٨٤١ ـ ١٩٣١)[3]:

لم ينتشر الإسلام بحد السيف، بل انتشر بالدعوة وحدها، والحق أن الأمم لم تعرف فاتحين متسامحين مثل العرب ولا ديناً سمحاً مثل دينهم.

١١ ـ لويس ماسينيون ـ ١٨٨٣ ـ ١٩٦٢[4]:

«لو لم أكن محبّاً للإسلام لما ارتديت أرفع أوسمته، وهو الزى الأزهرى ولما جلست إلى أعرق جامعاته وهى الأزهر الشريف، لأعرف وأتعلم، وأتلقى المزيد من

---

(١) نابليون بونابرت: هو الإمبراطور الفرنسى صاحب الشهرة الواسعة والذى لقب بـ نابليون الأول.

(٢) كليمان هيار: بحاثة فرنسى، تعلم أصول اللغة العربية وعمل مترجماً فى القنصلية الفرنسية، له مؤلفات كثيرة عن الإسلام والقرآن ونبى الإسلام والصلاة فى الإسلام.

(٣) جوستاف لوبون: عالم فرنسى، قدم دراسات متخصصة فى علم النفس والاجتماع، علاوة على العديد من الكتب عن الحضارات.

(٤) لويس ماسينيون: عمل أستاذاً ومحاضراًبالجامعة المصرية لتاريخ الفلسفة عام ١٩١٢، ١٩١٣، كان عضواً بالمجمع اللغوى بمصر منذ إنشائه، كان عضواً بالمجمع العلمى العربى بدمشق.

العلوم لأزداد تعرفاً على الإسلام واقتراباً منه ومن علمائه مما أعاننى فى دراساتى التى بذلت فيها عمرى حباً فى الإسلام حتى أصبحت مسلم العقل والقلب بما وقر فيها من حب لا يجارى بالشريعة السمحاء التى يحملها كتاب الله الكريم - القرآن -، الذى ما ترك شيئاً فى أمور الحياة الدنيا إلا وقدم لها، وساعد على جلاء بصيرة من يريد أن تكون بصيرته للأمور نافذة.

١٢ - جوتيه ١٨٦٤ - ١٩٤٠[١]:

«الدين الإسلامى هو الدين الوحيد الذى استطاع معتنقوه أن يحققوا به عدالة السماء، فى التسامح الذى هو سمة المسلمين مع الديانات الأخرى. ولا شك أن التسامح بمعناه الإلهى، غرسه رسول الإسلام، فى نفوس المسلمين فقد كان ﷺ المتسامح الأكبر.

١٣ - الكونت هنرى دى كاسترى[٢]:

«لم يقرأ محمد كتاباً مقدساً، ولم يسترشد فى دينه بمذهب متقدم عليه لذلك انفرد الكتاب المنزل عليه بالوحدانية (لا إله إلا الله) ذلك هو أصل الاعتقاد بالله، فرد، رب، صمد، منزه عن النقائص. يكاد العقل يتصوره، هو اعتقاد قوى، يؤمن به المسلمون على الدوام، يمتازون به على غيرهم.

١ - ويلفرد كانتول سميث[٣]:

الإسلام قوة. وضعها العالم تحت ضغوطه للحد من انتشاره حتى لا يسيطر المسلمون على العالم، كما حدث أيام العصر الإسلامى الأول بفتوحاته. وأعتقد أنه، لو كان محمد نبى الإسلام، وصحبه، على الساحة، بمعنى أنه لو تمسك المسلمون بالقيم الإسلامية، وعملوا بها لما كان هذا حالهم منه.

(١) أ. ف. جوتيه: عمل أستاذاً بكلية الآداب بالجزائر، قدم دراسات مؤثرة عن الإسلام فى شمال افريقيا، وعن أخلاق المسلمين وعاداتهم.

(٢) الكونت هنرى دى كاسترى: كان محباً للبحث والدراسة، أبدى حبه للإسلام فى ردوده على افتراءات المستشرقين فى كتابه (الإسلام).

(٣) ويلفرد كانتول سميث: ولد فى كندا عام ١٩١٦، حصل على ليسانس اللغات الشرقية عام ١٩٣٠، حصل على الماجستير والدكتوراه، عمل فى التدريس بالجامعات أستاذاً للدين المقارن، عمل أستاذاً زائراً، هو رئيس رابطة دراسات الشرق الأوسط لأمريكا الشمالية.

١٥ ـ تشارلز جوزيف آدمز[١]:

ما من شك أن قوة العقيدة، وإيمان المسلمين بها، جعلهم يضعون، فيما سبق، أربعة أخماس العالم، تحت أيديهم، وأظن أن المسلمين حالياً، غير قادرين على فعل ذلك، لما يلاقونه من حروب خفية، وعلنية، ضد هذا المعتقد، التى تشكل قوته خطورة، على القوى المضادة للسلام، الذى هو الإسلام.

١٦ ـ ألكسندر ويب:

أسلم وأصبح اسمه: محمد ويب[٢] طبقوا تعاليم البشر بعضهم ببعض، ستجدون الراحة، والطمأنينة اقرأوا بفهم وحيدة، ستجدونه أعظم رسول، ستجدون رسالته أعظم الرسالات جميعاً، لأنها جاءت لتكمل الرسالات التى سبقته.

١٧ ـ دكتور مايكل هارت[٣]:

مما لا شك فيه، أن رسول الإسلام، استطاع أن يقهر الوثنية، وتعدد الآلهة، واقنع العالم كله برسالته، التى وحدت الإله، ولو عاش محمد فترة طويلة من الزمان لاستطاع أن يجعل العالم كله يؤمن بأن الله واحد، وهو الذى اختاره ليؤكد ذلك، ويقنع به البشر جميعاً.

١٨ ـ جوته[٤]:

كان رسول الإسلام، متواضعاً، محبّاً للخير، وجاءته رسالة الخير، استطاع بحبه لرسالته، أن يجعلها تمتد وتنتشر، وتضرب جذورها فى أعماق النفس البشرية

(١) تشارلز جوزيف آدمز: أمريكى حاصل على دكتوراه فى تاريخ الأديان عام ١٩٥٥، عمل مستشاراً فى دائرة المعارف البريطانية ومجلس البحوث والعلوم الاجتماعية.

(٢) الكسندر ويب: أسلم وأصبح اسمه (محمد ويب):

كان رئيس تحرير صحيفة (سانت جوزيف) و (مسورى ريبيكان) درس الأديان جميعاً وقام برحلات إلى بلاد الشرق، كتب كثيراً عن الإسلام ورسوله.

(٣) دكتور مايكل هارت: أحد علماء أمريكا فى علوم الفلك والفضاء نال العديد من الشهادات فى الرياضة والفلك والقانون، صاحب كتاب العظماء مائة أعظمهم محمد ﷺ.

(٤) يوهان فولفانج جوته: شاعر ألمانيا وكاتبها الشهير، تدرج فى مناصبه حتى أصبح رئيساً لوزراء ألمانيا.

التواقة دائماً، للتعرف على النواحى الإيجابية فى الحياة.

١٩ ـ كارل بروكلمان: ١٨٦٨ ـ ١٩٥٦[١]:

جعل رسول الإسلام، الجزيرة العربية، نقطة انطلاق لرسالته العظيمة التى حوربت كثيراً، وما زالت، لكن الانتصار دائماً للحق، وما جاء محمد إلا بالحق والحقيقة.

٢٠ ـ بورج كرايمر: ١٨٩٩ ـ ١٩٦١[٢]:

الإسلام حقيقة، وواقع، سيجد طريقه، ليصبح كتابه، كتاب البشر جميعاً، فهو من أجل العالم جاء.

ما وجدت ديناً، أرقى من الإسلام، فى معاملته للإنسان، بكل عناصره.

٢١ ـ جوزيف شاخت: ١٩٠٢ ـ ١٩٦٩[٣]:

بعد أن عرفت الإسلام بكل معانيه، تأكد لى أن الإسلام هو النهاية الحتمية للمادية التى ستسيطر على العالم ذات يوم.

وأرى أن الإسلام هو المظلة التى سيركن إليها الهاربون من زيف العصر المادى.

فقط على العالم أن يعرف الإسلام الحقيقى، من مناهله الحقيقية، حيث القرآن الكريم، الذى أنزله الله ليكون طريقاً وشريعة للعالم كله.

---

(١) كارل بروكلمان: من كبار المستشرقين، عين عضواً بمجمع اللغة العربية فى دمشق من أهم كتبه: تاريخ الشعوب الإسلامية، دائرة المعارف الإسلامية، تاريخ الأدب العربى.

(٢) بورج كرايمر: ولد فى ألمانيا ـ درس اللغة العربية وعين أستاذاً للفلسفة العربية فى جامعة تونبجين عام ١٩٥٠ ثم أستاذاً للأدب العربى فى جامعة أرلنجن عام ١٩٥٤ له دراسات كثيرة عن اللغة العربية والإسلام وفقهائه.

(٣) جوزيف شاخت: كان أستاذاً فى جامعة فرايبورج عام ١٩٢٧ وأستاذاً فى جامعة كونسرج عام ١٩٣٢ وأستاذاً فى الجامعة المصرية عام ١٩٣٤ ومحاضراً للدراسات الإسلامية فى جامعة أوكسفورد عام ١٩٤٨ وأستاذاً فى جامعة الجزائر عام ١٩٥٢، اشتهر بدراساته عن الشريعة الإسلامية.

٢٢ - الدكتورة سيجريد هونكه[١]:

باعتبارى محبة للعرب وللإسلام، أدعو كل المسلمين، فى شتى أنحاء العالم، لطريق رسول الإسلام، فبغير هذا الطريق، لن يجدوا أنفسهم.

الإسلام لم يأت للعرب فقط، بل جاء للعالم كله، بدليل أن رسوله نشره فى كل الأرجاء أيام حياته، فهل سيظل المسلمون على هذا الجمود؟ أرجو أن يتبعوا طريق الرسول الكريم، فالعالم فى فراغ لن تسده سوى تعاليم الإسلام، والفرصة متاحة ليتلقى الأوربيون الإسلام، فهم فى حاجة إلى منقذ، ولا منقذ لهم سوى الإسلام.

٢٣ - كارلو ألفونسو نللينو[٢]:

إن الإنسان بطبعه خلق وقلبه وعقله على استعداد للإسلام إذا ما وجد الطريق الصحيح إليه.

لم أجد عقيدة تهيئ صاحبها للجهاد بكل أنواعه إلا فى الإسلام دين بهذه العقيدة يجعل صاحبها قوة لصد كل غزاة العقول والقلوب.

٢٤ - ميكلأ نجلو اغناطيوس جويدى[٣]:

مما لا شك فيه، أن الدين الإسلامى، هو دين التوحيد، الذى أكد وحدانية الله، وأن الثالوث من صنع الإنسان.

لم يأت محمد، بدين من عنده، وإلا ما كان هذا الدين مستمرّاً إلى يومنا هذا، وأرى أن العالم سيعرف هذا الدين ذات يوم قريب.

---

(١) دكتورة سيجريد هونكه: كاتبة ألمانية شهيرة، لها دراسات وأبحاث كثيرة من أشهر كتبها (شمس الإسلام تشرق على الغرب).

(٢) كارلو نللينو إلفونسو: كان محاضراً بالجامعة المصرية فى علوم الفلك والأدب العربى، كان عضواً بمجامع علمية عديدة، ومجامع لغوية منها المجمع العلمى العربى من مؤلفاته: العقيدة الإسلامية، حياة محمد.

(٣) ميكلأ نجلو جويدى: كان أستاذاً للغة العربية وآدابها فى جامعة روما كان أستاذاً بالجامعة المصرية. له مؤلفات ودراسات كثيرة عن الأدب العربى، والدين الإسلامى والتاريخ الإسلامى.

رابعاً: شهادات الأعلام الذين دخلوا فى الإسلام

صحيح بأن ما ذكر عن الإسلام من افتراءات لاحقيقة له بشهادة آلاف المنصفين من غير المسلمين من خلال المؤلفات والمقالات والتصريحات ومنهم القسيس البريطانى عندما قال «لم يتعرض أحد للتشويه كما تعرض محمد ﷺ».

ومنهم من أشاد بسماحة وأخلاق وقيم الإسلام فى أمور مختلفة، ولكن لا بد من الاعتراف بتصرفات الكثير من المسلمين فى الأخلاق والمعاملات وحتى فى العبادة لا يرضى بها أحد وقد كان محقاً عندما قال أحد الذين دخلوا فى الإسلام وأتى لأداء فريضة الحج الحمد لله الذى عرفنى بالإسلام قبل أن أعرف المسلمين، ومع ذلك لا زالت أفواج وأفواج تدخل فى الإسلام مع كل ما سمعوا وشاهدوا عن الإسلام وأهله لأنهم اختاروا طريق الحق والنجاة وفضلوا اتباع الجوهر رغم تأثرهم بالمظهر وإليك أقوال بعض منهم:

«إبراهيم خليل أحمد»[1]

«يرتبط هذا النبى ﷺ بإعجاز أبد الدهر بما يخبرنا به المسيح عليه السلام فى قوله عنه: (ويخبركم بأمور آتية)، هذا الإعجاز هو القرآن الكريم معجزة الرسول الباقية ما بقى الزمان فالقرآن الكريم يسبق العلم الحديث فى كل مناحيه: من طب، وفلك، وجغرافيا، وجيولوجيا، وقانون، واجتماع، وتاريخ.. ففى أيامنا هذه استطاع العلم أن يرى ما سبق إليه القرآن بالبيان والتعريف..» («محمد فى التوراة والإنجيل» ص ٤٧ ـ ٤٨)، وقال أيضاً: «إن الإسلام دين المنطق والعقل، لم يجعل وساطة بين الله والإنسان، ولم يترك مقادير الناس تحت رحمة نفر منهم يلوحون لهم بسلطان الكنيسة» («محمد فى التوراة والإنجيل» ص ١٧٣).

(١) راجع التعريف به فى مبحث القرآن الكريم فى عيون غربية منصفة.

«الدكتور دوغلاس آرشر» من جامايكا يعمل مديراً للمعهد التربوى:

«إن بحثى لنيل إجازة الدكتوراه كان عن التربية وبناء الأمة. ومن هنا عرفت ما تحتاج إليه الأمم لبنائها الاجتماعى والاقتصادى والسياسى، وكذلك البناء الروحى. واكتشفت أن أركان الإسلام الأساسية تقدم أساساً عظيماً وقاعدة قيمة لإعادة بناء الأمة اجتماعيّاً واقتصاديّاً وروحيّاً» («رجال ونساء أسلموا» ج ٥/ ص ٥٦)، وقال أيضاً: «لو أُحْسِنَ عرض الإسلام على الناس لأمكن به حل كافة المشكلات ولأمكن تلبية الحاجات الاجتماعية والروحية والسياسية للذين يعيشون فى ظل الرأسمالية والشيوعية على السواء» («رجال ونساء أسلموا» ج ٥/ ص ٥٧).

«الدكتور على سلمان بنوا» طبيب فرنسى.

«تمسكت بالإسلام، بادئ ذى بدء، لأسباب وراء الطبيعة. ولكن أسباباً أخرى أيضاً دفعتنى إلى ذلك فعلى سبيل المثال، كنت أرفض ما يزعمه الرهبان لأنفسهم بأنهم يملكون صلاحية الغفران للذنوب نيابة عن الله سبحانه وتعالى..» («رجال ونساء أسلموا» ج ٦/ ص ٦).

«ديبورا بوتر» أمريكية تخرجت من فرع الصحافة بجامعة متشيغان:

«عندما أكملت القرآن الكريم غمرنى شعور بأن هذا هو الحق الذى يشتمل على الإجابات الشافية حول مسائل الخلق وغيرها. وأنه يقدم لنا الأحداث بطريقة منطقية، نجدها متناقضة مع بعضها فى غيره من الكتب الدينية. أما القرآن فيتحدث عنها فى نسق رائع وأسلوب قاطع لا يدع مجالاً للشك بأن هذه هى الحقيقة وأن هذا الكلام هو من عند الله لا محالة» («رجال ونساء أسلموا» ج ٨/ ص ١٠٠)، وقالت أيضاً: «إن الناس فى أوربا وأمريكا يقبلون على اعتناق الإسلام بأعداد كبيرة لأنهم متعطشون للراحة النفسية والاطمئنان الروحى بل إن عدداً من المستشرقين والمبشرين النصارى الذين بدئوا حملتهم مصممين على القضاء على الإسلام وإظهار عيوبه المزعومة، أصبحوا هم أنفسهم مسلمين، وما ذلك إلا لأن الحق حجته دامغة لا سبيل إلى إنكارها» («رجال ونساء أسلموا» ج ٨/ ص ١١٤).

«كوفهى لال جابا» من لاهور رجل سياسة ومؤلف وصحفى:

«إن الإسلام هو أفضل دين للبشرية.. فالإسلام يتغلغل فى حياة المسلم بكل تفاصيلها، بل له الكلمة الفصل فى كل نشاط يقوم به المسلم وليس هناك أى دين آخر غير الإسلام لديه الإمكانية لحل كافة مشكلات الناس فى العالم الحديث، وهذا هو امتياز الإسلام وحده» («رجال ونساء أسلموا» ج ٦/ ص ١٠٣/ ١٠٤).

«هنرى دى كاسترى» مقدم فى الجيش الفرنسى:

«إن العقل يحتار كيف يتأتى أن تصدر تلك الآيات عن رجل أمى وقد اعترف الشرق قاطبة بأنها آيات يعجز فكر بنى الإنسان عن الإتيان بمثلها لفظاً ومعنى» («الإسلام خواطر وسوانح» ص ١٨).

وقال أيضاً: «قرأت التاريخ وكان رأيى بعد ذلك أن معاملة المسلمين للمسيحيين تدل على ترفع فى المعاشرة عن الغلظة وعلى حسن مسايرة ولطف مجاملة وهو إحساس لم يشاهد فى غير المسلمين آن ذاك» («الإسلام خواطر وسوانح» ص ٤٤)، و«إننا نعتقد أن استطلاع حال هذا الدين فى العصر الحاضر لا يبقى أثراً لما زعموه من أنه إنما انتشر بحد الحسام. ولو كان دين محمد انتشر بالعنف والإجبار للزم أن يقف سيره بانقضاء فتوحات المسلمين مع أننا لا نزال نرى القرآن يبسط جناحيه فى جميع أرجاء المسكونة..» («الإسلام خواطر وسوانح» ص ٤٨ ـ ٥٠).

«ناجيمو رامونى» من غانا مبشر:

«إننى على يقين تام من أن الإسلام يعزز مبادئه وتعاليمه بالحجج المنطقية على النقيض من الأديان الأخرى. وهكذا فعلى الرغم من الجهود الضخمة التى تبذلها الأديان المختلفة الأخرى فقد عجزت تماماً عن منافسة الإسلام، ناهيك عن سبقه إلى قلوب الناس.. كما أن الملاحظ أن جميع الدعوات الأخرى فى انحسار دائم أمام عظمة الإسلام» («رجال ونساء أسلموا» ج ٩/ ص ٥٧)[1].

---

(١) عرفات كامل: رجال ونساء أسلموا، دار القلم، الكويت، ١٩٧٣ ـ ١٩٨٣.

«الدكتور أحمد نسيم سوسة» باحث مهندس من العراق، وعضو فى المجمع العلمى العراقى، كان يهودياً فاعتنق الإسلام متأثراً بالقرآن الكريم:

«.. الواقع أن تحوير وتبديل مصاحف اليهود أثر أجمع عليه العلماء فى عصرنا الحالى نتيجة الدرس والتنقيب وقد جاء ذلك تأييداً علمياً للأقوال الربانية التى أوحيت قبل نيف وثلاثة عشر قرناً على لسان النبى العربى الكريم ﷺ» (« فى طريقى إلى الإسلام» ج ١/ ص ٨٦).

وقال أيضاً: «وجد اليهود تحت راية الإسلام أمناً وعدلاً اتقوا به شر الاضطهاد والاعتداء وقد مضت عليهم قرون عديدة وهم فى خير وثراء..» («فى طريقى إلى الإسلام» ج ١/ ص ٣٠)، وأضاف: «إنى أعتقد بأنه لو كان للإسلام فى أمريكا بعض ما كان للمسيحية من الدعاية والتبشير، لكان علمه يخفق اليوم فى معظم أصقاع هذه البلاد الواسعة ولكان لقى فيها من التشجيع بخلاف ما هو معروف عن فشل التبشير النصرانى» («فى طريقى إلى الإسلام» ج ١/ ص ٥٣).

«بشير أحمد شاد» هندى مبشر كما كان أبوه ماتياس:

«السؤال الذى كان يقلقنى هو أننا نحن ـ النصارى ـ نزعم أن الإسلام انتشر بحد السيف فقلت لنفسى فلماذا تقبل الناس الإسلام ولا يزالون يعتنقونه فى كل ركن من العالم؟ لماذا يهتدى الناس فى كل بلد إلى هذا الدين كل يوم دون إكراه أو جبر من أى نوع؟» («رجال ونساء أسلموا» ج ٧/ ص ١٧ ـ ١٨).

«ليوبولد فايس» مفكر وصحفى نمساوى:

«إن وسائل الغربيين (للحيلولة دون بعث الإسلام) ليست مقصورة على الميدان السياسى فحسب، ولكنها تمتد فتشمل الجانب الثقافى كذلك وعن طريق المدارس الغربية فى العالم الإسلامى، وعن طريق المدارس الوطنية للمسلمين التى تقوم مناهجها على أساس من أساليب الغرب التربوية، تبذر بذور التشكيك فى الإسلام كنظرية اجتماعية بطريقة منظمة رتيبة فى عقول الأجيال الصاعدة من شباب المسلمين فتياناً وفتيات..» («منهاج الإسلام فى الحكم» ص ١٧٠ ـ ١٧١)، و «إن

الحياة الإسلامية فى الواقع تظهر، على كل حال، فى أيامنا الحاضرة بعيدة جداً عن الإمكانيات المثلى التى تقدمها التعاليم الدينية فى الإسلام من ذلك مثلاً أن كل ما كان فى الإسلام تقدماً وحيوية أصبح بين المسلمين اليوم تراخياً وركوداً، وكل ما كان فى الإسلام من قبل كرما وإيثاراً أصبح اليوم بين المسلمين ضيقاً فى النظر وحباً للحياة الهينة» («الإسلام على مفترق الطرق» ص ١٣)، و «إن الإسلام من وجهته الروحية والاجتماعية لا يزال، بالرغم من جميع العقبات التى خلقها تأخر المسلمين، أعظم قوة ناهضة بالهمم عرفها البشر» («الإسلام على مفترق الطرق» ص ١٦).

وقال أيضاً: «يجب أن يتضح لدينا أن إهمال المسلمين وليس النقص فى التعاليم الإسلامية ـ هو الذى سبب الانحلال الحاضر» «الإسلام على مفترق الطرق» ص ٧١.

«الدكتور آرثر كين» فيلسوف أميركى:

«كنت أنطوى على نفسى وأقرأ فى شغف وفهم كل ما تصل إليه يدى من كتب الأديان المختلفة، وأتعمق فى هذه القراءات التى استمرت عشر سنوات كاملة. وأخيراً وصلت إلى نتيجة هامة وبلغت الحقيقة التى ظللت أبحث عنها طويلاً، وهى أننى سأعتنق الإسلام وأكون مسلماً.. لقد انتهيت فى يقين إلى أن الدين الإسلامى هو دين العقل والمنطق، وهو دين الحياة الدنيا والآخرة، وهو أيضاً دين المادة والروح معاً» («رجال ونساء أسلموا» ج ٩/ ص ١٥٥)، وأضاف: «لقد بحثت طويلاً فى سر الوجود وتعمقت فى أبحاثى بحكم دراساتى للفلسفة وعلم النفس، ورأيت أن الإسلام هو أقرب الأديان إلى السماء وإلى النفس الإنسانية فتأكد يقينى بأنه الدين الكريم الذى أرتضيه وأؤمن به..» («رجال ونساء أسلموا» ج ٩/ ص ١٥٥ ـ ١٥٦).

البروفسور «هارون مصطفى ليون» إنكليزى:

«من روائع الإسلام أنه يقوم على العقل وأنه لا يطالب أتباعه أبداً بإلغاء هذه الملكة الربانية الحيوية. فهو على النقيض من الأديان الأخرى التى تصر على أتباعها أن يتقبلوا مبادئ معينة دون تفكير ولا تساؤل حر، وإنما تفرض هذه المبادئ فرضاً بسلطان الكنيسة. أما الإسلام فإنه يعشق البحث والاستفسار ويدعو أتباعه إلى الدراسة والتنقيب والنظر قبل الإيمان..» («رجال ونساء أسلموا» ج ٧/ ص ٦).

«منى عبد الله ماكلوسكى» ألمانية تعمل قنصلاً لبلادها:

«فى ظل الإسلام استعادت المرأة حريتها واكتسبت مكانة مرموقة. فالإسلام يعتبر النساء شقائق مساوين للرجال، وكلاهما يكمل الآخر» («رجال ونساء أسلموا» ج ٩/ ص ٦٢)، وقالت أيضاً: «لقد دعا الإسلام إلى تعليم المرأة، وتزويدها بالعلم والثقافة لأنها بمثابة مدرسة لأطفالها. قال رسول الله ﷺ: «طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة». لقد منح الإسلام المرأة حق التملك وحرية التصرف فيما تملك. وفى الوقت الذى نرى فيه أن المرأة فى أوربا كانت محرومة من جميع هذه الحقوق إلى عهد قريب جداً، نجد أن الإسلام قد منح المرأة بالإضافة إلى ما تقدم حق إبرام العقود للزواج. والمهر فى نظر الإسلام هو حق شخصى للمرأة. والمرأة فى الإسلام تتمتع بحرية الفكر والتعبير» («رجال ونساء أسلموا» ج ٩/ ص ٦٢ ـ ٦٣).

«واجنرم» شاب هولندى أشهر إسلامه بعد دراسة مستفيضة شغلت كل وقته وتفكيره وله بعض المؤلفات:

﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ﴾

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾.

لقد تركت هذه الآيات العظيمة أثراً بالغاً فى نفسى لأن فيها دليلاً على ذلك الطابع العالمى الذى يتميز به الإسلام، فضلاً عما يمتاز به من النظم والتشريعات الأخرى، وبيانه الكامل لحقيقة سيدنا عيسى عليه السلام. فهل هناك أقوى وأصدق من تلك التعاليم المتحررة التى توصينا باحترام كل ما جاء به جميع الرسل والأنبياء؟ لا شك أن الدين الإسلامى هو دين الحق والصدق والبرهان» («رجال ونساء أسلموا» ج ٥/ ص ٣٦).

إذاً لا بد من وقفة تأمل لحال هؤلاء الأعلام الذين أعلنوا إسلامهم أتعتقد بأنهم يبحثون عن زيادة فى الشهرة والمنصب بعد ما وصل المسلمون لما وصلوا إليه أم أنهم فضلوا اتباع دين الحق من حيث أتى؟ وكان شعارهم الحق أحق أن يتبع وآثروا مكانتهم الاجتماعية وشهرتهم العلمية عما سيواجهونه من تأثيرات مقابل إسلامهم، هؤلاء العلماء والأعلام قد مهدوا لك الطريق للدخول فى الإسلام بعد

الدراسة المستفيضة والتعمق فى المقارنة والتأكد الذى لا يقبل الشك كل فى مجاله، فلا تتردد إذا كانت الشهرة أو المنصب أو الوضع الاجتماعى تمنعك من إعلان إسلامك لأنك راحل من هذه الدنيا مهما بلغت من العلو وإنك ستنسى كما نسى من هم مثلك أو أفضل منك ولو دامت هذه الدنيا لغيرك ما وصلت إليك وعندها لا تساوى لحظة عذاب للحياة الأبدية فى الآخرة[١].



(١) من موقع رجال ونساء أسلموا. على شبكة الإنترنت الدولية.

خامساً: لماذا اخترنا الإسلام؟
أقوال بعض من اهتدى إلى الإسلام

(أن الإسلام هو أوضح الأديان فى إثبات وجود الله تعالى من واقع الحياة، وهذا يمثل الحقيقة، لأن الله هو الحق، وهذه الحقيقة التى هى ضالة الإنسانية كلها، تحت يد المسلمين، فلو أمكن إجلاؤها لدخل الناس جميعاً فى دين الله أفواجاً)(١).

الحاج الدكتور عبد الكريم ساتيو اليابانى
أستاذ اقتصاد فى إحدى الجامعات اليابانية

(إننى تتبعت كل الآيات القرآنية التى لها ارتباط بالعلوم الطبية والصحية والطبيعية والتى درستها من صغرى وأعلمها جيداً، فوجدت هذه الآيات منطبقة كل الانطباق على معارفنا الحديثة، فأسلمت لأنى تيقنت أن محمدا ﷺ أتى بالحق الصريح من قبل أكثر من ألف سنة، من قبل أن يكون معلم أو مدرس من البشر، ولو كان كل صاحب فن من الفنون أو علم من العلوم قارن كل الآيات القرآنية المرتبطة بما تعلم جيداً كما قارنت أنا لأسلم بلا شك، إن كان عاقلاً خالياً من الأغراض)(٢).

---

(١) محمد عزت الطهطاوى ـ كتاب الدعوة إلى الإسلام ـ ص ١٥٨.

(٢) المصدر السابق ـ ص ١٦٥ و ١٧٣ و ٢١٥/ نقلاً عن كتاب أوربا والإسلام للدكتور عبد الحليم محمود، شيخ الأزهر وكتاب الإسلام على مفترق الطرق.

الدكتور جرينيه الفرنسى
كان يعمل فى مجلس النواب الفرنسى

(إن دين الله واحد، وأن الإسلام أتى مصدقا لما سبقه من ديانات السماء، ومصححاً لما نالها من تحريف بفعل الكهنة، وإن القرآن الكريم فى العصر الحاضر هو الكتاب السماوى الوحيد الذى لم ينله... ولن يناله تحريف أو تبديل، وقد وعد الله بحفظه مصداقاً لقوله تعالى فى القرآن:

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾(١).

الفونس إيتين دينيه (١٨٦١ ـ ١٩٢٩) فنان فرنسى أسلم وبدل اسمه إلى (ناصر الدين).

(لا أستطيع اليوم أن أقول أى النواحى استهوتنى أكثر من غيرها، فإن الإسلام على ما يبدو لى بناء تام الصنعة وكل أجزائه قد صيغت ليتمم بعضها بعضاً، ويشد بعضها بعضاً، فليس هناك شىء لا حاجة إليه، وليس هناك نقص فى شىء. فنتج من ذلك كله ائتلاف متزن مرصوص، ولعل هذا الشعور من أن جميع ما فى الإسلام من تعاليم وفرائض قد وضعت موضعها هو الذى كان له أقوى الأثر فى نفسى)(٢).

الكاتب والصحفى النمساوى الكبير ليوبولد فايس (محمد أسد).

(من مفاخر الإسلام أنه مبنى على العقل ولا يطالب معتنقيه أبداً بتجميد طاقاتهم الفكرية مخالفاً بذلك عقائد أخرى تلزم تابعيها بالاعتقاد الأعمى لمذاهب وآراء معينة دون تفكير فيها)(٣).

---

(١) المصدر السابق ـ ص ١٦٥ و ١٧٣ و ٢١٥/ نقلاً عن كتاب أوربا والإسلام للدكتور عبد الحليم محمود، شيخ الأزهر الأسبق وكتاب الإسلام على مفترق الطرق.

(٢) المصدر السابق ـ ص ١٦٥ و ١٧٣ و ٢١٥/ نقلاً عن كتاب أوربا والإسلام للدكتور عبد الحليم محمود، شيخ الأزهر الأسبق وكتاب الإسلام على مفترق الطرق.

(٣) نفس المصدر السابق ـ ص ٢٥٦.

«البروفيسور هارون مصطفى ليون الأوربى».

السكرتير العام للجمعية الدولية لعلم أصول اللغات والعلوم والفنون الجميلة ورئيس تحرير مجلة (فيلومات) العلمية الصادرة فى لندن.

(وجدت فى الإسلام المنطق والعقل، ووجدت المسلمين يؤمنون بالله ورسوله الذى هو بشر مثلهم اختاره الله لينقل رسالة الإيمان إلى الناس، ويتلو عليهم كتابه الذى هو دستور الحياة، ينظم شؤونهم بحيث يعيشون فى تعاون وسعادة وبساطة، وبلا مظاهر كاذبة)(١).

«مارشيلا مايكل أنجلو» سيدة إيطالية

(الإسلام هو الدين القادر على التصدى لموجات الإلحاد والتفكيك التى تعانى منها المجتمعات الصناعية الحالية، وأن الإسلام سيجذب الكثيرين من خريجى الجامعات وخاصة هؤلاء الذين أعيتهم وأثقلتهم المناقشات العقائدية)(٢).

«اللورد دو كلاس هاملتون»

مليونير إنجليزى أسلم وبدَّل اسمه إلى (عادل هاملتون)

(ليست هناك نعمة من نعم الدنيا يستمتع بها الإنسان أعظم من أن يشرح الله صدره للإسلام فيهتدى بنوره حتى يبصر حقائق الدنيا والآخرة فيميز الحق من الباطل، وطريق السعادة من طريق الشقاء، وإنى لأسجد لله شكراً على هذه النعمة الجليلة التى حبانى بها والتى ملأت نفسى بالسعادة الحقيقية وأتاحت لى أن أستظل بهذه الدوحة الكبرى الوارفة الظلال المتعددة الثمار، وهى دوحة الأسرة الإسلامية والإخوة فى الإسلام)(٣).

---

(١) أحمد محمد جمال - مفتريات على الإسلام - ص ٢٦٢/ نقلاً عن مجلة حضارة الإسلام سنة ١٩٧١ م، و ص ٢٨٤/ عن الأهرام القاهرية عدد ٢٣/ ٦/ ١٩٧٨.

(٢) أحمد محمد جمال - مفتريات على الإسلام - ص ٢٦٢/ نقلاً عن مجلة حضارة الإسلام سنة ١٩٧١ م، و ص ٢٨٤/ عن الأهرام القاهرية عدد ٢٣/ ٦/ ١٩٧٨.

(٣) نفس المصدر السابق - ٢٤١.

«مرمادوك بكثول» (١٨٧٥ ـ ١٩٣٦)

أديب ومفكر إنجليزى مشهور، أسلم وتسمى باسم محمد، وتعتبر ترجمته لمعانى القرآن الكريم من أهم جهوده العلمية على الإطلاق.

(إن خلاص العالم من أزمته يكمن فى اتباع المنهج الإسلامى، فالإسلام يملك مفتاح الإصلاح لأنه يمتاز بقاعدتين؛ هما التسامى وروح الجماعة)(١).

(إن القرآن يعلمنا أن نرى فى كل حادث وفى كل شىء آية من آيات الله ورمزاً لوجود أعلى يُسيرنا، ويسير الطبيعة والمجتمع، وهدف الدين الرئيسى هو التناسق والوحدة الصادرة عن الله والعائدة إليه، ومما يجعل الإنسان إنساناً هو اتجاهه إلى تحقيق إرادة الله.

إن الغرب الآن بحاجة إلى الإسلام أكثر من أى وقت مضى، ليعطى للحياة معنى، وللتاريخ مغزى، وحتى يغير أسلوب الغرب فى الفصل بين العلم والحكمة أو فضل التفكير عن الوسائل، وفصل التفكير عن النتائج، إن الإسلام لا يضع حاجزاً بين العلم والإيمان، بل على العكس من ذلك يربط بينهما باعتبارهما وحدة متكاملة غير قابلة للتجزئة.

إن الإسلام يدعو الإنسان إلى أن يفتش ويبحث عن نهايته العظمى ومآله، كما يمكن للإسلام أن يعيد إحياء الأمل فى مجتمعاتنا الغربية المتأثرة بالفردية بطريقة من النمو تقود العالم بأجمعه إلى الانتحار)(٢).

«البروفيسور روجيه غارودى»

أديب ومفكر وفيلسوف فرنسى بارز، شغل منصب رئيس المجلس الوطنى الفرنسى من ١٩٥٦ ـ ١٩٥٨ أسلم جارودى فى ١١/ رمضان/ ١٤٠٢ هـ. وبدّل اسمه إلى (رجاء) وأحدث إسلامه ضجة كبيرة فى الغرب.

---

(١) مجلة جوهر الإسلام التونسية العدد ٣ ـ ٤/ شباط/ ١٩٨١ م.

(٢) مجلة المختار الإسلامى/ العدد ٤١ ـ رجب ١٤٠٦ هـ.

الفصل الثالث

المرأة فى

عيون غربية منصفة

أولاً: المرأة قبل وبعد الإسلام

• حقائق *

الحق أن هذه المرأة عانت معاناة كثيرة، بل كانت ضحية كل نظام، وحسرة كل زمان، صفحات الحرمان، ومنابع الأحزان، ظلمت ظلماً، وهضمت هضماً، لم تشهد البشرية مثلة أبداً.

• صفحات من العار *

إن من صفحات العار على البشرية، أن تعامل المرأة على أنها ليست من البشر، لم تمر حضارة من الحضارات الغابرة، إلا وسقت هذه المرأة ألوان العذاب، وأصناف الظلم والقهر.

فعند الإغريق قالوا عنها: شجرة مسمومة، وقالوا هى رجس من عمل الشيطان، وتباع كأى سلعة متاع.

وعند الرومان قالوا عنها: ليس لها روح، وكان من صور عذابها أن يصب عليها الزيت الحار، وتسحب بالخيول حتى الموت.

وعند الصينيين قالوا عنها: مياه مؤلمة تغسل السعادة، وللصينى الحق أن يدفن زوجته حية، وإذا مات حق لأهله أن يرثوه فيها.

وعند الهنود قالوا عنها: ليس الموت، والجحيم، والسم، والأفاعى، والنار، أسوأ من المرأة، بل وليس للمرأة الحق عند الهنود أن تعيش بعد ممات زوجها، بل يجب أن تحرق معه.

وعند الفرس أباحوا الزواج من المحرمات دون استثناء، ويجوز للفارسى أن يحكم على زوجته بالموت.

وعند اليهود قالوا عنها: لعنة لأنها سبب الغواية، ونجسة فى حال حيضها، ويجوز لأبيها بيعها.

وعند النصارى عقد الفرنسيون فى عام ٥٨٦ م مؤتمراً للبحث: هل تعد المرأة إنساناً أم غير إنسان؟! وهل لها روح أم ليست لها روح؟ وإذا كانت لها روح فهل هى روح حيوانية أم روح إنسانية؟ وإذا كانت روحاً إنسانية فهل هى على مستوى روح الرجل أم أدنى منها؟ وأخيراً «قرروا أنها إنسان، ولكنها خلقت لخدمة الرجل فحسب». وأصدر البرلمان الإنكليزى قراراً فى عصر هنرى الثامن ملك إنكلترا يحظر على المرأة أن تقرأ كتاب (العهد الجديد) أى الإنجيل (المحرف)؛ لأنها تعتبر نجسة.

وعند العرب قبل الإسلام تبغض بغض الموت، بل يؤدى الحال إلى وأدها، أى دفنها حية أو قذفها فى بئر بصورة تذيب القلوب الميتة.

• تحرير المرأة *

ثم جاءت رحمة الله المهداة إلى البشرية جمعاء، بصفات غيرت وجه التاريخ القبيح، لتخلق حياة لم تعهدها البشرية فى حضاراتها أبداً..

جاء الإسلام ليقول: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ **(البقرة: ٢٢٨)**.

جاء الإسلام ليقول: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ **(النساء: ١٩)**.

جاء الإسلام ليقول: ﴿فَلا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ **(البقرة: ٢٣٢)**.

جاء الإسلام ليقول: ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ﴾ **(البقرة: ٢٣٦)**.

جاء الإسلام ليقول: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ﴾ **(الطلاق: ٦)**.

جاء الإسلام ليقول: ﴿وَلا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ﴾ **(الطلاق: ٦)**.

جاء الإسلام ليقول: ﴿فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ (النساء: ٢٤).

جاء الإسلام ليقول: ﴿وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ﴾ (النساء: ٧).

جاء الإسلام ليقول: ﴿وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ﴾ (النساء: ٣٢).

جاء الإسلام ليقول: ﴿وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾ (النور: ٣٣).

جاء الإسلام ليقول: ﴿وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ (البقرة: ١٨٧).

جاء الإسلام ليقول: ﴿هَؤُلاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾ (هود: ٧٨).

جاء الإسلام ليقول: ﴿فَلا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً﴾ (النساء: ٣٤).

جاء الإسلام ليقول: ﴿لا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا﴾ (النساء: ١٩).

جاء الإسلام ليقول: ﴿وَلا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ﴾ (النساء: ١٩).

جاء الإسلام ليقول: ﴿فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾ (البقرة: ٢٢٩).

وجاء الرسول الكريم ليبين لنا مكانة المرأة فسئل ﷺ من أحب الناس إليك؟ قال: «عائشة». وكان يؤتى ﷺ بالهدية، فيقول: «اذهبوا بها على فلانة، فإنها كانت صديقة لخديجة».

وهو القائل: «استوصوا بالنساء خيرا»

وهو القائل: «لا يفرك مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقا رضى منها آخر»

وهو القائل: «إنما النساء شقائق الرجال»

وهو القائل: «خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلى»

وهو القائل: «ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف»

وهو القائل: «أعظمها أجرا الدينار الذى تنفقه على أهلك»

وهو القائل: «من سعادة ابن آدم المرأة الصالحة»

ومن هديه: «عن عائشة قالت كنت أغتسل أنا ورسول الله ﷺ من إناء واحد»

وهو القائل: «وإنك مهما أنفقت من نفقة فإنها صدقة حتى اللقمة التى ترفعها إلى فى (فم) امرأتك»

ومن مشكاته: «أن امرأة قالت يا رسول الله صل على وعلى زوجى فقال ﷺ صلى الله عليك وعلى زوجك» (متفق عليها)

وهناك الكثير والكثير من الأدلة والبراهين، على أن الإسلام هو المحرر الحقيقى لعبودية المرأة، وحتى يُعلم هذا الأمر بصورة أوضح، سأبين حفظ حقوق المرأة فى الإسلام وهى جنين فى بطن أمها إلى أن تنزل قبرها.

بيانات وآيات

١ ـ حفظ الإسلام حق المرأة: وهى فى بطن أمها، فإن طلقت أمها وهى حامل بها، أوجب الإسلام على الأب أن ينفق على الأم فترة الحمل بها ﴿وَإِن كُنَّ أُوْلَاتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ (الطلاق: ٦).

٢ ـ حفظ الإسلام حق المرأة: بحيث لا يُقام على أمها الحد، حتى لا تتأثر وهى فى بطن أمها «ولما جاءت الغامدية وقالت يا رسول الله طهرنى فقال لها: حتى تضعى ما فى بطنك»

٣ ـ حفظ الإسلام حق المرأة: راضعة؛ فلما وضعت الغامدية ولدها، وطلبت إقامة الحد قال ﷺ «اذهبى فأرضعيه حتى تفطميه»

٤ ـ حفظ الإسلام حق المرأة: مولودة من حيث النفقة والكسوة ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ (البقرة: ٢٣٣).

٥ ـ حفظ الإسلام حق المرأة: فى فترة الحضانة التى تمتد إلى بضع سنين، وأوجب على الأب النفقة عليها فى هذه الفترة لعموم أدلة النفقة على الأبناء.

٦ ـ حفظ الإسلام حق المرأة: فى الميراث عموماً، صغيرة كانت أو كبيرة قال الله تعالى ﴿فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ﴾ (النساء: ١١)

٧ ـ حفظ الإسلام حق المرأة: فى اختيار الزوج المناسب، ولها أحقية القبول أو الرد إذا كانت ثيباً لقوله ﷺ «لا تنكح الأيم حتى تستأمر»

٨ ـ حفظ الإسلام حق المرأة : إذا كانت بكراً فلا تزوج إلا بإذنها لقوله ﷺ «لا تنكح البكر حتى تُستأذن»

٩ ـ حفظ الإسلام حق المرأة: فى صداقها، وأوجب لها المهر ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ (النساء: ٢٤).

١٠ ـ حفظ الإسلام حق المرأة: مختلعة، إذا بدَّ لها عدم الرغبة فى زوجها أن تخالع مقابل الفداء لقوله ﷺ «اقبل الحديقة وطلقها»

١١ ـ حفظ الإسلام حق المرأة: مطلقة، ﴿وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ (البقرة: ٢٤١).

١٢ ـ حفظ الإسلام حق المرأة: أرملة، وجعل لها حقاً فى تركة زوجها، قال الله تعالى ﴿وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم﴾ (النساء: ١٢).

١٣ ـ حفظ الإسلام حق المرأة: فى الطلاق قبل الدخول، وذلك فى عدم العدة، قال الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا﴾ (الأحزاب: ٤٩).

١٤ ـ حفظ الإسلام حق المرأة: يتيمة، وجعل لها من المغانم نصيباً، قال الله تعالى ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ﴾ (الأنفال: ٤١) وجعل لها من بيت المال نصيبا قال الله تعالى ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ﴾ (الحشر: ٧) وجعل لها فى القسمة نصيباً ﴿ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُوا الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ﴾ (النساء: ٨) وجعل لها فى النفقة نصيباً ﴿ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ﴾ (البقرة: ٢١٥).

١٥ ـ حفظ الإسلام حق المرأة: فى حياتها الاجتماعية، وحافظ على سلامة

نفسها، ووحدة صفها مع أقاربها، فحرم الجمع بينها وبين أختها، وعمتها، وخالتها، الخ... كما فى الآية، والحديث المتواتر.

١٦ ـ حفظ الإسلام حق المرأة: ـ فى صيانة عرضها، فحرم النظر إليها ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ (النور: ٣٠).

١٧ ـ حفظ الإسلام حق المرأة: ـ فى معاقبة من رماها بالفاحشة، من غير بينة بالجلد ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً﴾ (النور: ٤).

١٨ ـ حفظ الإسلام حق المرأة: ـ إذا كانت أماً، أوجب لها الإحسان، والبر، وحذر من كلمة أف فى حقها.

١٩ ـ حفظ الإسلام حق المرأة: ـ مُرضعة، فجعل لها أجراً، وهو حق مشترك بين الراضعة والمرضعة ﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ (الطلاق: ٦).

٢٠ ـ حفظ الإسلام حق المرأة: ـ حاملاً، وهو حق مشترك بينها وبين المحمول ﴿وَإِن كُنَّ أُولَاتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ (الطلاق: ٦).

٢١ ـ حفظ الإسلام حق المرأة: ـ فى السكنى: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ﴾ (الطلاق: ٦).

٢٢ ـ حفظ الإسلام حق المرأة: ـ فى صحتها فأسقط عنها الصيام إذا كانت مرضعا أو حبلى. مع تأديته حين الاستطاعة.

٢٣ ـ حفظ الإسلام حق المرأة: ـ فى الوصية، فلها أن توصى لما بعد موتها قال الله تعالى: ﴿مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾ (النساء: ١١).

٢٤ ـ حفظ الإسلام حق المرأة: ـ فى جسدها بعد موتها، وهذا يشترك فيه الرجل مع المرأة لقوله ﷺ «كسر عظم الميت ككسره حيا».

٢٥ ـ حفظ الإسلام حق المرأة: ـ وهى فى قبرها، وهذا يشترك فيه الرجل مع المرأة لقوله ﷺ: «لأن يجلس أحدكم على جمرة فتحرق ثيابه فتخلص إلى جلده خير

له من أن يجلس على قبر».

والحق أننى لا أستطيع أن أجمل حقوق المرأة فى الإسلام فضلاً عن تفصيلها

• الحضارة الغربية *

والسؤال هنا لأى شىء دعت الحضارة المدنية اليوم؟ وما هى الحقوق التى ضمنتها للمرأة؟

١ ـ أجمل لك القول أن الحضارة الغربية اليوم هى: ضمان للممارسة قتل هوية المرأة، وهضم لأدنى حقوقها.

٢ ـ المرأة الغربية حياتها منذ الصغر نظر إليها فى صورة شبح قاتل، لا تقوى على صراعه، فهى منذ أن تبلغ السادسة عشرة تطرد من بيتها، لتسلم أنوثتها مخالب للشهوات الباطشة، وأنياب الاستغلال العابثة، فى أوساط الرجال.

٣ ـ فما إن تدخل زحمة الأوهام الحضارية، وإذا بأعين الناس تطاردها بمعاول النظر التى تحبل منها العذارى.

٤ ـ تتوجه نحوها الكلمات الفاسدة، وكأنها لكلمات قاتلات، تبلد من الحياء، وتفقدها أغلى صفة ميزها الله بها، هى: «حلاوة أنوثتها» التى هى أخص خصائصها، ورمز هويتها.

٥ ـ تستغل أحوالها المادية، فتدعى لكل رذيلة، حتى تصبح كأى سلعة، تداولها أيدى تجار الأخلاق، وبأبخس الأثمان، فإذا فقدت شرفها، وهان الإثم عندها، هان عليها ممارسته.

٦ ـ يخلق النظام الأخلاقى الغربى اليوم فى المجتمعات ثمرات سامة لكل مقومات الحياة، أولها الحكم على هوية المرأة بالإعدام السريع، على بوابة شهوات العالم الليبرالى، الديمقراطى، والرأسمالى.

٧ ـ فالمرأة اليوم أسوأ حالاً مما مضى، كانوا من قبل يقتلون المرأة، فاليوم يجعلون المرأة هى التى تقوم بقتل نفسها.

شهادات الغرب

شهد القوم على فساد نهجهم..

• تقول «هيليسيان ستانسيرى»:

«امنعوا الاختلاط، وقيدوا حرية الفتاة، بل ارجعوا إلى عصر الحجاب، فهذا خير لكم من إباحية وانطلاق ومجون أوربا، وأمريكا».

• وتقول «بيريه الفرنسية» وهى تخاطب بنات الإسلام

«لا تأخذنَّ من العائلة الأوربية مثالاً لكنَّ، لأن عائلاتها هى أنموذج ردىء لا يصلح مثالاً يحتذى.

• وتقول الممثلة الشهيرة «مارلين مونرو» التى كتبت قبيل انتحارها نصيحة لبنات جنسها تقول فيها:

«إحذرى المجد... إحذرى من كل من يخدعك بالأضواء... إنى أتعس امرأة على هذه الأرض... لم أستطع أن أكون أما... إنى امرأة أفضل البيت... الحياة العائلية الشريفة على كل شىء... إن سعادة المرأة الحقيقية فى الحياة العائلية الشريفة الطاهرة بل إن هذه الحياة العائلية لهى رمز سعادة المرأة بل الإنسانية» وتقول فى النهاية «لقد ظلمنى كل الناس... وأن العمل فى السينما يجعل من المرأة سلعة رخيصة تافهة مهما نالت من المجد والشهرة الزائفة».

• وتقول الكاتبة «اللادى كوك» أيضا:

«إن الاختلاط يألفه الرجل، ولهذا طمعت المرأة بما يخالف فطرتها، وعلى قدر الاختلاط تكون كثرة أولاد الزنا، ولا يخفى ما فى هذا من البلاء العظيم عن المرأة، فها أيها الآباء لا يغرنكم بعض دريهمات تكسبها بناتكم باشتغالهن فى المعامل ونحوها ومصيرهن إلى ما ذكرنا فعلموهن الابتعاد عن الرجال، إذا دلنا الإحصاء على أن البلاء الناتج عن الزنا يعظم ويتفاقم حيث يكثر الاختلاط بين الرجال والنساء. ألم تروا أن أكثر أولاد الزنا أمهاتهم من المشتغلات فى المعامل ومن الخادمات فى البيوت ومن أكثر السيدات المعرضات للأنظار.. ولولا الأطباء الذين

يعطون الأدوية للإسقاط لرأينا أضعاف مما نرى الآن، ولقد أدت بنا الحال إلى حد من الدناءة لم يكن تصوره فى الإمكان حتى أصبح رجال مقاطعات فى بلادنا لا يقبلون البنت ما لم تكن مجربة، أعنى عندها أولاد من الزنا، فينتفع بشغلهم وهذا غاية الهبوط فى المدنية، فكم قاست هذه المرأة من مرارة الحياة.

• وتقول الكاتبة الإنجليزية «أنى رود» عن ذلك

«إذا اشتغلت بناتنا فى البيوت خوادم أو كالخوادم خير وأخف بلاء من اشتغالهن فى المعامل حيث تصبح البنت ملوثة بأدران تذهب برونق حياتها إلى الأبد... أياليت بلادنا كبلاد المسلمين حيث فيها الحشمة والعفاف والطهارة رداء الخادمة والرقيق اللذين يتنعمان بأرغد عيش ويعاملان معاملة أولاد رب البيت ولا يمس عرضهما بسوء. نعم إنه عار على بلاد الإنكليز أن تجعل بناتها مثلا للرذائل بكثرة مخالطتهن للرجال، فما بالنا لا نسعى وراء ما يجعل البنت تعمل ما يوافق فطرتها الطبيعية كما قضت بذلك الديانة السماوية وترك أعمال الرجال للرجال سلامة لشرفها.

• نشرت صحيفة الأخبار المصرية (فى عددها الصادر فى ٢٠ / ١٠ / ١٩٧٢م، ص ٤): أنه قد أقيمت فى هذا الأسبوع الحفلة السنوية لسيدة العام وحضرها عدد كبير من السيدات على اختلاف مهنهن.. وكان موضوع الحديث والخطب التى ألقيت فى حضور الأميرة (آن) البريطانية هو حرية المرأة وماذا تطلب المرأة.. وحصلت على تأييد الاجتماع الشامل فتاة عمرها ١٧ عاما رفضت رفضاً باتا حركة التحرير النسائية وقالت إنها تريد أن تظل لها أنوثتها ولا تريد أن ترتدى البنطلون بمعنى تحدى الرجل. وأنها تريد أن تكون امرأة وتريد زوجها أن يكون رجلاً. وصفق لها الجميع وعلى رأسهم الأميرة (آن) (كتاب المرأة العربية المعاصرة إلى أين؟! ص ٥٠).

• ومن هذا صرح الدكتور «جون كيشلر» أحد علماء النفس الأمريكيين فى شيكاغو (أن ٩٠٪ من الأمريكيات مصابات بالبرود الجنسى وأن ٤٠٪ من الرجال مصابون بالعقم، وقال الدكتور إن الإعلانات التى تعتمد على صور الفتيات العارية هى

السبب فى هبوط المستوى الجنسى للشعب الأمريكى. ومن شاء المزيد فليرجع إلى تقرير لجنة الكونجرس الأمريكية لتحقيق جرائم الأحداث فى أمريكا تحت عنوان (أخلاق المجتمع الأمريكى المنهارة). (المجتمع العارى بالوثائق والأرقام، ص ١١).

• خاتمة

يتضح لنا جليا مما مضى أن الذين يدعون لتحرير المرأة من تعاليم الإسلام ينقسمون إلى ثلاثة أقسام:

١ ـ إما أن يكونوا أعداءً للإسلام وأهله، ممَّن لم يدينوا بالملة السمحة.

٢ ـ وإما أن يكونوا تحت مسمى الإسلام من المنافقين، والعلمانيين، لكنهم عملاء يتاجرون بالديانة، ولا يرقبون فى مخلوق إلاً ولا ذمة.

٣ ـ أن يكون مسلماً لكنه جاهل لا يعرف الإسلام ولا أحكامه ولا يعرف معنى الحضارة القائمة اليوم ملبس عليه.

ولكن كيف يصل هذا البيان إلى نساء أهل الإسلام، ليعلمن أنهنَّ أضعنَ جوهرة الحياة، ودرة الوجود، ومنبع السعادة، وروح السرور، ونكهة اللذائذ، عندما تركنَ تعاليم هذا الدين.

ومن يخبر المسلمة أن غير المسلمات يتمنين أن يعشن حياتهنَّ على منهج أهل الإسلام؟

من يقنع المسلمات اليوم أن الحضارة الغربية هى: الحكم السريع بالإعدام على هوية المرأة..



ثانياً: نساء من الغرب يعتنقن الإسلام

كانت حياتهن بلا هدف... فأحببن أن يكون لها معنى.. كانت أرواحهن مسكونة بالظلام، فابتغين لها رزق النور.. كانت قلوبهن تتمرغ فى أو حال المادة، فغمرنها بسبحات الطهر، وغمسنها فى عطور الإيمان.. حكاياتهن متشابهة!! رحلة طويلة وشاقة فى طريق محفوفة بالشك والشوك، ثم اللحظة العليا التى اجتزن بها المنعطف الأسمى فى حياتهن، بعد أن انتصرن فى أكبر معركة تخوضها الروح.. وتحولن بنقلة واحدة إلى القمة السامقة! حيث الإسلام، فرمين على عتبته آثار الجهل والحيرة والضياع.. هذا المنعطف الذى أعلن فيه شهادة التوحيد، لا تقاس لحظاته بعقارب الزمن، بل بدقات القلوب الخافقة الساكنة! أى مزيج هذا!؟ سكون كله اضطراب!! واضطراب كله سكون!! إنها لحظة مقدسة من زمن الجنة، هبطت إلى زمنهن وحدهن من دون الناس جميعاً.. إنها لحظة ملهمة أمدت عقولهن بحيوية هائلة، وقوة روحية فياضة، فإذا الدنيا وعبادها خاضعون لفيض هذه القوة.. أنا لست أشك أن ملائكة تهبط فى ذلك المكان، وملائكة تصعد لترفع ذلك الإيمان الغض الندى إلى الله. أسأل الله الذى أسعدهن فى الدنيا بالإسلام، أن يسعدهن فى الآخرة برضاه..

الشهيدة المفكرة صبورة أوربية (ماريا ألاسترا):

ولدت فى الأندلس عام ١٩٤٩ م، حصلت على إجازة فى الفلسفة وعلم النفس من جامعة مدريد، واعتنقت الإسلام عام ١٩٧٨ م، وكانت تدير مركز التوثيق والنشر فى المجلس الإسلامى، استشهدت فى غرناطة عام ١٩٩٨ م على يد حاقد إسبانى بعد لحظات من إنجاز مقالها (مسلمة فى القرية العالمية). ومما كتبت فى هذا المقال الأخير: «إننى أؤمن بالله الواحد، وأؤمن بمحمد نبياً ورسولاً، وبنهجه نهج

السلام والخير... وفى الإسلام يولد الإنسان نقيّاً وحرّاً دون خطيئة موروثة ليقبل موقعه وقدره ودوره فى العالم». «إن الأمة العربية ينتمى بعض الناس إليها، أما اللغة العربية فننتمى إليها جميعاً، وتحتل لدينا مكاناً خاصاً، فالقرآن قد نزل بحروفها، وهى أداة التبليغ التى استخدمها الرسول محمد ﷺ». «تعد التربية اليوم أكثر من أى وقت آخر، شرطاً ضرورياً ضد الغرق فى المحيط الإعلامى، فصحافتنا موبوئة بأخبار رهيبة، لأن المواطن المذعور سيكون أسلس قياداً، وسيعتقد خاشعاً بما يمليه العقديون»[1]. رحمها الله وأدخلها فى عباده الصالحين.

الكاتبة مريم جميلة (مارغريت ماركوس):

أمريكية من أصل يهودى، وضعت كتباً منها (الإسلام فى مواجهة الغرب)، و(رحلتى من الكفر إلى الإيمان) و (الإسلام والتجدد) و (الإسلام فى النظرية والتطبيق). تقول: «لقد وضع الإسلام حلولاً لكل مشكلاتى وتساؤلاتى الحائرة حول الموت والحياة وأعتقد أن الإسلام هو السبيل الوحيد للصدق، وهو أنجح علاج للنفس الإنسانية». «منذ بدأت أقرأ القرآن عرفت أن الدين ليس ضرورياً للحياة فحسب، بل هو الحياة بعينها، وكنت كلما تعمقت فى دراسته ازددت يقيناً أن الإسلام وحده هو الذى جعل من العرب أمة عظيمة متحضرة قد سادت العالم». «كيف يمكن الدخول إلى القرآن الكريم إلا من خلال السنة النبوية؟! فمن يكفر بالسنة لا بد أنه سيكفر بالقرآن». «على النساء المسلمات أن يعرفن نعمة الله عليهن بهذا الدين الذى جاءت أحكامه صائنة لحرماتهن، راعية لكرامتهن، محافظة على عفافهن وحياتهن من الانتهاك ومن ضياع الأسرة»[2].

السيدة سلمى بوافير (صوفى بوافير):

ماجستير فى تعليم الفرنسية والرياضيات. تمثل قصة إسلام السيدة (سلمى بوافير) نموذجاً للرحلة الفكرية الشاقة التى مر بها سائر الذين اعتنقوا الإسلام، وتمثل نموذجاً للإرادة القوية، والشجاعة الفكرية وشجاعة الفكر أعظم شجاعة.

---

(١) عن مقال (مسلمة فى القرية العالمية) ترجمة صلاح يحياوى، مجلة (الفيصل) العدد (٢٩١) عام ٢٠٠٠ م.

(٢) عن (مقدمات العلوم والمناهج) للعلامة أنور الجندى (مجلد ٦/ ص ١٩٩).

تروى السيدة سلمى قصة اهتدائها إلى الإسلام فتقول باعتزاز: «ولدت فى مونتريال بكندا عام ١٩٧١ فى عائلة كاثوليكية متدينة، فاعتدت الذهاب إلى الكنيسة، إلى أن بلغت الرابعة عشرة من عمرى، حيث بدأت تراودنى تساؤلات كثيرة حول الخالق وحول الأديان، كانت هذه التساؤلات منطقية ولكنها سهلة، ومن عجب أن تصعب على الذين كنت أسألهم! من هذه الأسئلة: إذا كان الله هو الذى يضر وينفع، وهو الذى يعطى ويمنع، فلماذا لا نسأله مباشرة؟! ولماذا يتحتم علينا الذهاب إلى الكاهن كى يتوسط بيننا وبين من خلقنا؟! أليس القادر على كل شىء هو الأولى بالسؤال، أسئلة كثيرة كهذه كانت تلح على، فلما لم أتلق الأجوبة المقنعة عنها توقفت عن الذهاب إلى الكنيسة، ولم أعد للاستماع لقصص الرهبان غير المقنعة، والتى لا طائل منها. لقد كنت أؤمن بالله وبعظمته وبقدرته، لذلك رحت أدرس أدياناً أخرى، دون أن أجد فيها أجوبة تشفى تساؤلاتى فى الحياة، وبقيت أعيش الحيرة الفكرية حتى بدأت دراستى الجامعية، فتعرفت على شاب مسلم تعرفت من خلاله على الإسلام، فأدهشنى ما وجدت فيه من أجوبة مقنعة عن تساؤلاتى الكبرى! وبقيت سنة كاملة وأنا غارقة فى دراسة هذا الدين الفذ، حتى استولى حبه على قلبى، والمنظر الأجمل الذى جذبنى إلى الإسلام هو منظر خشوع المسلم بين يدى الله فى الصلاة، كانت تبهرنى تلك الحركات المعبرة عن السكينة والأدب وكمال العبودية لله تعالى. فبدأت أرتاد المسجد، فوجدت بعض الأخوات الكنديات اللواتى سبقننى إلى الإسلام الأمر الذى شجعنى على المضى فى الطريق إلى الإسلام، فارتديت الحجاب أولاً لأختبر إرادتى، وبقيت أسبوعين حتى كانت لحظة الانعطاف الكبير فى حياتى، حين شهدت أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. إن الإسلام الذى جمعنى مع هذا الصديق المسلم، هو نفسه الذى جمعنا من بعد لنكون زوجين مسلمين، لقد شاء الله أن يكون رفيقى فى رحلة الإيمان هو رفيقى فى رحلة الحياة».

الكاتبة البريطانية إيفلين كوبلد:

شاعرة وكاتبة، من كتبها (البحث عن الله) و (الأخلاق). تقول: «يصعب علىَّ تحديد الوقت الذى سطعت فيه حقيقة الإسلام أمامى فارتضيته ديناً، ويغلب على ظنى أنى مسلمة منذ نشأتى الأولى، فالإسلام دين الطبيعة الذى يتقبله المرء فيما

لو تُرك لنفسه»(١). «لما دخلت المسجد النبوى تولتنى رعدة عظيمة، وخلعت نعلى، ثم أخذت لنفسى مكاناً قصياً صليت فيه صلاة الفجر، وأنا غارقة فى عالم هو أقرب إلى الأحلام... رحمتك اللهم، أى إنسان بعثت به أمة كاملة، وأرسلت على يديه ألوان الخير إلى الإنسانية!»(٢).

وقلت أسارع ألقى النبى

تعطرت، لكن بعطر المدينه

وغامت رؤاى وعدت سواى

وأطلقت روحاً بجسمى سجينه

سجدت، سموت، عبرت السماء

وغادرت جسمى الكثيف وطينه

مدينة حبى مراح لقلبى

سناء، صفاء، نقاء، سكينه(٣)

«لم نخلق خاطئين، ولسنا فى حاجة إلى أى خلاص من المسيح عليه السلام، ولسنا بحاجة إلى أحد ليتوسط بيننا وبين الله الذى نستطيع أن نقبل عليه بأى وقت وحال.

وأختم هذه الرحلة المباركة بهذه الكلمات العذبة للشاعرة «أكسانتا ترافنيكوفا» التى أتقنت اللغة العربية، وتذوقتها إلى حد الإبداع الشعرى الجميل، وها هى تقول: خذ قصورى والمراعى.. وبحورى ويراعى.. وكتابى والمداد واهدنى قولة حق تتجنى يوم التناد دع جدالاً يا صديقى وتعالَ.. كى نقول الحق حقاً لا نبال ونرى النور جلياً رغم آلات الضلال نحن ما جئنا لنطغى.. بل بعثنا لحياة وثراء وصلاة ودعاء.. عند أبواب الرجاء.. يومها عرس السماء.

«من كتاب» ربحت محمداً ولم أخسر المسيح» للدكتور: عبد المعطى الدالاتى.

---

(١) عن (الإسلام) للدكتور أحمد شلبى ص (٢٩٧).

(٢) عن (آفاق جديدة للدعوة الإسلامية فى الغرب) للمفكر أنور الجندى.

(٣) ديوان (أحبك ربى) د. عبد المعطى الدالاتى ص (٤٥)..

ثالثاً: المرأة فى عيون غربية منصفة

مارسيل بوازار(1)

(.. كانت المرأة تتمتع بالاحترام والحرية فى ظل الخلافة الأموية بإسبانيا، فقد كانت يومئذ تشارك مشاركة تامة فى الحياة الاجتماعية والثقافية، وكان الرجل يتودد لـ (السيدة) للفوز بالحظوة لديها.. إن الشعراء المسلمين هم الذين علموا مسيحيى أوروبا عبر إسبانيا احترام المرأة...).

(إن الإسلام يخاطب الرجال والنساء على السواء ويعاملهم بطريقة (شبه متساوية) وتهدف الشريعة الإسلامية بشكل عام إلى غاية متميزة هى الحماية، ويقدم التشريع للمرأة تعريفات دقيقة عما لها من حقوق ويبدى اهتماماً شديداً بضمانها. فالقرآن والسنة يحضان على معاملة المرأة بعدل ورفق وعطف، وقد أدخلا مفهوماً أشد خلقية عن الزواج، وسعيا أخيراً إلى رفع وضع المؤمنة بمنحها عدداً من الطموحات القانونية. أمام القانون والملكية الخاصة الشخصية، والإرث).

(لقد خلقت المرأة فى نظر القرآن من الجوهر الذى خلق منه الرجل. وهى ليست من ضلعه، بل (نصفه الشقيق) كما يقول الحديث النبوى (النساء شقائق الرجال) المطابق كل المطابقة للتعاليم القرآنية التى تنص على أن الله قد خلق من

---

(1) مارسيل بوازار... M. Poizer

مفكر، وقانونى فرنسى معاصر. أولى اهتماماً كبيراً لمسألة العلاقات الدولية وحقوق الإنسان وكتب عدداً من الأبحاث للمؤتمرات والدوريات المعنية بهاتين المسألتين. يعتبر كتابه (إنسانية الإسلام)، الذى انبثق عن اهتمام نفسه، علامة مضيئة فى مجال الدراسات الغربية للإسلام، بما تميز به من موضوعية، وعمق، وحرص على اعتماد المراجع التى لا يأسرها التحيز والهوى. فضلاً عن الكتابات الإسلامية نفسها.

كل شيء زوجين. ولا يذكر التنزيل أن المرأة دفعت الرجل إلى ارتكاب الخطيئة الأصلية، كما يقول سفر التكوين. وهكذا فإن العقيدة الإسلامية لم تستخدم ألفاظاً للتقليل من احترامها، كما فعل آباء الكنيسة الذين طالما اعتبروها (عميلة الشيطان). بل إن القرآن يضفى آيات الكمال على امرأتين: امرأة فرعون ومريم ابنة عمران أم المسيح عليه السلام..).

(... ليس فى التعاليم القرآنية ما يسوغ وضع المرأة الراهن فى العالم الإسلامى. والجهل وحده، جهل المسلمة حقوقها بصورة خاصة، هو الذى يسوغه...).

(... أثبتت التعاليم القرآنية وتعاليم محمد ﷺ أنها حامية حمى حقوق المرأة التى لا تكل...).

أميل درمنغم[1]

(مما لا ريب فيه أن الإسلام رفع شأن المرأة فى بلاد العرب وحسن حالها، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه فتئنا نعد النساء من المتاع حتى أوحى فى أمرهن مبيناً لهن)، وقال النبى ﷺ: (أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً، وخياركم خياركم لنسائهم) أجل، إن النبى ﷺ أوصى الزوجات بإطاعة أزواجهن، ولكنه أمر بالرفق بهن ونهى عن تزويج الفتيات كرهاً وعن أكل أموالهن بالوعيد أو عند الطلاق... ولم يكن للنساء نصيب فى المواريث أيام الجاهلية... فأنزلت الآية التى تورث النساء. وفى القرآن تحريم لوأد البنات، وأمر بمعاملة النساء والأيتام بالعدل، ونهى محمدا ﷺ عن زواج المتعة وحمل الإماء على البغاء وأباح تعدد الزوجات.. ولم يوص الناس به، ولم يأذن فيه إلا بشرط العدل بين الزوجات فيهب لإحداهن إبرة دون الأخرى...

(١) اميل درمنغم E. Dermenghem

مستشرق فرنسى، عمل مديراً لمكتبة الجزائر، من آثاره: (حياة محمد) (باريس ١٩٢٩) وهو من أدق ما صنفه مستشرق عن النبى ﷺ، و (محمد والسنة الإسلامية) (باريس ١٩٥٥)، ونشر عدداً من الأبحاث فى المجلات الشهيرة مثل: (المجلة الأفريقية)، و (حوليات معهد الدراسات الشرقية)، و (نشرة الدراسات العربية)... إلخ.

وأباح الطلاق أيضاً مع قوله: (أبغض الحلال إلى الله تعالى الطلاق) وليس مبدأ الاقتصار على زوجة واحدة من الحقوق الطبيعية مع ذلك، ولم يفرضه كتاب العهد القديم على الآباء، وإذا كان هذا قد أصبح سنة فى النصرانية فذلك لسابق انتشاره فى بلاد الغرب، وذلك من غير أن يحمله رعايا نيرون إلى بلاد إبراهيم ويعقوب عليهما السلام... وأيهما أفضل: تعدد الزوجات الشرعى أم تعدد الزوجات السرى؟... إن تعدد الزوجات من شأنه إلغاء البغاء والقضاء على عزوبة النساء ذات المخاطر...).

(من المزاعم الباطلة أن يقال إن المرأة فى الإسلام قد جردت من نفوذها زوجة وأما كما تذم النصرانية لعدها المرأة مصدر الذنوب والآثام ولعنها إياها، فعلى الإنسان أن يطوف فى الشرق ليرى أن الأدب المنزلى فيه قوى متين وأن المرأة فيه لا تحسد بحكم الضرورة نساءنا ذوات الثياب القصيرة والأذرع العارية ولا تحسد عاملاتنا فى المصانع وعجائزنا، ولم يكن العالم الإسلامى ليجهل الحب المنزلى والحب الروحى، ولا يجهل الإسلام ما أخذناه عنه من الفروسية المثالية والحب العذرى).



هنرى دى كاسترى[1]

(... إن الناس بالغوا كثيراً فى مضار تعدد الزوجات عند المسلمين إن لم نقل أن ما نسبوه إليه من ذلك غير صحيح. فما تعدد الزوجات هو الذى ولد فى الشرق تلك الرذائل الفاضحة، بل المعقول أنه من شأنه تلطيفها، على أننى لست أدرى إن كانت تلك الرذائل أكثر منها فى الغرب، بل تلك وصمة ألصقت بالإسلام بواسطة السواح الذين يرون أمراً فى فرد فيجعلونه عاماً من غير تثبت فيه لولا هذا التعميم السطحى لما وجدوا شيئاً يملأون به مؤلفاتهم والواقع أن الرذائل الفاضحة موجودة فى كل أمة ولقد يقع منها فى باريس ولندن وبرلين أكثر مما يحدث فى الشرق بأجمعه لأن النبى ﷺ بالغ فى تحريمها ولم يعدها من الذنوب الخفيفة...).

(من الخطأ الفاضح والغلو الفادح قولهم إن عقد الزواج عند المسلمين عبارة عن عقد تباع فيه المرأة فتصير شيئاً مملوكاً لزوجها لأن ذلك العقد يخول للمرأة حقوقاً أدبية وحقوقاً مادية من شأنها إعلاء منزلتها فى الهيئة الاجتماعية..).

(لم يقتصر القرآن فى التضييق على تعدد الزوجات على عددهن، بل حرم ما كان معروفاً عند العرب قبله من الزواج لزمن محدد وفى ذلك شبه تحريم للطلاق لكونه لا يتأتى إلا بشروط مخصوصة...).

(... إننا لو رجعنا إلى زمن النبى ﷺ ومكان ظهوره لما وجدنا عملاً يفيد النساء أكثر مما أتاه ﷺ فهن مدينات لنبيهن بأمور كثيرة وفى القرآن آيات ساميات فى حقوقهن وما يجب لهن على الرجال.. ويرى القارئ من جميع تلك الآيات مقدار اهتمام (الإسلام) بمنع عوامل الفساد الناشئة عن التعشق بين المسلمين لكى يجعل الأزواج والآباء فى راحة ونعيم.. ولقد (أصبحت) للمسلمين أخلاق مخصوصة، عملاً بما جاء فى القرآن أو فى الحديث، وتولدت فى نفوسهم ملكات الحشمة

---

(١) الكونت هنرى دى كاسترى (١٨٥٠ - ١٩٢٧) Cte. H. de castries

مقدم فى الجيش الفرنسى، قضى فى الشمال الأفريقى ردحاً من الزمن. من آثاره: (مصادر غير منشورة عن تاريخ المغرب) (١٩٠٥)، (الأشراف السعديون) (١٩٢١)، (رحلة هولندى إلى المغرب) (١٩٢٦)، وغيرهما.

والوقار، وجاء هذا مغايراً لآداب الأمم المتمدنة اليوم على خط مستقيم ومزيلاً لما عساه كان يحدث عن ميل الشرقيين إلى الشهوات لولا هذه التعاليم والفروض. والفرق بين الحشمة عند المسلم وبينها عند المسيحى كما بين السماء والأرض...).

إيتين دينيه[1]

(لا يتمرد الإسلام على الطبيعة التى لا تغلب، وإنما هو يساير قوانينها ويزامل أزمانها، بخلاف ما تفعل الكنيسة من مغالطة الطبيعة ومصادمتها فى كثير من شؤون الحياة مثل ذلك الغرض الذى تفرضه على أبنائها الذين يتخذون الرهبنة، فهم لا يتزوجون وإنما يعيشون غرباء.

إن الإسلام لا يكفيه أن يساير الطبيعة وأن لا يتمرد عليها وإنما هو يدخل على قوانينها ما يجعل أكثر قبولاً وأسهل تطبيقاً فى إصلاح ونظام ورضا ميسور مشكور حتى لقد سمى القرآن لذلك (بالهدى) لأنه المرشد إلى أقوم مسالك الحياة والأمثلة العديدة لا تعوزنا، ولكنا نأخذ بأشهرها وهو التساهل فى سبيل تعداد الزوجات... فمما لا شك فيه أن التوحيد فى الزوجة هو المثل الأعلى، ولكن ما العمل وهذا الأمر يعارض الطبيعة ويصادم الحقائق بل هو الحال الذى يستحيل تنفيذه. لم يكن للإسلام أمام الأمر الواقع، وهو دين اليسر، إلا أن يستبين أقرب أنواع العلاج فلا يحكم فيه حكماً قاطعاً ولا يأمر به أمراً باتاً).

(... هل حقيقى أن الديانة المسيحية بتقريرها الجبرى لفردية الزوجة وتشديدها فى تطبيق ذلك قد منعت تعدد الزوجات؟ وهل يستطيع شخص أن يقول ذلك دون أن يأخذ منه الضحك مأخذه؟

---

(١) ايتين دينيه (١٨٦١ ـ ١٩٢٩) E. Dient

تعلم فى فرنسا، وقصد الجزائر، فكان يقضى فى بلدة بو سعادة نصف السنة من كل عام، وأشهر إسلامه وتسمى بناصر الدين (١٩٢٧)، وحج إلى بيت الله الحرام (١٩٢٨).

من آثاره: (محمد فى السيرة النبوية)، وله بالفرنسية (حياة العرب)، و (حياة الصحراء)، و (أشعة خاصة بنور الإسلام)، و (الشرق فى نظر الغرب)، و (الحج إلى بيت الله الحرام).

وإلا فهؤلاء مثلاً ملوك فرنسا - دع عنك الأفراد - الذين كانت لهم الزوجات المتعددات والنساء الكثيرات وفى الوقت نفسه لهم من الكنيسة كل تعظيم وإكرام. وإن تعدد الزوجات قانون طبيعى وسيبقى مابقى العالم لذلك فإن مافعلته المسيحية لم يأت بالغرض الذى أرادته فانعكست الآية معها وصرنا نشهد الإغراء بجميع أنواعه.... إن نظرية التوحيد فى الزوجة(التى) تأخذ بها المسيحية ظاهرا تنطوى تحتها سيئات متعددة ظهرت الأخص فى ثلاث نتائج واقعية شديدة الخطر جسيمة البلاء تلك هى الدعارة،والعوانس من النساء، والأبناء غير الشرعيين. إن هذه الأمراض الاجتماعية ذات السيئات الأخلاقية لم تكن تعرف فى البلاد التى طبقت فيها الشريعة الإسلامية تمام التطبيق وإنما دخلتها وانتشرت فيها بعد الاحتكاك بالمدنية الغربية)

(جاء فى كتاب (الإسلام) تأليف (شمتز دوملان) «أنه عندما غادر الدكتور مافروكورداتو الآستانة سنة ١٨٢٧ إلى برلين لدراسة الطب لم يكن فى العاصمة العثمانية كلها بيت واحد للدعارة. كما لم يعرف فيها داء الزهرى - وهو السفلس المعروف بالشرق بالمرض الأفرنكى - فلما عاد الدكتور بعد أربع سنين تبدل الحال غير الحال. وفى ذلك يقول الصدر الأعظم الكبير رشيد باشا فى حسرة موجعة: إننا نرسل أبناءنا إلى أوروبا ليتعلموا المدنية الأفرنكية فيعودوا إلينا مرضى بالداء الأفرنكى)

(... إننا نخشى أن تخرج المرأة الشرقية إلى الحياة العصرية... فينتابها الرعب لما تشهده لدى أخواتها الغربيات، اللاتى يسعين للعيش وينافس فى ذلك الرجال، ومن أمثلة الشقاء والبؤس الكثيرة)

(إن تعاليم المرأة يساير كل المسايرة جميع تعاليم الدين، وقد كان عصر ازدهار الإسلام يفاض فيضا على المسلمات، وكانت ثقافتهن حينذاك أرفع من ثقافة الأوربيات دون جدال)





ول ديورانت[1]

(رفع الإسلام من مقام المرأة فى بلاد العرب... وقضى على عادة وأد البنات وسوى بين الرجل والمرأة فى الإجراءات القضائية والاستقلال المالى، وجعل من حقها أن تشتغل بكل عمل حلال، وأن تحتفظ بمالها ومكاسبها، وأن ترث، وتتصرف فى مالها كما تشاء، وقضى على ما اعتاده العرب فى الجاهلية من انتقال النساء من الآباء إلى الأبناء فيما ينتقل لهم من متاع، وجعل نصيب الأنثى فى الميراث نصف نصيب الذكر، ومنع زواجهن بغير إرادتهن....)

(المسلم لا يرى الامتناع عن إشباع الغريزة الجنسية حال طبيعية أو مثالية، وقد كان لمعظم الصالحين من المسلمين زوجات وأبناء. وحدود الزواج أوسع فى الإسلام منه فى كثير من الأديان، وتفتح الشريعة الإسلامية منافذ كثيرة لإشباع الغريزة الجنسية ولهذا قل البغاء فى أيام الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين رضى الله عنهم...).

(... كان مركز المرأة المسلمة يمتاز عن مركز المرأة فى بعض البلاد الأوروبية من ناحية هامة ، تلك هى أنها كانت حرة التصرف فيما تملك لا حق لزوجها أو لدائنيه فى شىء من أملاكها....).

(.... كانت البنات يذهبن إلي المدارس سواء بسواء، ونبغ عدد من النساء المسلمات فى الأدب والفن....).



(١) ول ديورانت W. Durant

مؤلف أمريكى معاصر، يعد كتابه (قصة الحضارة) ذو ثلاثين مجلداً، واحدا من أشهر الكتب التى تؤرخ للحضارة البشرية عبر مساراتها المعقدة المتشابكة، عكف على تأليفه السنين الطوال، وأصدر جزأه الأول عام ١٩٣٥، ثم تلته بقية الأجزاء ومن كتبه (قصة الفلسفة).

جاك ريسلر(١)

(.. لقد وضعت المرأة على قدم المساواة مع الرجال فى القضايا الخاصة بالمصلحة فأصبح فى استطاعتها أن ترث، وأن تورث، وأن تشتغل بمهنة مشروعة لكن مكانها الصحيح هو البيت. كما أن مهمتها الأساسية هى أن تنجب أطفالا.. وعلى ذلك رسم النبى ﷺ واجبها (أيما امرأة مات زوجها، وهو راض عنها، دخلت الجنة).. وفى الحق أن تعدد الزوجات، بتقييده الانزلاق مع الشهوات الجامحة، قد حق بهذا التشريع الإسلامى تماسك الأسرة، وفيه ما يسوغ عقوبة الزوج الزانى).

(كانت الأسرة الإسلامية ترعى دائما الطفل، وصحته، وتربيته، رعاية كبيرة. وترضع الأم هذا الطفل زمنا طويلا، وأحيانا لمدة أكثر من سنتين، وتقوم على تنشئته بحنان وتغمره بحبها وباحتياطات متصلة. وإذا حدث أن أصاب الموت بعض الأسرة، وأصبحوا يتامى، فإن أقرباءهم المقربين لا يترددون فى مساعدتهم وفى تبنيهم).

(يقوم تعليم البنات على تلقيهن تربية دينية قويمة، وعلى تعويدهن على الصلاة، وجعلهن فى وقت مبكر صالحات للأعمال المنزلية. وبعد سنوات أيضا يعلمن قرض الشعر والفنون...).



---

(١) جاك. س. ريسلر J. S. Restler

باحث فرنسى معاصر، وأستاذ بالمعهد الإسلامى بباريس.

أحمد سوسه[1]

(يجب ألا يغرب عن البال أن المرأة لم تكن قد حازت حقوقا تتمتع بها إلا بعد ظهور الإسلام لأن الإسلام هو أول من رفع قدر المرأة وأعطاها حقها فى الحياة كحق الرجل).

(لقد حرمت المسيحية الطلاق ولكن فى الوقت نفسه نجد أنظمة البلاد المسيحية وقوانينها الرسمية تنص على إباحته. إن المسيحيين أنفسهم قد ضربوا بتعاليم ديانتهم عرض الحائط ووضعوا القوانين التى تنقضها من الأساس، وما كان ذلك كرها لديانتهم ولكن رغبة فى وضع ما تتطلبه نفسية المجتمع البشرى من نظام يضمن الاطمئنان فى علاقات الجنسين ويكفل السعادة البشرية. ولو صحا المسيحيون من غفلتهم وتأملوا فى الأمر لاتضح لهم بأن الإسلام قد سبقهم فى هذا المضمار من قبل ثلاثة عشر قرنا..).

(من الغريب أن يصبح الطلاق اليوم عند المسلمين إلى جانب القلة ويكثر عند الغربيين الذين كانوا ينكرونه أشد الإنكار، وما فتئ يزداد مع الزمن انتشارا مطردا، فإنه يحصل بالولايات المتحدة الأمريكية كل سنة ما ينيف على المائتى ألف طلاق، وفى أوروبا يبت فى عشرات الألوف من قضايا الطلاق وعلى الأخص فى فرنسا. ولا يغيب عن الذهن أن الإسلام مع إباحته الطلاق للضرورة فإنه يعد أبغض الحلال عند الله، كما أنه ورد فى القرآن الكريم ما يحتم الرفق بالمرأة ويفرض المحافظة على حقوقها ويمنع الرجل عن الإقدام للطلاق ما أمكن).

(كانت المرأة فى ديار العرب قديما محض متاع، مجرد ذكرها أمر ممتهن.

---

(١) الدكتور أحمد نسيم سوسه Dr. A. N. Sousa

باحث مهندس من العراق، وعضو فى المجمع العلمى العراقى، وواحد من أبرز المختصين بتاريخ الرى فى العراق، كان يهودياً فاعتنق الإسلام متأثراً بالقرآن الكريم، توفى قبل سنوات قلائل.

ترك الكثير من الدراسات فى مختلف المجالات وخاصة فى تاريخ الرى، وفند فى عدد منها ادعاءات الصهيونية العالمية من الناحية التاريخية، ومن مؤلفاته الشهيرة: (مفصل العرب واليهود فى التاريخ)، و (فى طريقى إلى الإسلام) الذى تحدث فيه عن سيرة حياته.

هكذا كان الوضع، حينما (جاء النبى ﷺ).

فرفع مقام المرأة فى آسيا من وضع المتاع الحقير إلى مرتبة الشخص المحترم الذى له الحق بالحياة حياة محترمة، كما أن له الحق فى أن يملك ويرث المال).

(مما يدل على أن الإسلام هو دين أبدى قد أنزل لكل وقت ومكان نجد أن عادة تعدد الزوجات لم تعد تتبع فى كثير من الأنحاء الإسلامية إلا ما ندر وقل، وذلك لسبب التطور الذى طرأ فى حياة معظم الجماعات بحيث جعل العسر الاقتصادى والظروف الحالية تعدد الزوجات متعذرا تطبيقه... هذا وإذا دققنا كم هى النسبة المئوية من المؤمنين بالدين الإسلامى الذين يطبقون عادة تعدد الزوجات فى الوقت الحاضر نجد فعلا إنها نسبة جد قليلة...).



لويس سيديو(1)

(إن القرآن، وهو دستور المسلمين، رفع شأن المرأة بدلا من خفضه.. فجعل حصة البنت فى الميراث تعدل نصف حصة أخيها مع أن البنات كن لا يرثن فى زمن الجاهلية.. «وهو» وإن جعل الرجال قوامين على النساء بين أن للمرأة حق الرعاية والحماية على زوجها. وأراد ألا تكون الأيامى جزءا من ميراث رب الأسرة فأوجب أن يأخذن ما يحتجن إليه مدة سنة وأن يقبضن مهورهن وأن ينلن نصيبا من أموال المتوفى....).

(لاشىء أدعى إلى راحة النفس من عناية محمد ﷺ بالأولاد. فهو قد حرم «بأمر الله» عادة الوأد، وشغل باله بحال اليتامى على الدوام... وكان يجد فى ملاحظة صغار الأولاد أعظم لذة. ومما حدث ذات يوم أن كان محمد ﷺ يصلى فوثب الحسين بن على رضي الله عنه فوق ظهره فلم يبال بنظرات الحضور فانتظر صابرا إلى حين نزوله كما ورد. وما ألطف أقوال محمد ﷺ عن حنان الأم وحب الوالدين، وما أجمل ما فى كلمته (الجنة تحت أقدام الأمهات) من تكريم الأمهات! فيمكن أن يكتب فصل رائع من حياة محمد ﷺ حول هذا الموضوع).

(أحل الطلاق فى الإسلام، ولكنه جعله تابعا لبعض الشروط فيمكن الرجوع عنه عند الطيش والتهور. والطلاق، لكى يكون باتا، يجب أن يكرر ثلاث مرات.... والمرأة إذا ما طلقت الطلقة الثالثة لا تحل لزوجها الأول إلا بعد أن تتزوج زوجا آخر فيطلقها هذا الزوج، وهذا الحكم على جانب عظيم من الحكمة لما يؤدى إليه من تقليل عدد الطلاق ولا يحق للمرأة أن تطلب الطلاق إلا عند سوء المعاملة...).

(جزاء الزنا صارم (فى الإسلام).. ولابد من أربعة شهود لإثباته. ولم يقصر

---

(1) لويس سيديو (١٨٠٨ ـ ١٨٧٦) L. Sedillot

مستشرق فرنسى عكف عن نشر مؤلفات أبيه جان جاك سيديو الذى توفى عام ١٨٣٢ قبل أن تتاح له فرصة إخراج كافة أعماله فى تاريخ العلوم الإسلامية. وقد عين لويسا أميناً لمدرسة اللغات الشرقية (١٨٣١) وصنف كتاباً بعنوان (خلاصة تاريخ العرب) فضلا عن (تاريخ العرب العام)، وكتب العديد من الأبحاث والدراسات فى المجلات المعروفة.

محمد ﷺ فى منع انتشار الفجور، وله نصائح غالية بهذا الصدد وهو يأمر المؤمنين بالاحتشام، وينظم أمورهم نحو أجرائهم وأبنائهم وآبائهم وأمهاتهم، برفق أبوى ممزوج بلسان المشترع الوقور الجليل).



لورافيشيا فاغليرى[1]

(.. فى ما يتصل بالزواج لا تطالب السنة الإسلامية بأكثر من حياة أمينة إنشائية يسلك فيها المرء منتصف الطريق، متذكرا الله من ناحية، ومحترما حقوق الجسد والأسرة والمجتمع وحاجتها من ناحية ثانية).

(.. إنه لم يقم الدليل حتى الآن، بأى طريقة مطلقة، على أن تعدد الزوجات هو بالضرورة شر اجتماعى وعقبة فى طريق التقدم. ولكنا نؤثر ألا نناقش المسألة على هذا الصعيد. وفى استطاعتنا أيضاً أن نصر على أنه فى بعض مراحل التطور الاجتماعى، عندما تنشأ أحوال خاصة بعينها، كأن يقتل عدد من الذكور ضخم إلى حد استثنائى فى الحرب مثلاً، يصبح تعدد الزوجات ضرورة اجتماعية والحق أن الشريعة الإسلامية التى تبدو اليوم وكأنها حافلة بضروب التساهل فى هذا الموضوع إنما قيدت تعدد الزوجات بقيود معينة، وكان هذا التعدد حراً قبل الإسلام، مطلقاً من كل قيد. لقد شجب الإسلام بعض أشكال الزواج المشروط والمؤقت التى كانت فى الواقع أشكالاً مختلفة للتسرى الشرعى (المعاشرة من غير الزواج) وفوق هذا منح الإسلام المرأة حقوقاً لم تكن معروفة قط من قبل. وفى استطاعتنا، فى كثير من اليسر، أن نذكر الشواهد المؤيدة لذلك).

---

(١) لورا فيشيا فاغليرى Vaglieri L. Veccia

باحثة إيطالية معاصرة انصرفت إلى التاريخ الإسلامى قديماً وحديثاً، إلى فقه العرب وآدابها.

ومن آثارها: (قواعد العربية) فى جزأين (١٩٣٧ ـ ١٩٤١)، و (الإسلام) (١٩٤٦)، و (دفاع عن الإسلام) (١٩٥٢)، والعديد من الدراسات فى المجالات الاستشراقية المعروفة.

(القرآن يبيح الطلاق. وما دام المجتمع الغربى قد ارتضى الطلاق أيضاً، واعترف به فى الواقع كضرورة من ضرورات الحياة، وخلع عليه فى مكان تقريباً صفة شرعية كاملة ففى ميسورنا أن نغفل الدفاع عن اعتراف الإسلام به. ومع ذلك فإننا بدراستنا له، وبمقارنتنا بين عادات العرب بالجاهلية وبين الشريعة الإسلامية، نفوز بفرصة نظهر فيها أن القانون الإسلامى قد دشن فى هذا المجال أيضاً إصلاحاً اجتماعياً. فقبل عهد الرسول ﷺ كان العرف بين العرب قد جعل الطلاق عملاً بالغ السهولة.. أما القانون الإلهى فقد سن بعض القواعد التى لا تجيز إبطال الطلاق فحسب بل التى توصى به فى بعض الأحوال.. وليس للمرأة حق المطالبة بالطلاق، ولكنها قد تلتمس فسخ زواجها باللجوء إلى القاضى، وفى إمكانها أن تفوز بذلك إذا كان لديها سبب وجيه يبرره. والغرض من هذا التقييد لحق المرأة فى المبادرة هو وضع حد لممارسة الطلاق، لأن الرجال يعتبرون أقل استهدافا لاتخاذ القرارات تحت تأثير اللحظة الراهنة من النساء. وكذلك جعل تدخل القاضى ضماناً لحصول المرأة على جميع حقوقها المالية الناشئة عن إنجاز فسخ الزواج. وهذه القاعدة، والقاعدة الأخرى التى تنص على أنه فى حال نشوب خلاف داخل الأسرة يتعين اللجوء إلى بعض الموفقين ابتغاء الوصول إلى تفاهم، تنهضان دليلاً كافياً على أن الإسلام يعتبر الطلاق عملاً جديراً باللوم والتعنيف. والآيات القرآنية تقرر ذلك فى صراحة بالغة... وثمة هناك أحاديث نبوية كثيرة تحمل الفكرة نفسها...).

(اجتناباً للإغراء بسوء ودفعا لنتائجه يتعين على المرأة المسلمة أن تتخذ حجاباً، وأن تستر جسدها كله، ما عدا تلك الأجزاء التى تعتبر حريتها ضرورة مطلقة كالعينين والقدمين. وليس هذا ناشئاً عن قلة احترام للنساء، أو ابتغاء كبت إرادتهن، ولكن لحمايتهن من شهوات الرجال.

وهذه القاعدة العريقة فى القدم، القاضية بعزل النساء عن الرجال، والحياة الأخلاقية التى نشأت عنها، قد جعلتها تجارة البغاء المنظمة مجهولة بالكلية فى البلدان الشرقية، إلا حيثما كان للأجانب نفوذ أو سلطان. وإذا كان أحد لا يستطيع

أن ينكر قيمة هذه المكاسب فيتعين علينا أن نستنتج أن عادة الحجاب... كانت المصدر فائدة لا تأثم المجتمع).

(إذا كانت المرأة قد بلغت، من وجهة النظر الاجتماعية فى أوروبا، مكانة رفيعة، فإن مركزها، شرعياً على الأقل، كان حتى سنوات قليلة جداً، ولا يزال فى بعض البلدان، أقل استقلالاً من المرأة المسلمة فى العالم الإسلامى. إن المرأة المسلمة إلى جانب تمتعها بحق الوراثة مثل إخوتها، ولو بنسبة صغيرة، وبحقها فى أن لا تزف إلى أحد إلا بموافقتها الحرة، وفى أن لا يسىء زوجها معاملتها، تتمتع أيضاً بحق الحصول على مهر من الزوج، وبحق إعالته إياها، وتتمتع بأكمل الحرية، إذا كانت مؤهلة لذلك شرعياً، فى إدارة ممتلكاتها الشخصية).



ليوبولد فايس[1]

(إن الشريعة الإسلامية، بمقتضى الحكمة التى تأخذ الطبيعة البشرية بعين الاعتبار الكلى دائماً، لا تأخذ على عاتقها أكثر من صيانة الوظيفة الاجتماعية - البيولوجية للزواج (بما فيها طبعاً العناية بالنسل أيضاً) فتسمح لرجل بأن يتخذ لنفسه أكثر من زوجة واحدة ولا تسمح للمرأة بأن تتخذ لنفسها أكثر من زوج واحد فى الوقت نفسه، فى حين أنها تترك للشريكين مسألة الزواج الروحية التى لا يمكن أن تقاس، وبالتالى تقع خارج دائرة الشريعة. فمتى كان الحب تاماً كاملاً فعندئذ

---

(١) ليوبولد فايس (محمد أسد) Weiss. L

مفكر، وصحفى نمساوى، اشهر إسلامه، وتسمى بمحمد أسد، وحكى فى كتابه القيم (الطريق إلى مكة) تفاصيل رحلته إلى الإسلام. وقد أنشأ بمعاونة وليم بكتول، الذى أسلم هو الآخر، مجلة (الثقافة الإسلامية)، فى حيدر آباد، الدكن (١٩٢٧) وكتب فيها دراسات وفيرة معظمها فى تصحيح أخطاء المستشرقين عن الإسلام من آثاره: ترجم صحيح البخارى بتعليق وفهرس، وألف (أصول الفقه الإسلامى) و (منهاج الإسلام فى الحكم، و (الإسلام على مفترق الطرق).

تنعدم الرغبة عند كل منهما فى الزواج ثانية ومتى كان الرجل لا يحب زوجته من كل قلبه ولا يرغب مع ذلك فى فقدها، فإن بإمكانه أن يتزوج بأخرى... ومهما يكن فإنه لما كان الزواج فى الإسلام عقداً مدنياً فحسب فإن فى مكنة الشريكين فى الزواج أن يلجآ دائماً إلى الطلاق خصوصاً وأن الوصمة التى تلصق بالطلاق، سواء بشدة أقل أو أكثر، فى المجتمعات الأخرى، معدومة فى المجتمع الإسلامى).

(إن الحرية التى تمنحها الشريعة الإسلامية كلا من الرجل والمرأة على حد سواء لعقد الزواج أو حل هذا العقد، يفسر السبب الذى من أجله تعتبر هذه الشريعة الزنا من أقبح الآثام: ذلك أنه تجاه هذا التسامح وهذه الحرية لا يمكن أن يكون هناك أيما عذر للوقوع فى حبائل العاطفة أو الشهوة...).

(جاء النبى ﷺ بما لم يسمع به من قبل الرجال والنساء سواء أمام الله، وأن جميع الواجبات الدينية مفروضة على الرجل والمرأة على حد سواء. والحق أنه ذهب إلى أبعد من ذلك فأعلن... أن المرأة شخص بملء حقها وليس لمجرد صلتها بالرجل كأم أو زوجة أو أخت أو ابنة، وأنها لذلك من حقها أن تقتنى ملكاً وأن تتعاطى التجارة على حسابها ومسؤوليتها وأن تهب لنفسها لمن تشاء عن طريق الزواج).



روجيه جارودى(١)

(إن القرآن، من وجهة نظر اللاهوتية، لا يحدد بين الرجل والمرأة علاقة من التبعية الميتافيزيقية: فالمرأة فى القرآن توأم وشريكة للرجل لأن الله خلق البشر ككل شىء ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ (الذاريات: ٤٩) والقرآن لا يحمل المرأة المسؤولية الأولى للخطيئة).

(إذا نحن قارنا قواعد القرآن بقواعد جميع المجتمعات السابقة فإنها تسجل تقدماً لا مراء فيه ولا سيما بالنسبة لأثينا ولروما حيث كانت المرأة قاصرة بصورة ثابتة).

(فى القرآن تستطيع المرأة التصرف بما تملك وهو حق لم يعترف لها به فى معظم التشريعات الغربية ولا سيما فى فرنسا إلا فى القرن التاسع عشر والعشرين. أما فى الإرث فصحيح أن للأنثى نصف ما للذكر، إلا أنه بالمقابل تقع جميع الالتزامات وخاصة أعباء مساعدة أعضاء الأسرة الآخرين على عاتق الذكر. المرأة معفاة من كل ذلك. والقرآن يعطى المرأة حق طلب الطلاق وهو ما لم تحصل عليه المرأة فى الغرب إلا بعد ثلاثة عشر قرناً).

(فى القرآن إقرار بتعدد الزوجات. إلا أن هذا التعدد لم يؤسسه هو، كان موجوداً من قبل (وهو موجود كذلك فى التوراة وفى الإنجيل)، وقد فرض عليه، على العكس، حدوداً مثل العدل التام بين مختلف الزوجات فى الإنفاق والمحبة

---

(١) روجيه كارودى Roger Garandy

المفكر الفرنسى المعروف، وأحد كبار زعماء الحزب الشيوعى الفرنسى، سابقاً. تتميز ثقافته بالعمق والشمولية، والرغبة الجادة فى البحث عن الحق مهما كان الثمن الذى يكلفه. أتيح له منذ مطلع الأربعينات أن يحتك بالفكر الإسلامى والحياة الإسلامية.

وازداد هذا الاحتكاك بمرور الوقت، وتمخض عن اهتزاز قناعاته المادية وتحوله بالتدريج إلى خط الإيمان، الأمر الذى انتهى به إلى فصله من الحزب الشيوعى الفرنسى، كما قاده فى نهاية الأمر (أواخر السبعينات) إلى اعتناق الإسلام، حيث تسمى بـ (رجاء كارودى).

كتب العديد من المؤلفات منها: (حوار الحضارات)، (منعطف الاشتراكية الكبير)، (البديل)، (واقعية بلا ضفاف)، وبعد إسلامه أنجز سيرة ذاتية خصبة وعدداً من المؤلفات، أبرزها: (وعود الإسلام)، فضلاً عن العديد من المحاضرات التى ألقاها فى أكثر من بلد.

والمعاشرة الجنسية، وهى قواعده إذا ما جرى تطبيقها بحرفيتها تجعل تعدد الزوجات مستحيلاً).

(يحسن ألا ننسى بأن جميع ألوان الرقة فى الحب والشفافية فيه... على نحو ما ظهر فى الغرب لدى شعراء التروبادور... وفى قصائد دانتى.. من أصول عربية إسلامية).



هاملتون كب[1]

(حين ننتهى من حذف الانحرافات (الفقهية المتأخرة) وشجبها، تعود تعاليم القرآن والرسول ﷺ الأصلية إلى الظهور فى كل نقائها ورفعتها وعدالتها المتساوية إزاء الرجل والمرأة معاً. عندئذ نجد أن هذه التعاليم تعود إلى المبادئ العامة وتحدد الفكرة التى تجب أن يوضع ويطبق القانون بمقتضاها أكثر من أن تعين صيغاً حقوقية حاسمة. وهذه الفكرة، فيما يخص المرأة، لا يمكنها إلا أن تكون نابضة بالود الإنسانى وبشعور الاحترام لشخصيتها والرغبة فى محور الأضرار التى ألحقها بالمرأة سير المجتمع سيراً قاسياً وناقصاً فيما مضى. وبعد ما ننتهى من استخلاص هذه الفكرة وهضمها، يمكننا أن نفهم التشريع الخاص بالقرآن فهما صحيحاً. حالما نتوصل إلى ذلك نرى أن الموقف الإسلامى تجاه المرأة، والطريقة الإسلامية فى فهم شخصيتها ونظامها الاجتماعى، وطريقة حماية التشريع الإسلامى لها، تفوق كثيراً ما هى عليه فى الديانات الأخرى).

---

(١) سير هاملتون الكساندر روسكين جب Prof. Sir. Hamilton A. R

يعد إمام المستشرقين الإنكليز المعاصرين، أستاذ اللغة العربية فى جامعة لندن سنة ١٩٣٠، وأستاذ فى جامعة أكسفورد منذ سنة ١٩٣٧، وعضو مؤسس فى المجمع العلمى المصرى، تفرغ للأدب العربى وحاضر بمدرسة المشرقيات بلندن.

من آثاره: (دراسات فى الآداب العصرية) (١٩٢٦)، (الفتوحات الإسلامية فى آسيا الوسطى وعلاقتها ببلاد الصين)، (رحلات ابن بطوطة)، (اتجاهات الإسلام المعاصرة)، وهو أحد محررى دائرة المعارف الإسلامية.

إيفلين كوبولد[1]

(الحق أقول إن الحب عندنا وكما يفهمه الغربيون ما يزال قريباً من الغريزة الجنسية، مقصورة دائرته أو تكاد، على ما تلهمه هذه الغريزة...

فأما المناطق العليا التى يرتفع الحب المهذب إليها، أما الحب بمعناه الإنسانى السامى.. الحب على أنه عاطفة إنسانية سامية أساسها إنكار الذات والرقى النفسى إلى عالم الخير والجمال والحق فهذا ما لا يفكر به أحد أو يتصور وجوده إنسان، وهو إلى ذلك كله موجود فى الإسلام، منطو فى هذه الإخوة الإسلامية التى تجعل من الفرد عبداً يعمل لخير المجموع وفرداً قصارى همه أن يعمل للإحسان والإحسان أبداً).

(لم تكن النساء (المسلمات) متأخرات عن الرجال فى ميدان العلوم والمعارف فقد نشأ منهن عالمات فى الفلسفة والتاريخ والأدب والشعر وكل ألوان الحياة).

(لما جاء الإسلام رد للمرأة حرياتها، فإذا هى قسيمة الرجل لها من الحق ما له وعليها ما عليه ولا فضل له عليها إلا بما يقوم به من قوة الجلد وبسطة اليد، واتساع الحيلة، أما الرجل فهو وليها يحوطها بقوته ويذود عنها بدمه وينفق عليها من كسب يده، فأما فيما سوى ذلك فهما فى السراء والبأساء على السواء. ذلك ما أجمله الله بقوله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ **(البقرة : ٢٢٨)**، وهذه الدرجة هى الرعاية والحياطة لا يتجاوزها إلى قهر النفس وجحود الحق، وكما قرن الله سبحانه بينهما فى شؤون الحياة، قرن بينهما فى حسن التربية وادخار الأجر وارتقاء الدرجات العليا فى الدنيا والآخرة. وإذا احتمل الرجل مشقات الحياة، ومتاعب العمل وتناثرت أوصاله، وتهدم جسمه فى سبيل معاشه ومعاش زوجه فليس ذلك بزائد مثقال حبة عن المرأة إذا وفت لبيتها

---

(١) اللادى إيفلين كوبولد Lady E. Cobold

نبيلة إنكليزية، اعتنقت الإسلام وزارت الحجاز، وحجت إلى بيت الله، وكتبت مذكراتها عن رحلتها تلك فى كتاب لها بعنوان:

(الحج إلى مكة) (لندن ١٩٣٤) والذى ترجم إلى العربية بعنوان: (البحث عن الله).

وأخلصت لزوجها وأحسنت القيام فى شأن دارها).

كتبت اللادى مارى مونتكاد، زوجة السفير الإنكليزى فى تركيا إلى شقيقتها تقول: (يزعمون أن المرأة المسلمة فى استعباد وحجر معيب، وهو ما أود تكذيبه فإن مؤلفى الروايات فى أوروبا لا يحاولون الحقيقة ولا يسعون للبحث عنها، ولولا أننى فى تركيا، وأننى اجتمعت إلى النساء المسلمات ما كان إلى ذلك سبيل، وإنى أستمع إلى أخبارهن وحوادثهن وطرق معيشتهن من سبل شتى، لذهبت أصدق ما يكتب هؤلاء الكتاب، ولكن ما رأيته يكذب كل التكذيب أخبارهم، ولا أبالغ إذا قررت لك أن المرأة المسلمة وكما رأيتها فى الآستانة أكثر حرية من زميلاتها فى أوروبا ولعلها المرأة الوحيدة التى لا تعنى بغير حياتها البيتية، ثم إنهن يعشن فى مقصورات جميلات ويستقبلن من يردن من الناس...).

(إن جهل النساء فى الإسلام أمر لا يتفق وأوامر الرسول الكريم ﷺ فقد أمر رسول الله النساء بطلب العلم وحظر الإسلام الجهل على المؤمنين به وشدد فى ذلك بما لا يدع مجالاً للشبهة والتأويل).



عبد الله كويليام[1]

(إن زعماء النصرانية أبدلوا دين المسيح ﷺ بما كانت ترمى إليه أهواؤهم وأوجدوا عقائد أخرى من تلقاء ذاتهم وتظاهروا فى مقاومة الشهوات البشرية بالرهبنة والعزوبية.. واتخذوهما ستاراً للفسق ولأعمالهم التضليلية حتى ضل الناس وأشركوا بالواحد القهار واتخذوا لفيفاً من هؤلاء القديسين والرهبان أرباباً من دون الله فلما جاء الإسلام استأصل شأفة هذه الخزعبلات وقضى على جميع الأباطيل والترهات وأقيمت الحجة الثابتة على استهجان العزوبية واعتبار الزواج كدليل للتقوى الحقيقية وأنه من أوليات القواعد الدينية إذ فيه بيان قدرة الخالق ووحدانيته وجلاله... فالإسلام هو الذى حض على الزواج وإبطال الرهبنة...).

(أما تعدد الزوجات فإن موسى ﷺ لم يحرمها وداود ﷺ أتاها وقال بها ولم تحرم فى العهد الجديد (أى الإنجيل).. إلا من عهد غير بعيد. ولقد أوقف محمد ﷺ الغلوا فيها عند حد معلوم. وعلى كل حال فإن مسألة تعدد الزوجات أمر شاذ كثيراً عن الدستور المعمول به فى البلاد الإسلامية المتمدنة.. وهو بكل ما قيل فيه من القول الهراء لا يخلو من الفائدة فقد ساعد على حفظ حياة المرأة وأوجد لها فى الشريعة حسن المساعدة. وتعدد الزوجات فى البلاد الإسلامية أقل إثماً وأخف ضرراً من الخبائث التى ترتكبها الأمم المسيحية تحت ستار المدنية. فلنخرج الخشبة التى فى أعيننا أولاً ومن ثم نتقدم لإخراج القذى من أعين غيرنا).

(جاء فى القرآن ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾ (النساء: ٣). فيما يتعلق بمسألة تعدد الزوجات التى تنتقدون فيها على المسلمين ظلماً وعدواناً. إذ لا شك فى أنكم تجهلون عدل النبى ﷺ بين أزواجه «رضوان الله عليهن» وحبه فيهن حبا مساويا مما علم المسلمين الانتماء والإنصاف بينهن. على أن القرآن لم يأمر بتعدد الزوجات بل جاء بالحظر مع الوعيد لمن لا يعدل فى الآية المتقدمة، ولذلك ترى اليوم جميع

(١) عبد الله كويليام Kwelem

مفكر إنكليزى، ولد سنة ١٨٥٦، وأسلم سنة ١٨٨٧، وتلقب باسم: (الشيخ عبد الله كويليام).

ومن آثاره: (العقيدة الإسلامية) (١٨٨٩)، و (أحسن الأجوبة).

المسلمين عدا القليل لا يتزوجون إلا امرأة واحدة خوف الوقوع تحت طائلة ما جاء من الإنذار فى القرآن المجيد. وإذا سلمنا على العموم بأن عدم تعدد الزوجات. أوفق للمعاشرة الدنيوية من تكررهن، فلا نسلم بالاعتراف بذلك على الوجه المتعارف اليوم بأوروبا من حصر الزواج فى امرأة واحدة إذعاناً للقانون واتخاذ عدة زوجات أخرى (غير شرعيات) من وراء الجدار...).

(... ورد فى القرآن نصوص كثيرة تثبت أن النساء لا يعاقبن فى الدار الآخرة فقط على ما أتين من سيء الأعمال بل كذلك يجازين خير الجزاء على ما يعلنه من طيب أعمالهن بمثل ما يكون للرجال. وعلى ذلك نرى أن الله سبحانه لا تمييز عنده فى الإسلام بين الأجناس).



روم لاندو[1]

(يوم كانت النسوة يعتبرن، فى العالم الغربى، مجرد متاع من الأمتعة، ويوم كان القوم هناك فى ريب جدى من أن لهن أرواحاً، كان الشرع الإسلامى قد منحهن حق التملك. وتلقت الأرامل نصيباً من ميراث أزواجهن، ولكن البنات كان عليهن أن يقنعن بنصف حصة الذكر.. إلا أن علينا أن لا ننسى أن الأبناء الذكور وحدهم كانوا، حتى فترة حديثة نسبياً، ينالون فى الديار الغربية حصة من الإرث).

---

(١) روم لاندو R. Landau

نحات وناقد فنى إنكليزى، زار زعماء الدين فى الشرق الأدنى (١٩٣٧)، وحاضر فى عدد من جامعات الولايات المتحدة (١٩٥٢ ـ ١٩٥٧)، أستاذ الدراسات الإسلامية وشمالى أفريقيا فى المجمع الأمريكى للدراسات الآسيوية فى سان فرانسيسكو (١٩٥٣).

من آثاره: (الله ومغامراتى) (١٩٣٥)، (بحث عن الغد) (١٩٣٨)، (سلم الرسل) (١٩٣٩)، (دعوة إلى المغرب) (١٩٥٠)، (سلطان المغرب) (١٩٥١)، (فرنسا والعرب) (١٩٥٣)، (الفن العربى) (١٩٥٥)... وغيرها.

ليتنر[1]

(... إن الزواج عند المسلمين يجل عما رماهم به كتاب النصارى. والقول بأنه لا يوجد حد للزواج والطلاق عند المسلمين فغير صحيح، والطلاق عندهم ليس هو بالأمر الهين، فعدا عن وجود المحكمين فعلى الرجل إن يدفع صداقها المسمى عند إجراء العقد وهذا غالباً يكون فوق ما يقدر زوجها على إيفائه بسهولة، فمركز المرأة بالإسلام قوى مؤمن من الطلاق. إن النصارى والبوذيين يرون الزواج أمراً روحياً ومع ذلك نرى عقدة النكاح محترمة عند المسلمين أكثر مما هى محترمة فى البلاد المسيحية... ويسوءنى أن أذكر ما ليس لى مناص من ذكره وهو أننى سكنت بين المسلمين أربعة وخمسين عاماً ابتداؤها سنة ١٨٤٨ فمع وجود التساهل فى أمر الطلاق عندهم وعسره عند النصارى، فقد وقع حوادث طلاق عند النصارى أكثر مما وقع عند المسلمين بكثير. وإنى أقول الحق بأن الشفقة والإحسان عند المسلمين نحو عيالهم والغرباء والمسنين والعلماء لمثال مجد يجب على النصارى أن يتقدموا به).

(أما تعدد الزوجات.. فإنا بقطع النظر عن منافعه الحقيقية، لأنه يقلل النساء الأماكن التى هن فيه أكثر من الرجال، وبقطع النظر عن أنه يقلل وجود المومسات وأضرارهن... ويمنع مواليد الزنا، فلا يمكننا أن ننكر بأن أكثر المسلمين ذو زوجة واحدة والسبب فى ذلك هو تعاليم دين الإسلام لقد أتى محمد ﷺ بين أمة تعد ولادة الأنثى شرّاً عظيما عليهم وهكذا كانوا يئدونها، ولم يكن للرجال حد يقفون عنده من جهة الزواج وكانوا يعدون النساء من جملة المتاع ويرثونها من بعد موت بعلها. فجعل ﷺ لهذه الحالة حداً فلا يقدر الرجل أن يتزوج بأكثر من أربع نساء بشرط المساواة بينهن فى كل شىء، حتى بالمحبة والوداد، فإن لم يكن قادراً على كل ذلك فلا يباح له بأن يتزوج غير واحدة. ومن يتدبر شريعته يرى أنه قد حض على الزواج بامرأة واحدة، ولقد رفع مقام المرأة ورقاها رقيا عظيماً، فإنها بعد ما كانت

---

(١) لايتنر Lightner

باحث إنكليزى، حصل على أكثر من شهادة دكتوراه فى الشريعة والفلسفة واللاهوت، وزار الأستانة عام ١٨٥٤، كما طوف بعدد من البلاد الإسلامية والتقى برجالاتها وعلمائها.

تعد كمتاع مملوك صارت مالكة، وحكمها مؤيد وحقوقها محفوظة).

(أما بخصوص الرهبانية فليس لها وجود فى الإسلام، وتكاد لا ترى امرأة غير متزوجة، وقصاص الزنا متساو فيه الرجل والمرأة... والشريعة الإسلامية لا تسمح بإهانة أولاد المملوكة، وهم يرثون أبناءهم مع أولاد السيدة... وليس فى الإسلام محلات للفاجرات ولا قانون يبيح انتشار المومسات. ومسامرات المسلمين العمومية خير مما هى فى أوروبا. ومسامرات شبان المسلمين فى المدارس خير وأطهر من مسامرات شبابنا..

والحق أولى أن يقال فإن كثيراً من كلام شبان الإنكليز لو قاله أحد فى بلاد المسلمين لنال قائله القصاص الصارم. وللمرأة المسلمة مركز شرعى خير من مركز المرأة الإنكليزية بكثير...).



وهيا معا للمزيد من إنصاف العقلاء.

جوستاف لوبون[1]

(تعد مبادئ المواريث التى نص عليها القرآن بالغة العدل والإنصاف.. ويظهر من مقابلتى بينها وبين الحقوق الفرنسية والإنكليزية أن الشريعة الإسلامية منحت الزوجات، اللائى يزعم أن المسلمين لا يعاشرونهن بالمعروف، حقوقاً فى المواريث لا تجد مثلها فى قوانيننا).

(لم يقتصر الإسلام على إقرار مبدأ تعدد الزوجات الذى كان موجوداً قبل ظهوره، بل كان ذا تأثير عظيم فى حال المرأة فى الشرق، والإسلام قد رفع حال المرأة الاجتماعى وشأنها رفعا عظيما بدلاً من خفضهما خلافاً للمزاعم المكررة على غير هدى، والقرآن قد منح المرأة حقوقاً إرثية أحسن مما فى أكثر قوانيننا الأوربية.. أجل أباح القرآن الطلاق كما أباحته قوانين أوربة التى قالت به، ولكنه اشترط أن يكون (للمطلقات متاع بالمعروف)... وأحسن طريق لإدراك تأثير الإسلام فى أحوال النساء فى الشرق هو أن نبحث فى حالهن قبل القرآن وبعده).

(إذا أردنا أن نعلم درجة تأثير القرآن فى أمر النساء وجب علينا أن ننظر إليهن أيام ازدهار حضارة العرب، وقد ظهر مما قصه المؤرخون أنه كان لهن من الشأن ما اتفق لأخواتهن حديثاً فى أوربا.. إن الأوربيين أخذوا عن العرب مبادئ الفروسية وما اقتضته من احترام المرأة. فالإسلام، إذن، لا النصرانية، هو الذى رفع المرأة من الدرك الأسفل الذى كانت فيه، وذلك خلافاً للاعتقاد الشائع. وإذا نظرت إلى نصارى الدور الأول من القرون الوسطى رأيتهم لم يحملوا شيئاً من الحرمة للنساء، وإذا تصفحت كتب التاريخ ذلك الزمن وجدت ما يزيل كل شك فى هذا الأمر، وعلمت أن رجال عصر الإقطاع كانوا غلاظاً نحو النساء قبل أن يتعلم النصارى من العرب أمر معاملتهن بالحسنى).

---

(١) كوستاف لوبون Dr. G. Lebon

ولد عام ١٨٤١ م، وهو طبيب، ومؤرخ فرنسى، عنى بالحضارة الشرقية.

من آثاره: (حضارة العرب) (باريس ١٨٨٤)، (الحضارة المصرية)، و (حضارة العرب فى الأندلس).

(،، إن حالة (النساء المسلمات) الحاضرة أفضل من حالة أخواتهن فى أوربا حتى عند الترك.. وأن نقصان شأنهن حدث خلافاً للقرآن، لا بسبب القرآن على كل حال.. إن الإسلام، الذى رفع المرأة كثيراً، بعيد من خفضها، ولم نكن أول من دافع عن هذا الرأى، فقد سبقنا إليه كثيرون..).

(إن تعدد الزوجات المشروع عند الشرقيين أحسن من تعدد الزوجات الريائى عند الأوربيين، وما يتبعه من مواكب أولاد غير شرعيين).

(إن النساء المسلمات قد أخرجن فى الدهر الغابر من المشهورات العالمية بقدر تخرج مدارس الإناث فى الغرب اليوم).



نظمى لوقا(١)

(١)

(المرأة فى الإسلام إنسان له حقوق الإنسان وكل تكاليفه العقلية والروحية فهى فى ذلك صنو الرجل تقع عليها أعباء الأمانة التى تقع عليه، أمانة العقيدة والإيمان وتزكية النفس.. وقد نجد هذا اليوم من بداءة الأمور. ولكنه لم يكن كذلك فى العالم القديم، فى كثير من الأمم حيث كانت المرأة تباع أحياناً كثيرة كما تباع السلعة.. وكانت فى كثير من الأحيان منقوصة الأهلية لا تمارس التصرفات المالية والقانونية إلا عن طريق وليها الشرعى أو بموافقته، بل لم تكن تملك تزويج نفسها على الخصوص، وإنما الأمر فى ذلك لوليها يجريه على هواه. وأكثر من هذا، كانت

---

(١) د. نظمى لوقا Dr. N. Luka

مسيحى من مصر. يتميز بنظرته الموضوعية وإخلاصه العميق للحق. ورغم إلحاح أبويه على تنشئته على المسيحية منذ كان صبياً، فإنه كثيراً ما كان يحضر مجالس الشيوخ المسلمين ويستمع بشغف إلى كتاب الله وسيرة رسوله ﷺ. بل إنه حفظ القرآن الكريم ولم يتجاوز العاشرة من عمره. ألف عدداً من الكتب أبرزها (محمد الرسالة والرسول)، و (محمد فى حياته الخاصة).

قبائل العرب فى الجاهلية تئد البنات كراهة لهن وازدراء لشأنهن، ومن لم يئدهن كان يضيق بهن ضيقاً شديداً..).

(فى سور القرآن إشارة إلى المساواة عند الله بين الذكر والأنثى بغير تفريق فى التكليف أو الجزاء، وإشارة صريحة لمساواة المرأة والرجل فى ثمرات الأعمال والجهود.. وفى بعض الأمم القديمة، والحديثة، كانت المرأة تحرم غالباً من الميراث، فأبى الإسلام هذا الغبن الفاحش...).

(ليس الإسلام - على حقيقته عقيدة رجعية تفرق بين الجنسين فى القيمة. بل إن المرأة فى موازينه تقف مع الرجل على قدم المساواة. لا يفضلها إلا بفضل، ولا يحبس عنها التفضيل إن حصل لها ذلك الفضل بعينه فى غير مطل أو مراء وما من امرأة سوية تستغنى عن كنف الرجل بحكم فطرتها الجسدية والنفسية على كل حال. وذلك حسب عقيدة لتكون صالحة لكل طور اجتماعى على تعاقب الأطوار والعصور، على سنة العدل التى لم يجد لها عصرنا اسماً أوفق من (تكافؤ الفرص)، الذى يلغى كل التفريق، ويسقط كل حجة، ويقضى على كل تميز إلا بامتياز ثابت صحيح).

(«العلاقة الزوجية فى الإسلام» ليست مسافدة حيوانية بين ذكر وأنثى، على إطلاق بواعث الرغبة والاشتهاء الغريزى بين جنسى النوع البشرى لغير هذا قامت كوابح الآداب وضوابط الشرائع والعقائد ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ (الروم: ٢١). هكذا جاء فى سورة الروم، وأنى لأرى فى قوله ﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ لمسة تمس شغاف القلب وتذكر بما فى الزواج من قربى تجعل الزوجة قطعة من النفس.

ثم أردف ذلك بالسكن، وما أقرب السكن فى هذا الباب من سكينة النفس لا من مساكنة الأجساد! بدليل ما أردف بذلك من المودة والرحمة.. وتلك عليا طرق المعاشرة الإنسانية، بما فيها من غلبة الروح على نزوات الأجساد ودفعات الرغبة العمياء. فالزواج مطلب نفسى وروحى عند الإنسان، وليس مطلباً شهوياً جسدياً وإن كان له أساس جسدى...).

(كان لا بد من إصلاح ما بين الإنسان ونفسه التى بين جنبيه بعقيدة موفقة بين الدين والدنيا، وقد نهض بهذا الإسلام، وكانت سنته فى الزواج كفاء خطته فى جوانب الهداية البشرية الفطرية، لتحرير البشر من الذعر والخزى وعقدة الإثم الشوهاء التى كبلته ولم تزل تكبل الكثيرين عن انطلاقة الحياة وسوء الفطرة)



سالى مارش[1]

(... على فرض وجود بعض القيود على المرأة المسلمة فى ظل الإسلام، فإن هذه القيود ليست إلا ضمانات لمصلحة المرأة المسلمة نفسها، ولخير الأسرة، والحفاظ عليها متماسكة قوية، وأخيراً فهى لخير المجتمع الإسلامى بشكل عام).

(لقد لاحظت أن المشكلات (العائلية التى يعانى منها الغرب) لا وجود لها بين الأسرة المسلمة التى تنعم بالسلام والهناء وكذلك الحب فلا الزوج ولا زوجته فى ظل الإسلام يعرفان شيئاً عن موعد العشاق ومودة الصديقات السائدين هذه الأيام فى الأقطار غير الإسلامية. لقد أحببت هذا الجانب من الحياة الإسلامية حبّاً كثيراً، لأنه يمنح الزوج والزوجة والأبناء ما لا بد لهم عنه من حب وإخلاص وسلام يعمر حياتهم. وليس ذلك فحسب بل بفضل هذا الإخلاص فى العلاقات الزوجية بين المسلمين، هم واثقون أن أبناءهم حقّاً من صلبهم غير دخلاء عليهم. وهذا مفقود فى المجتمعات الأخرى).

---

(١) سالى جان مارش: لوى جان مارشا S. J. Marsh

ولدت فى واشنطن عام ١٩٥٤ فى عائلة بروتستانتية. حصلت على درجة الماجستير فى العلوم السياسية من واشنطن، كما تفرغت لدراسة اللغة العربية بجامعة الكويت. قرأت كثيراً فى معظم الأديان المعروفة فى الغرب فلم يقبل عقلها أى واحد منها فلما التقت بالإسلام (أحست منذ البداية أنها تؤمن بكافة تعاليمه بحكم فطرتها التى فطرها الله عليها) فانتمت إليه.

منى ماكلوسكى[1]

(... فى ظل الإسلام استعادت المرأة حريتها واكتسب مكانة مرموقة. فالإسلام يعتبر النساء شقائق مساوين للرجال، وكلاهما يكمل الآخر).

(لقد دعا الإسلام إلى تعليم المرأة، وتزويدها بالعلم والثقافة لأنها بمثابة مدرسة لأطفالها. قال رسول الله ﷺ: (طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة). لقد منح الإسلام المرأة حق التملك والحرية والتصرف فيما تملك. وفى الوقت الذى نرى فيه أن المرأة فى أوروبا كانت محرومة من جميع هذه الحقوق إلى عهد قريب جداً، نجد أن الإسلام منح المرأة بالإضافة إلى ما تقدم حق إبرام العقود للزواج. والمهر فى نظر الإسلام هو حق شخصى للمرأة. والمرأة فى الإسلام تتمتع بحرية الفكر والتعبير...).

(... إن المرأة المسلمة معززة مكرمة فى كافة نواحى الحياة، ولكنها اليوم مخدوعة مع الأسف ببريق الحضارة الغربية الزائف. ومع ذلك فسوف تكشف يوماً ما كم هى مضللة فى ذلك، بعد أن تعرف الحقيقة).

(إن الإسلام يحضنا على القيام بالعمل المثمر، شريطة أن نلتزم نحن النساء بالحشمة فى لباسنا وأن نستر جمال أجسادنا. وعلينا أن نكون جادين فى حديثنا.

وهكذا فالإسلام لا يمنع المرأة من ممارسة أى عمل شريف يناسب طبيعتها. إلا أن أقدس واجب على المرأة هو واجبها الطبيعى فى خدمة أسرتها والعناية بأعضائها لأن جزائها على هذا يعادل أجر المقاتلين فى سبيل الله، والمرأة المسلمة ما زالت تقوم بهذه الواجبات بكل اعتزاز).

(إن نشاطات المرأة المسلمة قد تمتد أحياناً خارج المنزل، فبعض النساء

---

(١) منى عبد الله ماكلوسكى — Muna A. Maclosky

المانية، تعمل قنصلاً لبلادها، المانيا الاتحادية سابقا، فى بنغلاديش، اهتدت إلى الإسلام فى مطلع عام ١٩٧٦، على يد شيخ الجامع الأزهر الدكتور عبد الحليم محمود - رحمه الله - وشعرت يومها (وكأنها ولدت من جديد).

المسلمات كن يقمن بمسؤوليات عامة. فى الحرب والتجارة. ولكن ذلك كله كان فى إطار الخلق الكريم).

روز مارى هاو[1]

(الحجاب شىء أساسى فى الدين الإسلامى لأن الدين ممارسة عملية أيضاً، والدين الإسلامى حدد لنا كل شىء. كاللباس والعلاقة بين الرجل والمرأة والحجاب يحافظ على كرامة المرأة ويحميها من نظرات الشهوة، ويحافظ على كرامة المجتمع ويكف الفتنة بين أفراده. لذلك فهو يحمى الجنسين من الانحراف وأنا أؤمن أن السترة ليست فى الحجاب فحسب، بل يجب أن تكون العفة داخلية أيضاً، وأن تتحجب النفس عن كل ما هو سوء).

(إن الإسلام قد كرم المرأة وأعطاها حقوقها كإنسانة، وكامرأة، وعلى عكس ما يظن الناس من أن المرأة الغربية حصلت على حقوقها... فالمرأة الغربية لا تستطيع مثلاً أن تمارس إنسانيتها الكاملة وحقوقها مثل المرأة المسلمة. فقد أصبح واجباً على المرأة فى الغرب أن تعمل خارج بيتها لكسب العيش. أما المرأة المسلمة فلها حق الاختيار، ومن حقها أن يقوم الرجل بكسب القوت لها ولبقية أفراد الأسرة. فحين جعل الله سبحانه وتعالى للرجال القوامة على النساء كان المقصود هنا أن على الرجل أن يعمل ليكسب قوته وقوت عائلته. فالمرأة فى الإسلام لها دور أهم وأكبر من مجرد الوظيفة ، وهو الإنجاب وتربية الأبناء، ومع ذلك فقد أعطى الإسلام للمرأة الحق فى العمل إذا رغبت هى فى ذلك، وإذا اقتضت ظروفها ذلك).

(... أنا أفهم أن الإسلام يعتبر الزوج أقرب صديق لزوجته، إذ تكن له كل ما فى نفسها، لأن الزواج فى الإسلام علاقة حميمة مبنية على شريعة الله لا تضاهيها العلاقات العادية الأخرى...).

---

(١) روز مارى: مريم هاو R. Maryam Howe

صحفية إنكليزية، نشأت فى عائلة نصرانية متدينة، ولكنها مع بلوغها مرحلة الوعى بدأت تفقد قناعاتها الدينية السابقة وتتطلع إلى دين يمنحها الجواب المقبول. وفى عام ١٩٧٧ أعلنت إسلامها، وهى تعمل الآن فى صحيفة (الأراب تايمز) اليومية الكويتية التى تصدر بالإنكليزية.

زيغريد هونكه[1]

(إن احترام العرب لعالم النساء واهتمامهم به ليظهران بوضوح عندما نرى أنهم خصوه بفيض من العطور وبأنواع الزينة، التى وإن لم تكن غير مجهولة قبلهم، إلا أنها فاحت بثروة الشرق العطرية الزكية، وبالأساليب الفائقة فى تحضيرها. كذلك فإن العثنون الذى كان يزين الوجوه الحليقة، منذ حملات الصليبيين، على طريقة النبى محمد ﷺ قد أصبح نموذجاً يقلده الرجال).

(... قاوم العرب كل التيارات المعادية للمرأة واستطاعوا القضاء على هذا العداء للمرأة أو الطبيعة، وجعلوا من منهجهم مثالاً احتذاه الغرب ولا يملك الآن منه فكاكاً، وأصبح الاستمتاع بالجمال جزءاً من حياة الأوروبيين شاءوا أم أبوا).

(... ظلت المرأة فى الإسلام تحتل مكانة أعلى وأرفع مما احتلته فى الجاهلية. ألم تكن خديجة رضى الله عنها زوجة النبى ﷺ الأولى، التى عاش معها أربعة وعشرين عاماً، أرملة لها شخصيتها ومالها ومكانتها الرفيعة فى مجتمعها؟ لقد كانت نموذجاً لشريفات العرب، أجاز لها الرسول ﷺ أن تستزيد من العلم والمعرفة كالرجال تماماً؛ وسار الركب وشاهد الناس سيدات يدرسن القانون والشرع ويلقين المحاضرات فى المساجد ويفسرن أحكام الدين. فكانت السيدة تنتهى دراستها على يد كبار العلماء، ثم تنال منهم تصريحاً لتدريس ما تعلمته، فتصبح الأستاذة الشيخة. كما لمعت من بينهن أديبات وشاعرات، والناس لا ترى فى ذلك غضاضة أو خروجاً على التقاليد).

---

(١) دكتورة زيغريد هونكه Hunke Dr. Sigrid

مستشرقة ألمانية معاصرة، وهى زوجة الدكتور شولتزا، المستشرق الألمانى المعروف الذى تعمق فى دراسة آداب العرب والاطلاع على آثارهم ومآثرهم. وقد قضت هونكه مع زوجها عامين اثنين فى مراكش، كما قامت بعدد من الزيارات للبلدان العربية لدراستها دراسة فاحصة.

من آثارها: (أثر الأدب العربى فى الآداب الأوروبية) وهو أطروحة تقدمت بها لنيل الدكتوراه من جامعة برلين، و (الرجل والمرأة) وهو يتناول جانباً من الحضارة الإسلامية (١٩٥٥)، و (شمس الله تسطع على الغرب) الذى ترجم بعنوان: (شمس العرب تسطع على الغرب)، وهو ثمرة سنين طويلة من البحث والدراسة.

(إن النساء فى صدر الإسلام لم يكن مظلومات أو مقيدات، ولكن هل دام هذا طويلاً؟ لقد هبت على قصور العباسيين رياح جديدة قدمت من الشمال فغيرت الأوضاع، وقدم الحريم من الجاريات الفارسيات واليونانيات.. وكان إن حرمت المرأة العربية من مكانتها الرفيعة فى المجتمع وقيدت حرياتها حين سيطرت على المجتمع العادات الفارسية القديمة. والإسلام برىء من كل ما حدث، والرسول ﷺ لم يأمر قط بحجب النساء عن المجتمع. لقد أمر المؤمنين من الرجال والنساء على حد سواء، بأن يغضوا الطرف وأن يحافظوا على أعراضهم وأمر النساء بألا يظهرن من أجسادهن إلا ما لا بد من ظهوره، وألا يظهرن محاسن أجسادهن إلا فى حضرة أزواجهن).

(الإسلام قدس الزواج وطالب بالعدل بين الزوجتين أو الثلاث أو الأربع فى المعاملة. ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾ (النساء: ٣). أليس هذا نصاً صريحاً يطلب فيه من المؤمنين ألا يتزوجوا بأكثر من واحدة إلا إذا كان فى استطاعتهم تحرى العدل بين النساء؟ والمشكلة لم تكن اقتصادية فحسب، فمؤرخو العرب يذكرون أن العربى الأصيل المؤمن لم يكن يتخذ إلا زوجة واحدة يبقى مخلصاً لها وتبقى هى مخلصة له حتى يفرق بينهما الموت).



مونتجومرى وات[1]

(إن الفكرة الرائدة فى القرآن، هى أنه إذا تبنى المسلمون تعدد الزوجات، فإن جميع الفتيات اللواتى هن فى سن الزواج يمكنهن الزواج بصورة حسنة).

(... كان تعدد الزوجات عادة غريبة على تفكير أهل المدينة. وقد عالج هذا التغيير المساوئ التى نتجت عن ازدياد النزعة الفردية. إذ أن تعدد الزوجات يسمح للنساء الكثيرات بالزواج الشريف. كما يضع حداً لاضطهاد الأرامل اللواتى تحت الوصاية، كما يخفف من إغراء الزواج المؤقت الذى يسمح به مجتمع عربى ذو عوائد أمية. ويجب اعتبار هذا الإصلاح، بالنظر لبعض العادات السائدة آنذاك، تقدماً مهما فى تنظيم المجتمع).

(لقد قام محمد ﷺ فى ميدان الزواج والعلاقات العائلية، بتنظيم عميق وواسع للبناء الاجتماعى. وقد وجدت قبله نزعات جديدة فردية، ولكن أثرها كان هداماً أكثر منه بناء. وكان عمل محمد ﷺ بهذا الصدد يقوم على استخدام هذه النزعات الفردية لتكون بناء جديدا. فقد انهارت عادات المجتمعات القبلية وتقاليدها، فأنقذ محمد ﷺ منها ما يمكن إنقاذه وحوله إلى المجتمع الفردى الجديد. وهكذا استطاع توليد نظام عائلى ظهر مرضياً ومغرياً فى مجتمع ينتقل من مرحلة الجماعية إلى مرحلة الفردية).

(كانت التشريعات القرآنية تهدف إلى أن لا يتعدى الوصى على حقوق أى قاصر أو امرأة فى الميراث الطبيعى...).

(... بالرغم من أن الإنسان المسلم يملك ممتلكاته فى حياته، ويستطيع التصرف بها كما يشاء فهو مسؤول عنها أمام عائلته...).

---

(١) مونتجومرى وات Montgomery, Watt

عميد قسم الدراسات العربية فى جامعة ادنبرا سابقاً.

من آثاره: (عوامل انتشار الإسلام)، (محمد فى مكة)، (محمد فى المدينة)، (الإسلام والجماعة الموحدة)، وهى دراسة فلسفية اجتماعية لرد أصل الوحدة العربية إلى الإسلام (١٩٦١).

وانــدر[1]

(من خـلال معايشـتى للمسلمين اكتشفت العـلاقة الـرائعة بين أفـراد الأسـرة المسلمة، وتعرفت كيف يعامل الآباء المسلمون أبناءهم، وعـرفت العلاقة الوثيقة التى تربط أفـراد الأسـرة المسلمـة، كما أعجبت بالمكانة التى يتمتع بها كبـار السن بين المسلمين. وفى الوقت الذى أجد فيه كبار السن فى الغرب وفى بلادى أمريكا، قمة الحضارة الغربيـة المادية المعاصـرة، يلقى بهم فى مؤسسـات العجـزة، وينبذون فلا يلتفت إليهم أحد، أجد الجد والجدة المسلمين فى مـركز الأسـرة وبؤرتها من حيث الحفاوة والتكريم. لقد أحببت ذلك كثيراً...)(❖).



---

(١) جارى واندر Wander. Gary

صـحـفى أمـريكى يعـمل فى صـحـفيـة (كـويت تايمز). من مـواليـد نيـويورك. نشـأ فى ظل أسـرة بروتستانتية. تخرج من قسم العلوم السياسية بجامعة نيويورك. زار عدداً من البلاد العربية حيث وجد نفسه يندفع لاعتناق الإسلام. وهو الآن فى العقد الرابع من عمره.

(❖) من كتاب قالوا عن الإسلام.. إعداد الدكتور عماد الدين خليل

الفصل الرابع

حضارة الإسلام

فى عيون غربية منصفة

أولاً: حضارة الإسلام
فى عيون غربية منصفة

«لا يمكن أن نجد ديناً يحتل العلم والمعرفة
فيه محلاً بارزاً كما كان الأمر فى الإسلام»

كونستان جيورجيو

تميزت الحضارة العربية الإسلامية بغايتها الربانية، ورؤيتها الإنسانية ونزعتها العالمية، ونظرتها الشمولية، وفكرتها الوسطية، وصبغتها الأخلاقية. وهذه الحضارة هى الوحيدة فى التاريخ التى وصلت الدنيا بالآخرة، وربطت السماء بالأرض، وآخت بين العقل والقلب، ومزجت المادة بالروح، وأرضت الفرد والمجتمع، ووازنت بين الحقوق والواجبات، وجمعت بين الواقع والمثال.. لقد وحدت بحق بين الثنائيات، وأخرجت منها شراباً خالصاً سائغاً للشاربين.

وفيما يلى أنقل شهادات غربية منصفة فى حضارتنا انتزعت من أقلام مفكرين غربيين درسوا الإسلام فراعهم جماله، وأعجبتهم مبادئه، ولكنهم لم ينزلوا قناعاتهم من سماء العقل إلى أرض القلب، ولم يسقوها بماء الوجدان، فلم تنم غراسها ولم تثمر!

وفشلوا فى أن يحولوا الاقتناع بالحق إلى اعتناق له، والإعجاب بالإسلام إلى عقيدة تجرى فى العروق، نعم لم يبق أمامهم إلا ضربة معول واحدة كى يصلوا إلى النبع الثرى الزلال، فلم يفعلوا..

حاموا وهم الظماء حول الماء ولم ينهلوا!!

وإنما أعرض أقوالهم لأولئك المهزومين أمام الغرب، الذين لا يشربون الكأس الروية إلا إذا كانت بيد غربية! ولا يجرعون الدواء إلا من تلك الصيدلية!!

على أن بعض هذه العبارات كانت فى سياقها شركاً نصب للعقل المسلم، ولا حرج علينا - أظن - إن لقطنا الحبة، ومزقنا الشبكة، وطرنا بسلام.

يقول المؤرخ الإنجليزى (ويلز):

«كل دين لا يسير مع المدنية فى كل أطوارها فاضرب به عرض الحائط، وإن الدين الحق الذى وجدته يسير مع المدنية أينما سارت هو الإسلام... ومن أراد الدليل فليقرأ القرآن وما فيه من نظرات ومناهج علمية، وقوانين اجتماعية، فهو كتاب دين وعلم واجتماع وخلق وتاريخ، وإذا طلب منى أحدد معنى الإسلام فإنى أحدده بهذه العبارة «الإسلام هو المدنية»[١].

وتقول المستشرقة زيغريد هونكه فى كتابها القيم:
(شمس الله تسطع على الغرب):

«إن هذه القفزة السريعة المدهشة فى سلم الحضارة التى قفزها أبناء الصحراء، والتى بدأت من اللا شىء لهى جديرة بالاعتبار فى تاريخ الفكر الإنسانى... وإن انتصاراتهم العلمية المتلاحقة التى جعلت منهم سادة للشعوب المتحضرة الفريدة من نوعها، لدرجة تجعلها أعظم من أن تقارن بغيرها، وتدعونا أن نقف متأملين: كيف حدث هذا؟! إنه الإسلام الذى جعل من القبائل المتفككة شعباً عظيماً، آخت بينه العقيدة، وبهذا الروح القوى الفتى شق العرب طريقهم بعزيمة قوية تحت قيادة حكيمة وضع أساسها الرسول بنفسه... أو ليس فى هذا الإيمان تفسير لذلك البعث الجديد؟! والواقع أن روجر بيكون أو جاليليو أو دافنشى ليسوا هم الذين أسسوا البحث العلمى.. إنما السباقون فى هذا المضمار كانوا من العرب الذين لجأوا - بعكس زملائهم المسيحيين - فى بحثهم إلى العقل والملاحظة

---

(١) عن (الإسلام والمبادئ المستوردة) د. عبد المنعم النمر (٨٤).

والتحقيق والبحث المستقيم، لقد قدم المسلمون أثمن هدية وهى طريقة البحث العلمى الصحيح التى مهدت أمام الغرب طريقه لمعرفة أسرار الطبيعة وتسلطه عليها اليوم... وإن كل مستشفى وكل مركز علمى فى أيامنا هذه إنما هى فى حقيقة الأمر نصب تذكارية للعبقرية العربية... وقد بقى الطب الغربى قروناً عديدة نسخة ممسوخة عن الطب العربى، وعلى الرغم من إحراق كتب ابن سينا فى مدينة بازل بحركة مسيحية عدائية، فإن كتب التراث العربى لم تختف من رفوف المكتبات وجيوب الأطباء، بل ظلت محفوظة يسرق منها السارقون ما شاء لهم أن يسرقوا»(١).

وعلى مدى الكتاب كانت المؤلفة تعقد المقارنات بين منهج العرب المسلمين فى البحث العلمى وبين ما كان عليه العقل الغربى من تسطح فتقول:

«اتسعت الهوة بين الحضارة العربية الشامخة والمعرفة السطحية فى أوربا التى كانت ترى أن من الكفر والضلال القول بأن الأرض كروية، فمعلم الكنيسة لاكتانتيوس يتساءل مستنكراً: أيعقل أن يجن الناس إلى هذا الحد، فيدخل فى عقولهم أن البلدان والأشجار تتدلى من الجانب الآخر من الأرض، وأن أقدام الناس تعلو رؤوسهم؟!!»(٢).

قلت: منذ ألف عام توصل فقيه الأندلس الإمام ابن حزم إلى الجزم بكروية الأرض منطلقاً من القرآن الكريم ومن التنظيم المطرد لمواقيت الصلاة فى محيط الأرض... وقد بسط ذلك فى كتابه الموسوم (الفِصَل بين الملل والنحل).

ويقول العلامة بريفولت:

«ما من ناحية من نواحى الازدهار الأوربى إلا يمكن إرجاع أصلها إلى مؤثرات الثقافة الإسلامية بصورة قاطعة، وإن ما يدين به علمنا لعلم العرب ليس فيما قدموه لنا من كشوف مدهشة ونظريات مبتكرة، بل إنه مدين بوجوده ذاته... ولم

---

(١) (شمس الله تسطع على الغرب) ص (١٤٨ ـ ٢٦٩ ـ ٣١٥ ـ ٣٥٤).

(٢) نفسه ص (٣٧٠).

يكن بيكون إلا رسولاً من رسل العلم والمنهج الإسلامى إلى أوربا المسيحية، وهو لم يمل قط من التصريح بأن اللغة العربية وعلوم العرب هما الطريق الوحيد لمعرفة الحق[1].. ولقد انبعثت الحضارة الإسلامية انبعاثاً طبيعياً من القرآن، وتميزت عن الحضارات البشرية المختلفة بطابع العدل والأخلاق والتوحيد، كما اتسمت بالسماحة والإنسانية والأخوة العالمية»[2].

ويقول المفكر ليوبولد فايس:

«لسنا نبالغ إذا قلنا إن العصر العلمى الحديث الذى نعيش فيه، لم يُدشّن فى مدن أوربا، ولكن فى المراكز الإسلامية فى دمشق وبغداد والقاهرة وقرطبة»[3].

«نحن مدينون للمسلمين بكل محامد حضارتنا فى العلم والفن والصناعة، وحسب المسلمين أنهم كانوا مثالاً للكمال البشرى، بينما كنا مثالاً للهمجية»[4].

ويقول الكاتب الفرنسى أناتول فرانس فى كتابه (الحياة الجميلة):

«أسوأ يوم فى التاريخ هو يوم معركة (بواتييه) عندما تراجع العلم والفن والحضارة العربية أمام بربرية الفرنجة، ألا ليت شارل مارتل قطعت يده ولم ينتصر على القائد الإسلامى عبد الرحمن الغافقى».

«حين نتذكر كم كان العرب بدائيين فى جاهليتهم يصبح مدى التقدم الثقافى الذى أحرزوه خلال مئتى سنة، وعمق ذلك التقدم، أمراً يدعو إلى الذهول حقاً، ذلك بأن علينا أن نتذكر أيضاً أن النصرانية احتاجت إلى نحو من ألف وخمسمائة سنة لكى تنشىء ما يمكن أن يدعى حضارة مسيحية، وفى الإسلام لم يول كل من العلم والدين ظهره للآخر، بل كان الدين باعثاً على العلم، وإن الحضارة الغربية

---

(١) (بناء الإنسانية) رويلت بريفولت نقلاً عن (مقدمات العلوم والمناهج) أنور الجندى، مجلد ٤ ص (٧١٠).

(٢) عن (أخطر ما تواصى به المسلمون عبر الأجيال) أنور الجندى (١٦).

(٣) (الإسلام على مفترق الطرق) محمد أسد (٤٠).

(٤) هنرى شامبون عن (الإسلام والمبادئ المستوردة) د. عبد المنعم النمر (٨٤).

مدينة للحضارة الإسلامية بشىء كثير إلى درجة نعجز معها عن فهم الأولى إذا لم تتم معرفة الثانية»[١].

ويقول المسيو سيديو:

«لم يشهد المجتمع الإسلامى ما شهدته أوربا من تحجر العقل، وشل التفكير، وجدب الروح ومحاربة العلم والعلماء، ويذكر التاريخ أن اثنين وثلاثين ألف عالم قد أحرقوا أحياء! ولا جدال فى أن تاريخ الإسلام لم يعرف هذا الاضطهاد الشنيع لحرية الفكر، بل كان المسلمون منفردين بالعلم فى تلك العصور المظلمة، ولم يحدث أن انفرد دين بالسلطة، ومنح مخالفيه فى العقيدة كل أسباب الحرية كما فعل الإسلام»[٢].

«لقد ديست بالأقدام تلك المدنية العظيمة فى الأندلس! ولماذا؟ لأنها نشأت من أصول رفيعة، ومن طباع شريفة، نعم من رجال الإسلام. إن المدنية الإسلامية لم تتنكر يوماً للحياة»[٣].

ويقول العلامة جورج سارتون:

«المسلمون عباقرة الشرق، لهم مأثرة عظمى على الإنسانية، تتمثل فى أنهم تولوا كتابة أعظم الدراسات قيمة، وأكثرها أصالة وعمقاً، مستخدمين اللغة العربية التى كانت بلا مراء لغة العلم للجنس البشرى[٤]... لقد بلغ المسلمون ما يجوز تسميته = معجزة العلم العربى».

وتقول الدكتورة لويجى رينالدى:

« .. لما شعرنا بالحاجة إلى دفع الجهل الذى كان يثقل كاهلنا، تقدمنا إلى العرب ومددنا إليهم أيدينا لأنهم كانوا الأساتذة الوحيدين فى العالم»[٥].

(١) المستشرق روم لاندو فى (الإسلام والعرب) ص (٩ ـ ٢٤٦).

(٢) نقلاً عن كتاب (هكذا كانوا ... يوم كنا) د. حسان شمسى باشا (٨٣).

(٣) الفيلسوف نيتشه عن (ظلام من الغرب) للعلامة محمد الغزالى (١٤٠).

(٤) نقلاً عن (هكذا كانوا يوم كنا) د. حسان شمسى باشا (٨).

(٥) عن (مقدمات العلوم والمناهج) أنور الجندى ـ مجلد ٧ ص (١٤١).

ويقول البروفسور غريسيب، مدير جامعة برلين:

«أيها المسلمون ما دام كتابكم المقدس عنوان نهضتكم موجوداً بينكم، وتعاليم نبيكم محفوظة عندكم، فارجعوا إلى الماضى لتؤسسوا المستقبل»(١).

ويقول المستشرق درايير:

«ينبغى أن أنعى على الطريقة التى تحايل بها الأدب الأوربى ليخفى عن الأنظار مآثر المسلمين العلمية علينا! إن الجور المبنى على الحقد الدينى، والغرور الوطنى لا يمكن أن يستمر إلى الأبد»(٢).

ويقول روم رولان:

«تفرد العلم الإسلامى بأنه لم ينفصل عن الدين قط، والواقع أن الدين كان ملهمه وقوته الدافعة الرئيسية، ففى الإسلام ظهر العلم لإقامة الدليل على الألوهية».

ويقول رينان:

«ما يدرينا أن يعود العقل الإسلامى الولود إلى إبداع المدنية من جديد؟ إن فترات الازدهار والانحدار مرت على جميع الأمم بما فيها أوربا المتعجرفة»(٣).

ونختم بنقول من كتاب (حضارة العرب) لغوستاف لوبون يقول: «إن حضارة العرب المسلمين قد أدخلت الأمم الأوربية الوحشية فى عالم الإنسانية، فلقد كان العرب أساتذتنا... وإن جامعات الغرب لم تعرف لها مورداً علميّاً سوى مؤلفات العرب، فهم الذين مدنوا أوربا مادة وعقلاً وأخلاقاً. والتاريخ لا يعرف أمة أنتجت ما أنتجوه... إن أوربا مدينة للعرب بحضارتها... والحق أن أتباع محمد كانوا يدلوننا بأفضلية حضارتهم السابقة، وإننا لم نتحرر من عقدتنا إلا بالأمس! وإن العرب هم أول من علم العالم كيف تتفق حرية الفكر مع استقامة الدين... فهم

---

(١) عن (هكذا كانوا يوم كنا) د. حسان شمسى باشا (٩).

(٢) عن (تشكيل العقل المسلم) د. عماد الدين خليل (٩٤).

(٣) عن (مقدمات العلوم والمناهج) أنور الجندى (٨/ ١٧٣).

الذين علّموا الشعوب النصرانية وإن شئت فقل حاولوا أن يعلموها التسامح الذى هو أثمن صفات الإنسان... ولقد كانت أخلاق المسلمين فى أدوار الإسلام الأولى أرقى كثيراً من أخلاق أمم الأرض قاطبة...»(١).

إن القفزة الحضارية الهائلة التى سجلتها أمتنا الإسلامية، يمكنها أن تعود، وأن تتكرر من جديد، بشرط واحد هو أن نريد بإذن الله، فالإمكان الحضارى الذى تهبنا إياه القيم المعصومة فى الكتاب والسنة والسيرة، ليس ببعيد على من يريده ويسعى إليه، وقد بدأت تتفتح أزهار الانتصار العاطفى للإسلام فى ضمير الأمة، ولم يبق إلا أن تتعمق جذور الوعى كى تثمر هذه الأزهار. ويقع عبء التوعية أولاً على كاهل النخبة المخلصة المتخصصة المؤتمنة على إيصال صوت نبيها إلى العالم... وهؤلاء هم (أولو الألباب) الذين مزجوا الحق بالصواب، والذين باعوا أعمارهم وجهودهم وطاقاتهم لله تعالى، فربحوا مرتين إذ البضاعة منه والثمن! ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾ (التوبة: ١١١).

وإن الحضارة فى صعود، إذ كانت النخبة المبدعة المؤمنة هى التى تقود، ومن بعد النخبة يأتى دور الأمة، ليقوم كل مسلم بدوره فى عملية النهوض الحضارى وإن أول عمل حضارى فى تاريخ الإسلام وهو بناء المسجد، قد شاركت فيه عزائم كل المسلمين، بقيادة نبيهم الأمين، وكذلك الأمر فى حفر الخندق إذ كان الصحابة كلهم على أمر جامع، وإن الحضارة لن تنجم إلا عن تجمع آلاف الجهود الصغيرة النافعة، والنهر المتدفق هو قطرات ماء تآخت ثم وجدت طريقها.

إن على كل مسلم أن يقوم بدوره فى عملية البناء الحضارى للأمة، وإن كل مسلم مدعو إلى نزهة القمم، فعليه أن ينزه نفسه عن وهدة السفوح، فأمام المسلم اليوم خياران: إما أن يسعى إلى تغيير نفسه ليتغير العالم، وإما أن يغير اسمه.

ربنا هب عوامنا العلم، وعلماءنا العمل... وعاملينا الإخلاص، وهب مخلصينا السداد والتميز فى النجاح.

من كتاب «ربحت محمداً ولم أخسر المسيح» للدكتور: عبد المعطى الدالاتى

---

(١) (حضارة العرب) غوستاف لوبون ص (٢٦ - ٢٧٦ - ٤٣٠ - ٥٦٦).

ثانياً: صفحات مضيئة من الحضارة الإسلامية

١ ـ موجزات عن اكتشافات العرب وسبقهم فى العلوم المختلفة

١ ـ عرفوا طبيعة كثير من الأمراض كالجدرى والحصبة واستعملوا الأمصال فى معالجة بعض الأمراض ووصفوا تشريح الجسم الإنسانى وصفاً دقيقاً.

٢ ـ اخترعوا الساعات الدقاقة والزوالية واكتشفوا قوانين ثقل الأجسام.

٣ ـ عرفوا تركيب النار اليونانية واستخرجوا قوة البارود الدافعة واستعملوا الآلات القاصفة وأتقنوا فن تسقية الفولاذ.

٤ ـ العرب أول من استخدم البوصلة فى الملاحة واكتشف العرب الإبرة المغناطيسية وانتقلت إلى أوروبا فى القرن الثانى عشر.

٥ ـ نقلوا القمح الأحمر وفسائل النخيل من أسبانيا وأفريقيا إلى فرنسا.

٦ ـ استخرجوا مادة القطران التى يطلى بها قاع السفن.

٧ ـ عرفوا فضل العرب فى تحسين نسل النخيل.

٨ ـ كانوا أول من حاول قياس خط نصف النهار.

٩ ـ وضع العرب أصول علم الجبر وحساب المثلثات وبسطوا علم الحساب الإغريقى.

١٠ ـ نقل العرب القطن إلى الأندلس وأخذوا من الصينيين زراعة قصب السكر واستخراج السكر منه وأدخلوهما إلى مصر وصقلية والأندلس.

١١ ـ علوم العرب فى الجغرافيا والفلك هى صاحبة الفضل الأكبر على الأمريكتين واتجاه الملاحين إلى الرحلة فى عالم المجهول.

١٢ ـ عللت العرب ملوحة البحر وعذوبة المطر واستحالة الحطب فى الاحتراق واستحالة الزيت فى المصباح وصعود الهواء وانحدار الماء لا بالجاذبية والثقل النوعى بل بانجذاب الأجسام إلى بعضها البعض (الجاحظ).

١٣ ـ سجل ابن البيطار ١٤٠٠ عقار لم يعرف اليونان منهم غير ٤٠٠ عقار والألف اكتشفها العرب وحددوا منافعها وأضرارها.

١٤ ـ عرف موسى بن شاكر مائة تركيب ميكانيكى.

١٥ ـ علل العرب صعود الماء فى العيون والفوارات وتجمع الماء فى العيون والقنوات واكتشفوا السيفون وسموه (السمارة) وعرفوا كثافة الذهب والرصاص.

١٦ ـ بحثوا فى الصوت وحصوله وعللوا حدوث الصدى، وفى الأوتار واهتزازها، وعرفوا ما بين طول الوتر وغلظه وتأثره من علاقة.

١٧ ـ عرف العرب خاصة الجذب فى المغناطيس وخاصة اتجاهه وهم من استعمل بيت الإبرة (البوصلة) فى البحار.

١٨ ـ درس العرب نظرية النشوء والترقى فى مدارسهم وطبقوها على المواد غير العضوية والمعادن.

١٩ ـ الحسن بن الهيثم أول عالم فى البصريات.

٢٠ ـ اقتبس العرب الأرقام الهندية وشذبوها وأوجدوا لها طريقة مبتكرة وهى الإحصاء العشرى باستعمال الصفر.

٢١ ـ ألف الخوارزمى أول كتاب فى الجبر.

٢٢ ـ استعمل العرب الرموز فى الرياضة فسبقوا الأوربيين إلى ذلك ومهدوا للكشف عن اللوغاريتمات وعن التكامل والتفاضل.

٢٣ ـ أنشأ العرب المراصد العديدة ووصفوا الأزياج الدقيقة الكبيرة الفائدة وهى

أول من عرفوا الأصول التى تقضى إلى الرسم على سطح الكرة وأول من أوجد علمياً طول الدرجة من خط نصف النهار وقالوا باستبدال الأرض ودورانها على محورها.

٢٤ ـ اخترعوا آلة الاسطرلاب الدقيقة وحققوا كثيرا من مواقع النجوم وحسبوا طول السنة الشمسية وبحثوا فى كلف الشمس قبل الأوربيين ووصفوا جداول دقيقة فى النجوم الثوابت وصوروها فى خرائط.

٢٥ ـ نقل العرب أكثر من ثلاثة آلاف كتاب فى الطب من اللاتينية إلى العربية.

٢٦ ـ ألف أبو القاسم خلف بن عباس الزهراوى الأندلسى كتاب فى الطب والجراحة فى عشرين جزءاً.

٢٧ ـ صحح العرب أخطاء بطليموس وأظهروا خطأ الرومان القائلين بتسطيح الأرض ورسموا خرائط بلادهم.

٢٨ ـ قال أبو الفداء فى جغرافيته المسماه (تقويم البلدان) أن الأرض كروية وهى فى الوسط.

٢٩ ـ صنع الأدريسى كرة فضة للملك روجيه الثانى ملك صقلية فى وزن ٤٠٠ رطل رومى ورسم عليها صورة الأرض ووصف أشكالها.

٣٠ ـ أول من وضع أسس الكيمياء هم العرب وقد مارسوا التقطير والترشيح والتصعيد والتبلير والتذويب والألغام والتكليس وهم الذين استحضروا الكحول ولقلى والبورق والزرنيخ والبوتاس والإثمد وزيت الزاج والزاج الأخضر وماء الفضة وحجر جهنم وملح البارود والسليمانى والراسب الأحمر وروح النشادر وملح النشادر وملح الطرطير وماء الذهب والبارود.

٣١ ـ أطباء العرب والمسلمين هم أول من فتت الحصى فى المثانة وسدوا الشرايين النازفة وكتبوا فى الجذام والحصبة والجدرى وعدوى الطاعون واستعملوا المخدر فى العمليات الجراحية.

٣٢ ـ الأطباء العرب والمسلمون هم أول من كشف النقاب عن الدورة الدموية ودورة

الأنكلستوما.

٣٣ ـ لم تعرف جامعة لوفان حتى القرن السابع عشر مرجعاً للطب والعقاقير أوفى من كتب الرازى وابن سينا وابن الهيثم.

٣٤ ـ صحح الأطباء العرب آراء أبقراط وجالينوس فى التشريح ووظائف الأعضاء.

٣٥ ـ القلويات كلها ـ فى الكيمياء ـ معروفة باسمها العربى إلى اليوم.

٣٦ ـ ماء الفضة لم يوصف فى كتاب غربى قبل كتاب (جابر بن حيان) وملح البارود من تحضير تلميذ الغرب روجرز باكون.

٣٧ ـ أول من اخترع رقاص الساعة هو أبو الحسن العباس المشهور بابن يونس.

٣٨ ـ الساعة الدقاقة اخترعها العرب وأهداها هارون الرشيد إلى شارلمان ملك فرنسا.

٣٩ ـ الساعة التى وضعها المستنصر العباسى فى مدرسة الطب ببغداد كانت على صورة الفلك الدائر.

٤٠ ـ أول مصنع للورق بدأ فى سمرقند عام ٧٥١ ثم فى بغداد فى زمن الرشيد ثم فى دمشق ودمياط ومراكش وصقلية وأسبانيا ولم يحل منتصف القرن الرابع الهجرى إلا وتحددت أنواع الورق العربى.

٤١ ـ المرايا والبلور بدأت فى سوريا ومنها انتقلت إلى البندقية.

٤٢ ـ عرف العرب «الصفر» ولم يعرفه الغرب إلا فى القرن الثانى عشر عن طريق العرب وقال (اير) إن فكرة الصفر تعتبر من أعظم الهدايا العلمية التى قدمها المسلمون وكان العرب قد استعملوا الصفر للدلالة على لا شىء وفى القرن الثامن الميلادى استعمل العرب الصفر فى الحساب ورسموه على هيئة حلقة ثم شرح الخوارزمى طريقة استعماله فى بحث ترجم فى الربع الأول من القرن ١٢ م.

٢ـ بعض أعلام الفكر العربى الإسلامى فى الفنون التى برزوا فيها.

١ـ جابر بن حيان:

أول من استحضر الحامض الكبريتيك بعد تقطيره من الشبة وسماه «زيت الزاج» واستحضر حامض النتريك وأول من كشف الصودا الكاوية وأول من استحضر ماء الذهب.

٢ـ الخوارزمى:

أول من وضع علم الجبر بشكل مستقل عن الحساب وضع هذا العلم فى أواسط القرن التاسع الميلادى وأخذته أوروبا عنه فى أواسط القرن الرابع عشر فقد ترجمت مقالته إلى اللاتينية واتخذت أساساً لتدريس الجبر فى عصر النهضة.

٣ـ الرازى: الطبيب

استكشف ما أسماه «زيت الزاج» وهو حامض الكبريتيك والكحول. كتابه الحادى ترجم إلى اللاتينية وظل مرجعاً لهم إلى منتصف القرن الرابع عشر قال عنه الدكتور وينسون إنه كان يعالج الأمراض التناسلية كما نعالجها فى أيامنا هذه وإليه ينسب اختراع الفتيلة فى الجراحة.

٤ـ التبانى:

أطلق عليه بطليموس العرب ووضع من بين العشرين فلكياً المشهورين فى العالم كله.

٥ ـ البيرونى:

قال عنه سخو: أعظم عقلية عرفها التاريخ والغربيون مدينون له بمعلوماتهم عن الهند ومآثرها فى العلوم وقد صاغ نظرية دوران الأرض حول محورها وحول الشمس.

٦ ـ ابن الهيثم:

لولاه لما كان علم البصريات. أخذ عنه كيلر معلوماته عن الضوء ولا سيما فيما يتعلق بانكساره فى الجو أقام بحثه على الاستقراء والقياس والاعتماد على المشاهدة والتجربة وهو أول من قرر بأن الرؤية تتم ليس بواسطة شعاع تطلقه العين فى اتجاه الجسم المنظور بل بواسطة أشعة تطلقها الأجسام المضيئة إلى العين التى نراها بواسطة جسمها الشفاف.

٧ ـ ابن خلدون:

قال عنه مكدونالد: إن مقدمة ابن خلدون هى أساس فلسفة التاريخ وحجر الزاوية فيه وأن أحداً لم ينسج على منوالها قبلها.

٨ ـ أبو الثناء الأصفهانى:

تحدث عن فكرة كشف الأرض الجديدة قبل رحلة كولمبس بنحو قرن ونصف.

٩ ـ الفرغانى:

أول من سبق إلى اكتشاف أن الشمس والسيارات ترسم مدارات فى الاتجاه المعاكس للحركة النهارية.

١٠ ـ القزوينى:

تناول «النفط» فى كتابه «عجائب المخلوقات» وقال إنه يطفو على الماء ومنه أبيض ومنه أسود وقد يتصاعد الأسود بالقرع والأنبيق فيصير أبيض ينفع فى أوجاع المفاصل والفالج وبياض العين والماء النازل منها.

١١ ـ الزهراوى:

عـرف أكثـر من مـائتى آلة ومـبـضـع وكـان عـالمـاً فـى طب الأسنان أول من كـتب إحصائية صحيحة لأمراض النزيف الدموى.

١٢ ـ ابن سينا:

ترجم كتابه القانون فى الطب فى خمس عشرة طبعة إلى اللاتينية والعبرية والإنجليزية وقد بحث فى أحد أقسامه العقاقير والأدوية فى سبعمائة وستين نوعاً قال الدكتور روبستون إنه يحتوى على ما يزيد على مليون كلمة وقد عالج القرحة الدرنية والقولنج الكبدى والكلوى والتهاب الرئة والجنب والتهاب الدماغ وقد ظلت مؤلفاته أساساً للمباحث الطبية فى جامعات فرنسا وإيطاليا ستة قرون.

١٣ ـ الكندى:

نسب إليه ما لا يقل عن ٢٦٥ كتاباً مؤلفاً فى البصريات وأصول الموسيقى والتنجيم والكيمياء وقد سجلت مؤلفاته أن العرب عرفوا الأوزان الغنائية والقياسات الموسيقية قبل أوربا بقرون.

١٤ ـ أبو الفداء:

قال إن الأرض كرة تطفو فى مركز الوجود وقال إن رجلين لو ابتدآ بالسير واتجه أحدهما شرقاً والآخر غرباً فأنهما يتقابلان ولكن الرجل الذى اتجه شرقاً يصل إلى مكان اللقاء قبل الآخر بيوم واحد.

١٥ ـ على بن عيسى:

.صاحب أكبر مؤلف فى طب العيون تناول فى طبيعة العين وكيفية تشريحها وأمراض العيون وقد تناول ١٣٠ مرضاً من أمراض العيون و ١٤٣ دواء كان يستعملها فى علاج هذه الأمراض.

١٦ ـ ثابت بن قرة:

حسب ارتفاع الشمس الظاهر وطول السنة الشمسية.

١٧ ـ الكاشى:

واضع أساس الكسر العشرى:

١٨ ـ ابن يونس:

أول من عرف الرقاص قبل جاليليو بسبعة قرون باعتراف سارطون وتايلر وبيكر.



ثالثاً: شهادات متفرقة

١ ـ سير توماس أرنولد Arnold, Sir Thamas

شهادة العالم الإنجليزى «سير توماس أرنولد» على سماحة الإسلام

ولد عام ١٨٦٤ ـ توفى عام ١٩٣٠

صاحب كتاب «الدعوة إلى الإسلام» الذى درس فيه مسيرة وسيرة انتشار الإسلام فى العالم، عبر التاريخ.

«إن الفكرة التى شاعت بأن السيف كان العامل فى تحويل الناس إلى الإسلام بعيدة عند التصديق... إن نظرية العقيدة الإسلامية تلتزم التسامح وحرية الحياة الدينية لجميع أتباع الديانات الأخرى..

وعلى الرغم من أن صفحات التاريخ الإسلامى قد تلونت بدماء كثير من الاضطهادات القاسية، ظل الكفار على وجه الإجمال، ينعمون فى ظل الحكم الإسلامى بدرجات من التسامح لم نكن نجد لها مثيلاً فى أوروبا حتى عصور حديثة جداً. وإن التحول إلى الإسلام عن طريق الإكراه محرم، طبقاً لتعاليم القرآن ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾(١). ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ (٢).﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾(٣) وإن مجرد وجود كثير جداً من الفرق والجماعات

(١) سورة البقرة: ٢٥٦.　　(٢) سورة يونس: ٩٩.

(٣) سورة يونس: ١٠٠.

من كتاب سير. أرنولد توماس: الدعوة إلى الإسلام، ترجمة: د. حسن إبراهيم حسن، د. عبد المجيد عابدين، إسماعيل النحراوى، طبعة القاهرة، ١٩٧٠ م.

المسيحية فى الأقطار التى ظلت قروناً فى ظل الحكم الإسلامى، لدليل ثابت على ذلك التسامح الذى نعم به هؤلاء المسيحيون، كما يدل على أن الاضطهادات التى كانوا يدعون إلى معاناتها بأيدى الطغاة والمتعصبين، إنما كانت نتيجة من بعض ظروف قاسية خاصة وإقليمية، أكثر من أن تكون منبعثة منذ مبدأ مقرر من التعصب.



٢ ـ دافيد دى سانتيلانا Devidde Suatillana
شهادة «دافيد دى سانتيلانا»
على أن الإسلام دين ودولة وشريعة متميزة

ولد عام ١٨٤٥ ـ وتوفى عام ١٩٣١.

مستشرق إيطالى ولد بتونس وتخرج فى جامعة روما وأحرز درجة الدكتوراه فى القانون.. ولقد تفقه فى الفقه الإسلامى ـ إلى جانب القانون الرومانى والقوانين الغربية ـ وخاصة فى مذهبى الإمام مالك ـ والإمام الشافعى... وذلك إلى جانب التاريخ الإسلامى وتاريخ الفلسفة.

وهو الذى درّس، ووضع القانونين المدنى والتجارى لتونس، وفق قواعد الشريعة الإسلامية، وبالاتساق مع القوانين الأوروبية سنة ١٨٩٦. كما درّس تاريخ الفلسفة الإسلامية واليونانية والسريانية ـ باللغة العربية ـ فى الجامعة المصرية الأهلية سنة ١٩١٠. ودرّس فى جامعة روما التاريخ الإسلامى وتاريخ الجمعيات الدينية الإسلامية.

ومن آثاره الفكرية: ـ (ترجمة وشرح الأحكام المالكية) و (الفقه الإسلامى المالكى ومقارنته بالمذهب الشافعى) فى نحو ١٣٠٠ صفحة و (القانون والمجتمع) فى المقارنة بين الفقه الإسلامى والقوانين الأوروبية ـ و (القوانين المدنية والتجارية) سنة ١٨٩٨ م ـ وهو مصنف كبير، وباحث جامع لفقه الحقوق الإسلامية.. وله أيضاً: (ملخص ابن الإنسان للشيخ طنطاوى جوهرى) و (الخلافة والسلطان فى الشرع الإسلامى).. كما ترجم الجزء الثانى من كتاب (مختصر خليل) ـ فى الفقه المالكى ـ لابن إسحاق ـ وفيه مجموعة الأحكام المالكية الأكثر شيوعاً فى الحقوق المدنية والجزائية ـ مع تعليق عليه سنة ١٩١٩.

ـ تميز الدولة الإسلامية عن غيرها من الدول الأخرى:

«إن الرابطة التعاونية الموجودة بين الخليفة والشعب تبقى متينة وثيقة العرى ما دام الخليفة صالحاً للقيام بواجبه فى حماية المجتمع الإسلامى، فإذا لم يعد أهلاً لمنح شعبه ما يريده منه، بطل سلطانه وفسخ العقد شرعاً بين المتعاقدين، ويتم هذا الفسخ والإلغاء عند العجز الجسمانى أو عند فقدانه الحرية، كوقوع الخليفة أسيراً فى يد المشركين والكفار..».

«إن اختيار رئيس المجتمع الإسلامى لا يمكن تركه للظروف والصدف أو لأعمال العنف والطغيان. بل يجب أن يجرى انتقاؤه بعد التفكير الملىّ والتأمل الحكيم الناضج، وتقوم بانتقائه تلك الصفوة المنتخبة من أهل الرأى، الذين هم وحدهم يقدّرونه أن المرشح للخلافة صالح لملء هذا المنصب الجليل أم لا؟

فلا يمكن أن يكون مجموع الناخبين أمة المسلمين كلها. إن الناخبين هم أولئك الذين عرفوا بعلمهم ومنزلتهم وتجاربهم فى أمور الدين والدنيا، وبأخلاقهم المتينة، هؤلاء وحدهم يصلحون لأن يكونوا المحكمين فى هذا الشأن وإليهم، أى إلى رجال السيف والقلم، يرجع أمر انتخاب الإمام، وأعنى بهم مشاهير الشخصيات المدنية والعسكرية، أصحاب الحل والعقد. هؤلاء مخولون باسم المجتمع كله أن يشترطوا بالاشتراك شكل الرباط أو الواجب الذى تنبثق منه سلطة الأمير، ويعينوا مقدار الطاعة الواجبة له من الرعية.

إن الانتخاب فى عرف القانون، إنما هو الفعل الذى يمنح به الشعب السلطة العليا لفرد ما بملء اختياره، ويتم هذا المنح بوساطة مشاهير رجاله نيابة عن مجموعه. إنه عروض للتعاقد فإذا قبل به الشخص (المنتخب) أصبح اعتقاداً[1].

---

(١) من كتاب: سانتيلانا: (القانون والمجتمع) بحث منشور بكتاب (تراث الإسلام) بإشراف: أرنولد، ترجمة: جرجس فتح الله، طبعة بيروت، الثانية، ١٩٧٢.

ـ تميز الشريعة الإسلامية.. والقانون الإسلامى:

فى الإسلام، حل الله محل الآلهة البائدة الزائفة، وصار سيداً وحامياً لشعبه المختار، أمة المسلمين. عندما أسلم أحد شيوخ القبائل فى الجاهلية، بادر النبى بقوله: «أنت ربنا».

ـ فأسرع محمد يجيبه: «ربك الله».

فالإسلام هو دولة الله المباشرة، هو حكم الله الذى يرعى شعبه بعينه ويكلؤه بحسن تدبيره.. وإن أساس الوحدة الاجتماعية، المسمى فى المجتمعات الأخرى «بولس» Polis و «كيفيتاس» Civitas (أى حكومة) يمثله (الله) عند الإسلام. فالله هو الاسم الذى يطلق على السلطة العاملة فى حقل المصلحة العامة. وعلى هذا المنوال يكون بيت المال «هو بيت مال الله» والجند هم (جند الله).. حتى الموظفون العموميون هم «عمال الله».

«وعبثا نحاول أن نجد أصولاً واحدة تلتقى فيها الشريعتان الشرقية والغربية» الإسلامية والرومانية» كما استقر الرأى على ذلك..

إن الشريعة الإسلامية ذات الحدود المرسومة والمبادئ الثابتة لا يمكن إرجاعها أو نسبتها إلى شرائعنا وقوانيننا لأنها شريعة دينية تغاير أفكارنا أصلاً. وقد يحصل فى العادة خلط بين ناحيتين، فالإسلام كالمسيحية أو كأى دين آخر له عقائد مخصوصة ينفرد بها، مما لا يمكن بالطبع أن يعرّضها أولئك الذين نزلت فيهم إلى النقد والبحث. ولكن من الظلم والتجنى أن نصمها بالجمود والشدة، كما لو ألصقنا بالمسيحية التهمة نفسها، إذ يوجد فى أى نظام دينى عظيم الخطر جليل الشأن شىء أكثر من محض العقيدة..».

أسس المجتمع الإسلامى: وهى القانون الإلهى «الشريعة». إنه طبيعة هذه الجمعية الملتفة حول الدين والمستكنة تحت حكم الله، هى التى تحدد معنى الفقه والقانون، وهى بالنظر إلينا وإلى الاسلاف: مجموعة من القواعد السائدة التى أقرها الشعب، إما رأساً أو عن طريق ممثليه، وسلطانه مستمد من الإرادة والإدراك وأخلاق البشر وعاداتهم.

إلا أن التفسير الإسلامى للقانون هو خلاف ذلك فإن صح أن الله هو رأس المجتمع الإسلامى وسائسه الأعلى، فالقانون لا شىء أمام إرادته. والقاعدة القانونية هى القاعدة التى يطبقها المشترع الأعظم «الله» على شعبه المختار. والخضوع لهذا القانون إنما هو واجب اجتماعى وفرض دينى فى الوقت نفسه، من ينتهك حرمته أو يشق عصا الطاعة عليه لا يأثم تجاه النظام الاجتماعى، بل يقترف خطيئة دينية لأنه «لا حق ثمّ لما ليس لله فيه نصيب..».

«فكل مسائل الفقه كان مرجعها الأخير علم الكلام «اللاهوت» الإيمان الصحيح: هذا القانون أو الشريعة التى توزع العدالة بالقسطاس على الجميع بلا تفضيل، تستند إلى الإيمان القويم أساساً. فعلى المسلمين أن يفوا بالعهود التى يقطعونها على أنفسهم، وليس لهم أن ينتفعوا بمال مسلم آخر لم يُجزِهم..»(١).



(١) من كتاب: سانتيلانا: القانون والمجتمع.

٣ ـ مونتجومرى وات Montgomery, Watt
شهادة «مونتجومرى وات»

محاضر اللغة العربية وآدابها..

ومتخصص فى الدراسات الإسلامية الأكاديمية وفى علم الكلام الإسلامى.. وفى التاريخ الإسلامى.

وعميد لقسم الدراسات العربية فى جامعة «أدنبرا».

وحاصل على الدكتوراه فى علم الكلام الإسلامى ـ بموضوع الكسب والجبر والاختيار.. وصاحب المؤلفات العديدة ومنها:

(عوامل انتشار الإسلام) ١٩٥٥ م. (محمد فى مكة) ١٩٥٨ م (محمد فى المدينة).. و (الإسلام والجماعة الموحدة) ١٩٦١ م (محمد: النبى ورجل الدولة..) و(الإسلام والمسيحية فى العالم المعاصر) سنة ١٩٦٩ م. وغير ذلك.

ـ القرآن الكريم كلام الله تعالى:

إن القرآن الكريم ليس بأى حال من الأحوال كلام محمد، ولا هو نتاج تفكيره، إنما هو كلام الله وحده، قصد به مخاطبة محمد ومعاصريه، ومن هنا فإن محمدا ليس أكثر من «رسول» اختاره الله لحمل هذه الرسالة إلى أهل مكة وثم لكل العرب. ومن هنا فهو قرآن عربى مبين، وهناك إشارات فى القرآن إلى أنه موجه للجنس البشرى قاطبة، وقد تأكد ذلك عملياً بانتشار الإسلام فى العالم كله، وقبله بشر من كل الأجناس تقريباً.

ـ عالمية الإسلام.. وتفوقه.. ورقيه.

«إن الإشارات القرآنية «الخاصة» أو «اللصيقة» بالعرب لا تنفى أنه عالمى النزعة، أو ذو طبيعة عالمية: فالقرآن يخاطب البشر عامة، وليس الإنسان العربى فى الوسط الثقافى أو الحضارى العربى فحسب، وتلك حجة قوية لأن الإسلام قد انتشر بالفعل انتشاراً واسعاً خارج نطاق الوسط الثقافى العربى بمعناه الضيق أو الأصلى، فاعتنقه أجناس مختلفة من أوساط ثقافية مختلفة.

إن رسالة الإسلام، التى وجهت فى البداية لأهل مكة والمدينة كانت تحمل فى طياتها بذور العالمية أو أنها كانت منذ البداية أو منذ مضمونها الأول ذات أبعاد عالمية.

إن القرآن يحظى بقبول واسع بصرف النظر عن لغته، لأنه يتناول القضايا الإنسانية.

ولقد كان إحكام النظرة العالمية للإسلام (كونه ديناً عالمى النزعة) مما جعله يستوعب تراث المسيحية الباقى بين شعوب الشرق الأوسط التى كانت مسيحية، ومن هنا فقد أصبح المفكرون المسلمون هم حملة الثقافة العقلية لكل المنطقة».

من كتاب: مونتجومرى وات (الإسلام والمسيحية فى العالم المعاصر).

ترجمة: د. عبد الرحمن عبد الله الشيخ، طبعة القاهرة ـ مكتبة الأسرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ٢٠٠١ م.

الإسلام هو الهيكل الأساسى لدين المستقبل:

«فى المستقبل ستكون هناك حركة بطيئة ستتمخض فى النهاية عن ثقافة متجانسة للعالم أجمع، وفى مثل هذه الثقافة المتجانسة المنتشرة عبر العالم كله ستكون المقارنة الموضوعية بين الأديان أمراً ممكناً..

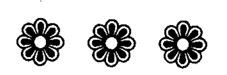
إنه فى الحاضر والمستقبل المرئى، من الضرورى أن نعرف أن الأديان الكبرى لدى كل منها ما يتمم الآخر. فكل دين من هذه الأديان صحيح فى نطاق منطقة ثقافية خاصة، والأديان يكمل بعضها بعضاً.. وعلى المدى البعيد ـ بطبيعة الحال ـ

من المتوقع أنه سيكون هناك دين واحد للعالم كله، مع وجود اختلافات داخل نطاق هذا الدين الواحد، ويمكن تشبيه هذه الفروق الداخلية بالمذاهب الأربعة لدى المسلمين من أهل السنة، فهم جميعاً مسلمون رغم اختلاف مذاهبهم.

ومعظم المسيحيين يميلون إلى افتراض أن المسيحية ستكون هى دين العالم فى المستقبل - لكن هذا أبعد ما يكون عن أن يكون أمراً مؤكداً. ولنذكر عنصراً واحداً، فبعض الأمم المسيحية الكبيرة تعانى بشدة من العنصرية، والدين الذى لا يستطيع أن يحل مشكلة العنصرية بين أعضائه من المستبعد أن يكون قادراً على تقديم حلول كثيرة مجدية لمشاكل العالم الأخرى.

ومن مزايا الإسلام تعميقه لمفهوم الأخوة، وعمق حججه. إلا أن الثقة بالنفس، مصحوبة بعمق الحجج وقوتها قد تتحول إلى «عيب» وليس ميزة عندما تعمى عين الإنسان عن رؤية ما هو جدير بالتقدير لدى الآخرين، لذا فقد يجد الإسلام صعوبة فى إدراج قيم أخرى من أديان أخرى ليستوعبها ويجعلها جزءاً منه.

والإسلام بالتأكيد مناضل قوى، ومنافس عظيم الشأن، سيعمل على مد الدين الواحد - دين المستقبل - بهيكله الأساسى...»[١].



(١) مونتجومرى وات: الإسلام والمسيحية فى العالم المعاصر.

٤ ـ شاخت ـ جوزيف Shacht, J.

شهادة «شاخت ـ جوزيف»

ولد عام ١٩٠٢ ـ وتوفى عام ١٩٦٩.

واحد من أعلام المستشرقين الألمان ـ شغل بعد تخرجه من جامعتى «برسلاو» و «ليبزج» كرسى الأستاذية فى جامعات «فرايبورج» عام ١٩٢٧ م، و «كونسبرج» عام ١٩٣٢ م والجامعة المصرية عام ١٩٣٤ م و «أكسفورد» عام ١٩٤٨ م، و «الجزائر» عام ١٩٥٢ و «ليدن» عام ١٩٥٤ و «كولومبيا» عام ١٩٥٧، ١٩٥٨ م.

كما شغل عضوية المجمع العلمى العربى بدمشق والكثير من المجامع والجمعيات العلمية وأشرف على مجلة الدراسات الإسلامية.

وهو متخصص فى الشريعة الإسلامية.. محقق ومترجم للعديد من كتب الفقه الإسلامى إلى الألمانية مع كتابة الدراسات والتعليقات عليها ـ بالألمانية والإنجليزية والفرنسية.. وله ـ كذلك ـ مؤلفات فى نشأة الفقه الإسلامى.. وتاريخه.. وفى تبويب أحكام الشريعة الإسلامية على المذهب الحنفى.. وفى علم اجتماع القانون الإسلامى.. وفى علم الكلام الإسلامى.

كما حقق ونشر العديد من النصوص التراثية الإسلامية فى الطب والتاريخ.

ـ تميز الشريعة الإسلامية والفقه الإسلامى بالشمول:

«ومن أهم ما أورثه الإسلام للعالم المتحضر قانونه الدينى الذى يسمى «بالشريعة».

والشريعة الإسلامية تختلف اختلافاً واضحاً عن جميع أشكال القانون.. إنها

قانون فريد من بابه.. إن الشريعة الإسلامية هى جملة الأوامر الإلهية التى تنظم حياة كل مسلم من جميع وجوهها، وهى تشتمل على أحكام خاصة بالعبادات والشعائر الدينية، كما تشتمل على قواعد سياسية وقانونية «بالمعنى المحدود» وعلى تفاصيل آداب الطهارة وصور التحية وآداب الأكل وعيادة المرضى. والشريعة الإسلامية هى أبرز ما يميز أسلوب الحياة الإسلامية، وهى لب الإسلام ولبابه.. والخاصية الرئيسية التى تجعل التشريع الإسلامى على ما هو عليه، وتضمن وحدته مع كل ما فيه من تنوع، هى نظرته لجميع أفعال البشر وعلاقاتهم بعضهم ببعض، بما فى ذلك ما نعتبره قانونياً «Tegsl» على أساس المفهومات التالية: الواجب، والمندوب، والمتروك، والمكروه، والمحظور. وأدمج القانون بمعناه الدقيق فى هذا النظام من الواجبات الدينية إدماجاً تاماً.

لكن على الرغم من أن المادة القانونية قد أدخلت فى ذلك النظام، فإنها لم تتمثل تمثلاً كاملاً، كما أن العلاقات القانونية بين الناس لم تتحدد تحديداً كاملاً وتوضع فى صورة واجبات دينية وأخلاقية. وقد احتفظ ميدان القانون بطابع فنى خاص به أيضاً، وأمكن للاستدلالات القانونية أن تسير فى طريقها الخاص.

ونتيجة لذلك، فهناك تمييز واضح بين المجال الدينى الخالص والمجال القانونى بمعناه الخاص الحقيقى.

وبالرغم من أن التشريع الإسلامى قانون دينى فإنه من حيث الجوهر لا يعارض العقل بأى وجه من الوجوه. فهو لم ينشأ من عملية وحى متواصل فوق العقل.. وإنما نشأ التشريع الإسلامى من منهج عقلانى فى فهم النصوص وتفسيرها، ومن هنا اكتسب مظهراً عقليّاً مدرسيّاً.. إن قواعد التشريع الإسلامى إنما تصدق بفضل وجودها فقط لا من أجل عقلانيتها - (المجردة) - وهى لا تدعو إلى مراعاة النص الحرفى للأحكام دون روحها.

والتشريع الإسلامى ذو منهج منظم، وهو يؤلف مذهباً متماسكاً، ونظمه المتعددة مترابطة بعضها ببعض»[1].

---

(١) شاخت: (تراث الإسلام) بحث بعنوان الشريعة الإسلامية القسم الثالث، وكتاب تراث الإسلام =

٥ ـ برنارد لويس Lewis, B.

شهادة «برنارد لويس»

ولد عام ١٩١٦ وهو مستشرق إنجليزى معاصر.

أمريكى الجنسية والإقامة.

وهو صاحب الدراسات العديدة فى الفرق الإسلامية وخاصة ـ الإسماعيلية ـ والتاريخ التركى الحديث.. وفى السياسة والدبلوماسية العربية الحديثة وفى المقارنة بين الشيوعية والإسلام.

وبالرغم من كونه يهودى الأصل. ومعاصر للصهيونية، وشديد العداء والافتراء على المسلمين ودينهم إلا أنه يشهد فيقول:

«لقد نادى مؤسس المسيحية أتباعه أن «أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله».

أما مؤسس الإسلام فقد جعل من نفسه «قسطنطين» (٢٧٤ ـ ٣٣٧ م) ـ ففى حياته أصبح المسلمون جماعة سياسية ودينية وكان الرسول سيدها المطلق ـ يحكم أرضاً وشعباً ويقضى بين الناس، ويجمع الضرائب، ويقود الجيوش، ويسير الدبلوماسية، ويخوض الحرب..

ولقد كانت الخلافة نظام حكم حدده الإسلام. وحل الدين مكانة القرابة كأساس للهوية الجماعية والولاء، كما حل محل العرف، أو أقره بوصفه قانون الجماعة.

وبينما كان شيخ القبيلة يحتل منصب الرئاسة على أساس الموافقة الطوعية

= صنفه «شاخت» و «بوزورث». ترجمة: د. محمد زهير السمهورى. تعليق وتحقيق: د. شاكر مصطفى. مراجعة: فؤاد زكريا طبعة الكويت ـ سلسلة عالم المعرفة، ١٩٧٨.

للقبيلة، وهى موافقة يمكن إلغاؤها، فإن محمداً ﷺ جاء إلى الحكم على أساس من الامتياز الدينى المطلق، واستمد سلطته ليس من الطوق المحكوم، بل الله.

ومن الأمور التى تسترعى النظر، أنه بينما تتحدث السياسة الغربية عن «المدنية» و «التاج» و «الدولة» أو «الشعب» كمصدر للسلطة، فإن الإسلام التقليدى يعتبر الله هو المصدر النهائى للسلطة. فالجماعة أمة الله، وممتلكاتها مال الله، وكذلك الحال بالنسبة للجيش والغنائم الحربية. وأما أعداؤها فهم بالطبع «أعداء الله».

وبما أنه لا يوجد إلا إله واحد وقانون إلهى واحد، يجب أن يكون هناك حاكم أعلى واحد على الأرض، ليمثل الله ويطبق القانون»[1].



(١) برنارد لويس «السياسة والحرب» ـ دراسة منشورة بكتاب (تراث الإسلام) القسم الأول، تصنيف «شاخت» و «بوزورث»، مرجع سابق.

٦ ـ شهادة «مارسيل بوازار»

ـ تميز الإسلام بأنه دين ودولة:

«ومن المفيد أن نذكر فرقاً جوهرياً بين الشريعة الإسلامية والتشريع الأوروبى الحديث، سواء فى مصدريهما المتخالفين أو فى أهدافهما النهائية..

فمصدر القانون فى الديمقراطية الغربية هو: إرادة الشعب، وهدفه: النظام والعدل داخل المجتمع.

أما الإسلام: فالقانون صادر عن الله، وبناءً عليه يصير الهدف الأساسى الذى ينشده المؤمن هو البحث عن التقرب إلى الله، باحترام الواصى، والتقيد به.

فالسلطة فى الإسلام تفرض عدداً من المعايير الأخلاقية.. بينما تسمح فى الطابع الغربى أن يختار الناس حسب الاحتياجات والرغبات السائدة فى عصرهم»[١].



(١) لواء أحمد عبد الوهاب: الإسلام فى الفكر الغربى، مكتبة التراث الإسلامى، القاهرة، ١٩٩٣.

٧ـ ألفريد جيوم Laume, A. guim
شهادة المستشرق الإنجليزى البارز «ألفريد جيوم»

ولد عام ١٨٨٨ ـ وتوفى عام ١٩٦٥.

خريج جامعة أكسفورد.. المحاضر فى المعهد الملكى بلندن سنة ١٩٢٠ م. وأستاذ اللغات الشرقية فى جامعة درهام ١٩٢٠ ـ ١٩٣٠ م.

وفى معهد كولهم «١٩٣٠ ـ ١٩٤٥ م» وفى جامعة لندن «١٩٤٥ ـ ١٩٤٧ م» وفى جامعة استانبول «١٩٤٧ ـ ١٩٥٥ م» وجامعة برنستون ١٩٥٥ م.

وعضو المجمع العلمى العربى بدمشق.. والمجمع العراقى.. صاحب التآليف والتحقيقات فى علم الكلام الإسلامى.. وفى المقارنة بين اليهودية والإسلام وبين النصرانية والإسلام والدراسات فى علم الحديث.. والتشريع الإسلامى.. والسيرة النبوية.

سماحة الإسلام:

لقد استُقْبِل العرب ـ على الأغلب ـ فى سوريا ومصر والعراق بترحاب ـ لأنهم قضوا القضاء المبرم على الابتزاز الإمبراطورى، وأنقذوا البيع المسيحية المنشقة من الضغط الكريه الذى كانت تعانيه من الحكومة المركزية وبرهنوا بذلك على معرفة بالمشاعر والأحاسيس المحلية أكثر من معرفة الأغراب.

«كان الإسلام فى بادئ الأمر عقيدة واضحة لا تعقيد فيها، فإيمانه البسيط إله واحد، لم ينطو على أى تعارض مع العقيدة المسيحية».

العقلانية الإسلامية المتميزة:

إن عبارة «قال الله تعالى» ما كانت تقوى على إسكات المعتزلة، بالعكس فقد كانوا يلحون فى أن يفسر لهم المقصود بكلمة «الله» وبكلمة قال:... فعندهم أن علم الكلام يجب أن يكون موضوع التحقيق العقلى.

وقوة الحركة الاعتزالية مردها جهود أولئك الذين حاولوا أقصى ما فى طوقهم إقامة علم الكلام الإسلامى على أسس ثابتة من الفلسفة، مصرين فى الوقت نفسه على أن تكون تلك الأسس منطقية، ثم الانسجام بينها وبين الفلسفة التى يجب أن تدرس بوصفها من صميم العقيدة الدينية»(١).



(١) ألفريد جيوم: الفلسفة وعلم الكلام، دراسة منشورة فى كتاب (تراث الإسلام)، تصنيف وإشراف أرنولد، ترجمة جرجس فتح الله، طبعة بيروت سنة ١٩٧٢.

٨ ـ نللينو (كارلو ألفونسو) Nallino Carb Alfonso
شهادة المستشرق الإيطالى البارز (نللينو كارلو ألفونسو)
(١٨٧٢ ـ ١٩٣٨)

المستشرق الإيطالى ـ أستاذ اللغة العربية بالمعهد العلمى الشرقى بنابولى وأستاذ الدراسات الإسلامية والتاريخ الإسلامى بجامعة بالرمو وروما (١٩١٥) ومدير لجنة تنظيم المحفوظات العثمانية ـ والمحاضر بالجامعة المصرية ـ فى الفلك والأدب العربى، وتاريخ جنوب الجزيرة العربية قبل الإسلام (١٩٢٧ ـ ١٩٣١) وصاحب التحقيقات الجغرافية بالشرق العربى.

فهو منشئ مجلة الشرق الحديث ـ برعاية المعهد العلمى الشرقى ـ فى روما والضليع فى اللغة الفارسية ونائب رئيس مجمع لنشارى ١٩٣٢ ـ وعضو المجمع العلمى الإيطالى، والمجمع العلمى العربى ـ بدمشق ـ والمجمع اللغوى بالقاهرة منذ تأسيسها وغيرها. وصاحب التآليف فى الفلك والجغرافيا والحساب والأدب العربى والقرآن والفرق الإسلامية، والتصوف والفلسفة والتاريخ والسيرة النبوية والفقه الإسلامى، والتراجم الإسلامية، والبلدان، والآثار، واللهجات، والمقارنة بين الفقه الإسلامى والمنظومات الإسلامية الأخرى.

ـ أصالة الفلسفة الإسلامية وتميز الحكمة المشرقية عن الفلسفة اليونانية.

«إن المسائل الكلامية فى القرنين الأول والثانى للهجرة، نشأت كلها تقريباً عن اختلافات فى تفسير عبارات وألفاظ وردت فى القرآن، ومن هذه الألفاظ القرآنية اشتقت دائماً تقريباً المصطلحات الفنية المتعلقة بهذه المسائل..

«إن فخر الدين الرازى - أى بعد قرن من وفاة «ابن سينا» - يعارض المذاهب الفلسفية المشرقية» بالمذاهب الفلسفية المغربية «اليونانية» ويقصد بالأولى المذاهب التى قال بها المتكلمون فى بحث المسائل، ومن قلدهم وسار على أثرهم من المسلمين. ومعنى هذا أن الكلام هنا عن معارضة مشابهة لتلك المعارضة التى يقول «ابن طفيل»: إن ابن سينا عملها بين كتابيه «الحكمة المشرقية» و (الشفا).. وتمت معارضة مماثلة لهاتيك أورد ذكرها. وبمناسبة «ابن سينا» دائماً، ابن أبى أصيبعة - فإنه يذكر من بين كتب ابن سينا «كتاب الإنصاف» عشرون مجلداً، شرح فيه جميع كتب أرسطوطاليس (٣٨٤ - ٣٢٢ ق. م) وأنصف فيه بين المشرقيين والمغربين»[١].



(١) نللينو: بحوث فى المعتزلة، دراسة منشورة بكتاب د. عبد الرحمن بدوى (التراث اليونانى فى الحضارة الإسلامية)، طبعة القاهرة سنة ١٩٦٥.

٩ ـ شهادة القسيس الراهب الأب «جورج شحاتة قنواتى» ١٩٠٥ ـ ١٩٩٤ م

وهو راهب مصرى، سورى الأصل، دومينيكانى.

حصل قبل الرهبنة على شهادة الهندسة الكيميائية من جامعة ليوند، وانضم إلى الآباء الدومنيكان، وتولى إدارة معهد الدراسات الشرقية التابع لهم بالقاهرة وتخصص فى الفلسفة الإسلامية.

من آثاره الفكرية: المدخل إلى علم الكلام، والمدخل إلى التصوف الإسلامى والمدخل إلى علم أصول الدين الإسلامى، وفلسفة الفكر الدينى بين المسيحية والإسلام، والمسيحية والحضارة العربية، ومؤلفات ابن سينا، ومؤلفات ابن رشد.. إلخ.. إلخ..

ـ تميز الفلسفة الإسلامية

«إن الفلسفة الإسلامية، فى مجموعها، تمثل وحدة لا سبيل إلى إنكارها، على الرغم من اختلاف الأماكن التى ظهرت فيها والمؤلفات التى صنفت فيها. كما أن نفس الملامح الأساسية الموجودة عند فلاسفة المسلمين فى المشرق هى بعينها الموجودة عندهم فى المغرب.

ونقطة البداية عندهم واحدة هى الحقائق القرآنية وتعاليم الإسلام المتعلقة بالحياة اليومية، ولم يكن بينهم من يبلغ به التهور أن يشك فيها، وأقصى ما فى الأمر أنهم كانوا يلجأون إلى التأويل المجازى فى موضوعات معينة».

«إن الفلسفة الإسلامية تنزع إلى أن تكون «حكمة» فقد كان «الفارابى» (٢٦٠ - ٣٣٩ هـ) وابن سينا «٣٧٠ - ٤٢٨ هـ» وابن رشد «٥٢٠ - ٥٩٥ هـ» مقتنعين بوحدة المعرفة التى تتوجها الإلهيات.

وأن نوع الحكمة التى تحاول هذه الفلسفة أن تأخذ بها كانت من حيث القصد على الأقل حكمة دينية، وهذه إحدى خواصها.. فهى تشتمل على عناصر دينية مأخوذة من القرآن الكريم، ولكنها بدلاً من اقتباسها كعناصر دينية، تسعى فى إخلاص إلى «التوفيق» بين الدين والعقل بقصد إعطاء الدين صفة «Status» عملية وهى تطبق بناء هيكل الفلسفة اليونانية على مبادئ الدين، وبذلك تضفى على الفلسفة اليونانية صبغة لم تكن لها عند الأقطاب من الإغريق، وهكذا استطاعت أن تصل إلى العقول المؤمنة، أو على الأقل تلك العقول التى ترغب فى التوفيق بين عقيدتها وبين العقل والعلم. وهذا يفسر لنا النجاح الذى حققته إلهيات «Metaphysics» ابن سينا فى كتابه «فى النفس» فى العصور الوسطى المسيحية».

«لقد بدأ الفكر الإسلامى من الوحى الدينى.. وتأثر بعوامل شتى.. ثم أخذ هذا الفكر يشق طريقه بقواه الخاصة.. وفعل الفكر الإسلامى ذلك فى حركة دفاعية ضد الآراء المعادية التى كانت تهدد العقيدة الإسلامية قليلاً أو كثيراً. وأراد نفر من المفكرين المسلمين الذين أحاطوا بالفلسفة اليونانية أن يضعوا قوى العقل فى نصرة عقيدتهم وبذلك انتزعوا تلك الأسلحة من أيدى خصومهم ووجهوها إليهم. وهذا المنزع الفكرى المناضل يميز أولئك الذين يعرفون فى تاريخ الفكر الإسلامى باسم «المعتزلة»[1].



(١) جورج شحاتة قنواتى: الفلسفة وعلم الكلام، بحث منشور بكتاب (تراث الإسلام) القسم الثانى بإشراف «شاخت» و «بوزورث»، مرجع سابق.

١٠ ـ جابر ييلى (فرانشسكو) Gabrieli Francesco
شهادة المستشرق الإيطالى البارز
«جابر ييلى» (فرانشسكو)
١٩٠٤ ـ ١٩٩٦ م

كبير أساتذة اللغة العربية وآدابها فى جامعة روما..

والمبرز فى دراسة الشعر العربى ـ على مر تاريخه ـ وفى تحقيق نصوص التاريخ الإسلامى... وفى الدراسة للحضارة الإسلامية وتاريخها. والفرق الإسلامية... ومقارنة النصرانية بالإسلام... وهو مترجم للعديد من نصوص الفكر الإسلامى إلى الإيطالية.. والعضو المراسل فى المجمع العلمى العربى بدمشق، وفى غيره من المجامع والجمعيات العلمية.

ـ سماحة الإسلام واقع ملموس

«إن الإسلام أضفى على «عقائد أهل الكتاب» أى المسيحية واليهودية مكانة خاصة يحميها الشرع، وإن تكن ذات مرتبة أدنى فى الدولة. ولم يدم التزمت والاضطهاد فترات طويلة إلا فى أوقات الشدة وعدم الشعور بالأمان. أما قانون المسيحية فليس فيه أى مكان لأى دين آخر، لذا فقد انتقل بسرعة وبتطور منطقى، عندما انتصر على الإسلام، إلى التعصب والاضطهاد..».

«لقد انتشر دين بلاد العرب الذى جلبه الفاتحون معهم فى شبه الجزيرة بسرعة، كما حدث فى جميع البلاد التى فتحها العرب، وأصبح هو السائد بسرعة بين سكان البلاد الأصليين الذين اعتنقوه (المولدين). وإن لم يصبح هو الدين

الوحيد فإلى جانب إسلام الفاتحين الأجانب كان هناك تسامح مع الدين المسيحى الذى طورته إسبانيا بحيث أصبح لها أعيادها الدينية والثقافية وطقوسها الخاصة وكتابها وقدّيسوها. ورغم أن مكانته كانت دون الإسلام فقد كان له وضع قانونى كامل. على أن هذه المسيحية قد استعربت بسرعة، لغويّاً وثقافياً، وأصبحت هناك كلمة عربية (المستعربة) تدل على سكان البلاد الذين بقوا على دين آبائهم تحت الحكم الإسلامى لكنهم أصبحوا ناطقين بالعربية أو يتكلمون اللغتين على الأقل. هذه الازدواجية اللغوية هى خاصية أخرى من خصائص إسبانيا العربية»[1].



(١) جابريلى: الإسلام فى عالم البحر المتوسط، دراسة منشورة بكتاب (تراث الإسلام) تصنيف «شاخت» و «بوزورث» القسم الأول، مرجع سابق.

١١ ـ بكر (كارل هيزش) Becher G. H
شهادة المستشرق الألمانى «بكر» (كارل هيزش)

ولد عام ١٨٧٦ ـ وتوفى ١٩٣٣. م تخرج فى هامبورج سنة ١٩٠٨ م وفى بون سنة ١٩١٣. فى مدرسة اللغات الشرقية، وعين أستاذاً لها.

ضليع فى التاريخ الإسلامى، وفى دراسة العوامل الداخلية والخارجية المؤثرة فى هذا التاريخ وأنشأ مجلة الإسلام سنة ١٩١٠ م. وتولى وزارة المعارف سنة ١٩٢١م وشغل كرسى الأستاذية الفخرية فى الجامعة سنة ١٩٢٥.

ـ ومن تحقيقاته وتآليفه وترجماته: نشر مناقب عمر بن عبد العزيز ـ لابن الجوزى ١٨٩٩ م. ودراسة عن عمر بن عبد العزيز عام ١٩٠٠ م. ومصر فى عهد الإسلام ١٩٠٣ ـ والنصرانية والإسلام سنة ١٩٠٧ م. ودراسات عن الفتح العربى سنة ١٩١٢ م. وإسلاميات سنة ١٩٢٤. والطب فى شمال أفريقيا ١٩١٠ م. والشعائر الإسلامية ١٩١٢ م. والحديث فى الفقه الإسلامى ١٩١٣ م ـ ومن القانون الإسلامى ١٩١٤ م. والجوامع فى الإسلام ١٩٠٦ ـ وفتوح العرب ١٩٠٩، الجدل العقائدى بين المسلمين والنصارى ١٩١٢ م.

ـ سماحة الإسلام وازدهار مناخ الحرية فى ظله

«فالدين الإسلامى أقام بناءه الذهبى فى جو من التفكير الحر، بعكس الدين المسيحى، الذى تمثله الكنيسة، أى على نظام تصاعدى، وبيدها خلاص الناس..

ففى الإسلام كان مجال الاختلاف أوسع بكثير منه فى المسيحية، لأنه لم يكن به شىء يشبه القاضى الذى يصدر الحكم الفاصل لا استئناف له...»[١].

(١) بكر: تراث الأوائل فى الشرق والغرب، دراسة منشورة بكتاب الدكتور عبد الرحمن بدوى (التراث اليونانى فى الحضارة الإسلامية)، مرجع سابق.

١٢ ـ مكسيم رودنسون RodinSon, m
شهادة المستشرق الفرنسى الشهير
« مكسيم رودنسون » (١٩١٥ ـ ٢٠٠٤ م)

الأستاذ بمدرسة الدراسات العليا بباريس... ثم مديرها وصاحب الدراسات العديدة عن أصول الإسلام.. وعلم الاجتماع الإسلامى.. وعن: رسول الإسلام..، وعن المقارنة بين الإسلام والرأسمالية.. والإسلام والشيوعية..، تأثيرات اللغة العربية فى بعض اللغات الأوربية والتأثير الإسلامى فى الشاعر الإيطالى دانتى (١٢٦٥ ـ ١٣٢١م).

ـ سماحة الإسلام كنظرية وتطبيق.

«ففى إيطاليا، عبرت كثير من الأقاليم لحكوماتها المستبدة عن أنها ترحب من كل قلبها بغزو تركى مثلما فعل بعض البلقانيين المسيحيين.

وهكذا فقد اندمج الأتراك، على الصعيد السياسى، فى الجو الأوروبى. على أن هذا لا يعنى أن اندماجهم كان من جميع النواحى. والذى حصل هو أن مرارة الحقد الدينى ضمن العالم المسيحى نفسه قد جعلت الإسلام يبدو أقل غرابة وأقل مدعاة إلى النفور..

لقد لجأ أتباع مذهب «كافن» فى هنغاريا وترنسيلفانيا وبروتستنت سيليزيا، وقدماء المؤمنين منذ قفقاس روسيا إلى تركيا، إذ تطلعوا إلى الباب العالى فى هروبهم من الاضطهاد الكاثوليكى أو الأرثوزكسى، وذلك مثلما فعل اليهود الإسبانيون قبل ذلك بقرنين..»[١].

(١) رودنسون: الصورة الغربية والدراسات الغربية الإسلامية دراسة منشورة بكتاب (تراث الإسلام) تصنيف «شاخت» و «بودورث»، مرجع سابق.

١٣ ـ جورج سارتون Sarton, G.

«جورج سارتون»

١٨٨٤ ـ ١٩٥٦ م

مستشرق بلجيكى الأصل.. متخصص فى العلوم الطبيعية والرياضية، المحاضر فى تاريخ العلم بجامعة واشنطن ١٩١٦ م ـ وهارفارد ١٩١٧ ـ ١٩٤٩ م.

درس اللغة العربية بالجامعة الأمريكية بيروت (١٩٣١ ـ ١٩٣٢ م).

حامل لست دكتورات فخرية، عضو منتخب فى عشرة مجامع علمية دولية، وفى عدد من الجمعيات العلمية العالمية فى التاريخ والعلم والفلسفة، ورئيس الاتحاد الدولى لتاريخ العلوم بباريس وجمعية تاريخ العلوم الأمريكية ـ العضو المراسل للمجمع العلمى العربى بدمشق ١٩٥٥ م.

منشئ مجلة «أوزيريس» ١٩٣٦ م ـ بلغت أبحاثه أكثر من ٥٠٠ بحث من أهمها:

«المدخل إلى تاريخ العلم» ـ ٣ أجزاء ـ فى ٥ مجلدات.

ـ الإسلام والمسيحية.. والعربية.. والفتوحات:

حادثة واحدة من أخصب الحوادث نتائج فى تاريخ الإنسانية، ألا وهى ظهور الإسلام.. ولقد كانت الهجرة حداً فاصلاً فى حياة الرسول وفى تاريخ الدين الجديد، إنها البدء الرسمى للإسلام كدين ودولة معاً...

لقد كان محمد مثل إخوانه الأنبياء السابقين، ولكنه كان أعظم منهم نجاحاً بما لا نسبه فيه.. كان الرسول رجلاً.. ذا عبقرية عظيمة..

والإسلام يمكن أن يعد انشقاقاً من اليهودية أو النصرانية، ولقد عده بعضهم

كذلك.. فالإسلام «حسب هذا الرأى مكمل لليهودية والمسيحية إلا أن الدارسين العدول يقولون إن الإسلام ثالث الأديان الكبرى التى يتمم بعضها بعضاً، والتى ترجع إلى مجموع واحد».

«ولم يكن الرسول ليستطيع ذلك لو لم يكن مؤيداً بقبس من الوحى».

إن اللغة الوحيدة التى عرفها رسول الله كانت من أجمل اللغات فى الوجود.. فالرسول، مع أنه أمىّ، كان يملك ناصية اللغة، إذ آتاه الله بياناً، ووهب اللغة العربية مرونة جعلتها قادرة على أن تدون الوحى الإلهى أحسن تدوين بجميع دقائق معانيه ولغاته وأن تعبر عنه بعبارات عليها طلاوة وفيها متانة.. وهكذا يساعد القرآن على رفع اللغة العربية إلى مقام المثل الأعلى فى التعبير عن المقاصد..».

«ولقد أدرك الإسلام الحاجة إلى تنظيم شديد كما يقوى إيمان المسلمين وتتطهر قلوبهم. من أجل ذلك كان شهر الصيام، والحج من التمارين التى تحمل على هذا التنظيم وتقوم به أحسن قيام.

إن كثيراً من كنائسنا نحن قد ضعفت إلى درجة التفه لتساهلها ولفقدان التنظيم فيها ولقلة ما تفرضه على أتباعها.. إن أتباع هذه الكنائس إذا دفعوا اشتراكاتهم «بدل جلوسهم على مقاعد الكنيسة» عدوا من المؤمنين حقاً.

إن مثل هذه الكنائس قد تكون غنية، ومع ذلك فإنها من حيث التأثير فى حكم المفقودة. فإذا كنتم تريدون اتباع كنائس ذوى إيمان فعليكم أن تفرضوا عليهم نظاماً شديداً، وأن تتطلبوا منهم تضحيات حقيقية.

ولقد عرف محمد ذلك جيداً، وهذه علامة ثابتة من علامات عبقرية النبوة فيه..

وخلاصة القول: إن الرسول جاء بدين توحيدى قبل أن يقوم فى النصرانية من يقول بشرعة التوحيد بتسعة قرون - (الإشارة للمذهب المسيحى الوحدانى - المنكر للتثليث).. إنه لم يتح لنبى من قبل ولا من بعد أن ينتصر انتصاراً تاماً كانتصار محمد»[1].

---

(١) سارتون: الثقافة الغربية فى رعاية الشرق الأوسط، ترجمة: د. عمر فروخ، طبعة بيروت، ١٩٥٢ م.

١٤ ـ مايرهوف (ماكس) Meyerhof, Max

« مايرهوف » (ماكس)

١٨٧٤ ـ ١٩٤٥ م

من كبار أطباء العيون فى العالم، وفى طليعة مؤرخى الطب العربى..

درس الطب فى هايدلبرج وبرلين وستراسبورج.

ونال الدكتوراه فى الطب سنة ١٨٩٧ م ـ زار مصر عام ١٩٠٠، واستقر بها ١٩٠٣. وتعلم اللغات التى يتحدث بها فى مصر، وانخرط فى دراسة العربى.

حصل على الدكتوراه الشرفية ـ فى الفلسفة ـ من جامعة بون ١٩٢٨ م.

ـ عين أستاذاً لتاريخ الطب فى جامعة ليبزيج سنة ١٩٣٠ م ولكنه عاد لمصر واستقر بها، ومات ودفن فيها.

ـ تأثيرات العلم العربى الإسلامى فى أوروبا:

«إن المجموعة الكاملة لآثار «الكندى» العلمية مفقودة، ولكن «بصرياته» التى وصلت إلينا بترجمتها اللاتينية كان لها تأثير على «روجر بيكن» وغيره من رجال العلم الغربيين.

لقد وصل علم البصريات إلى الأوج بظهور «ابن الهيثم» ولقد عارض ابن الهيثم نظرية «إقليدس» و «بطليموس» فى أن العين ترسل أشعة الرؤيا إلى الجسم المرئى.

وبحث أيضاً فى انتشار الضوء والألوان وخداع البصر والانعكاسات الضوئية مع بعض التجارب فى قياس الزوايا المحدبة والانعكاسية. وما زال اسمه يقرن بما سمى عند العرب «مسألة ابن الهيثم» «فى المرايا الكروية المقعرة منها والمحدبة،

والمرايا الأسطوانية والمخروطية لإيجاد الموقع الذى ينعكس فيه الجسم ذو البعد المعلوم إلى العين ذات الموقع المعلوم».

هذه النتائج تؤدى إلى معادلة من الدرجة الرابعة، حلها ابن الهيثم بواسطة القطع واختبر ابن الهيثم انكسار الأشعة الضوئية داخل الأوساط الشفافة «كالماء والهواء» واقترب كثيراً بتجاربه الطويلة فى القطوع الكروية (أوعية زجاجية مملوءة ماء) إلى الكشوف النظرية فى تكبير العدسات الذى تحقق عملياً فى إيطاليا بعده بثلاثة قرون، فى الوقت الذى مر أكثر من ٦ قرون قبل أن يثبت «سنل» قانون الجيوب الهندسى.

إن «روجر بيكن» من القرن ١٣ ـ وكل كتّاب القرون الوسطى فى البصريات، وعلى الأخص «فيتلو أو وايتلو» الهولندى، بنوا أبحاثهم البصرية على كتاب البصريات لابن الهيثم بصورة رئيسية، لذلك بقى كتابه منهلاً «لليوناردو دافنشى» و«يوهان كبلر» الذى التزم التواضع بتسمية أعظم كتبه عند العدسات باسم «آثار فيتلو) ـ نشر فى فرانكفورت سنة ١٦٠٤ م.

وخلّف ابن الهيثم مؤلفات كثيرة صغيرة فى طبيعة البصر.. وفى ظاهرة الشفق.. وتعالج رسائل أخرى له قوس قزح والهالة، والمرايا المسطحة، والمرايا ذات القطع الزائد المجسم. هذه وغيرها من الكتب «فى الظلال والخسوف والكسوف» إنما تنم عن تفكير رياضى رفيع. ووضع بهدى من حساباته وتخميناته، مرايا من المعدن.

«وكتب فضلاً عن ذلك شروحاً على بصريات «إقليدس» و «بطليموس» وعلى (الطبيعيات) و (المسألة) لأرسطو. ولاحظ صورة الشكل النصفى للقمر فى الشمس أثناء الكسوف على جدار يقابل ثقباً صغيراً يتخلل درفتى النافذة، وكانت تلك التجربة الأولى للغرفة المظلمة»[1].

---

(١) مايرهوف ـ ماكس «من الإسكندرية إلى بغداد» بحث منشور بكتاب الدكتور: عبد الرحمن بدوى (التراث اليونانى فى الحضارة الإسلامية) ط القاهرة ١٩٦٥.، و (العلوم والطب) دراسة منشورة بكتاب (تراث الإسلام) ـ بإشراف «أرنولد».

١٥ ـ كارادى فو Baron Cara De Vaux
«كارادى فو»
١٨٦٨ ـ ١٩٣٩ م

- درس العربية ودرسها فى المعهد الكاثوليكى بباريس.
- وتخصص فى الفلك والرياضيات والفلسفة.

من آثاره العلمية شرح: كتاب (المجسطى) لأبى الوفاء البوزجانى ١٨٩٢ م، وكتاب (الآلات والحيل) لهيرون الإسكندرى ١٨٩٣ م ـ كما ألف كتاباً عن ابن سينا ١٩٠٠ م وكتاباً عن الغزالى ١٩٢٠ ـ وله كذلك كتاب (مفكرو الإسلام) فى خمسة أجزاء ١٩٢١ م. كما ترجم (التنبيه والإشراف) للمسعودى.. وقصيدة النفس ـ لابن سينا.. وتائية ابن الفارض.. إلخ..

«والسبب الآخر لاهتمامنا بعلم العرب هو تأثيره العظيم فى الغرب. إن العرب ارتفعوا بالحياة العقلية والدراسة العلمية إلى المقام الأسمى فى الوقت الذى كان العالم المسيحى يناضل نضال المستميت للانعتاق من أحابيل البربرية وأغلالها. ووصلوا إلى قمة نشاطهم فى القرنين التاسع والعاشر (والذى استمر حتى القرن الخامس عشر) . ومن القرن الثانى عشر فصاعداً كانت مراكش والشرق الأوسط محط أنظار كل غربى يميل إلى العلم ويتذوقه، وفى هذه الفترة شرع أبناء أوربا يترجمون آثار الإغريق..».

«إن العرب ليسوا كالإغريق يتقربون من أحد هواة الفن والأدب أو نصير من نصرائها ميله إلى الثقافة للثقافة نفسها، لكنهم كانوا يبذلون علومهم لجميع التلاميذ الأذكياء بكل سخاء.. فهم يمتازون بالتفكير الواقعى، لذلك كان لعلومهم

هدف مادى، فالحساب كان يخدم التجارة ويعاون فى تقسيم الأموال - المواريث - أما الفلك فهو مطلب المسافرين وقاطعى الصحارى والمهالك، أو يستخدم لأغراض الدين لمعرفة أوقات الصلاة وقبلة مكة وللدقيقة الأولى لطلوع قمر رمضان..».

«إن العرب كانوا هندسيين قبل كل شىء.. ويرى «م. دوديت» M. Rodet أن الهندوس أكثر تحليلاً من العرب، هندوسيون خالصون أكثر من الهندوس. وفى القرن الثامن عشر، اعترف العالم الجبرى «ليونارد فيبوناجى البيزى» أواخر القرن ١٢ وأوائل القرن ١٣ بأنه مدين للعرب بالكثير».

«إن العرب هم الذين علمونا استعمال «الصفر» ولو أنهم لم يكونوا مبتكريه وهكذا ابتدعوا حساب الحياة اليومية. إنهم جعلوا «الجبر» علماً متقناً، وتقدموا به ووضعوا أسس علم الهندسة التحليلية، وهم بلا منازع موجدو علم المثلثات المستوية والكروية اللذين لم يكن للإغريق فضل فى وجودهما إذا ما توخينا الحقيقة والإنصاف. كما أنهم عملوا فى الفلك أرصاداً عديدة قيمة وحفظوا لنا بترجماتهم عدداً كبيراً من كتب الإغريق وأبحاثهم التى ضاعت أصولها».

إنا لنجد «الصفر» معروفاً عند العرب قبل أن يعرفه الغرب بـ ٢٥٠ سنة على الأقل.. ولم يدخل الصفر أوروبا إلا فى القرن ١٢ حين بدأ الحسابيون النصارى يكتبون رسائل فى علم العدد والأرقام من غير حقول ويكملونها بالصفر»[١].



(١) كارادى فو: «الفلك والرياضيات» - بحث منشور بكتاب (تراث الإسلام) - بإشراف «أرنولد».

١٦ ـ بلسنر مارتن Plessner, M.

المستشرق الألمانى

المحاضر فى معهد العلوم الشرقية بجامعة فرانكفورت.

والمتخصص فى إحصاء الترجمات العربية عن التراث اليونانى، بميادين الأدب والفلسفة والعلوم الطبيعية فى الحقبة التى تسميها أوروبا «العصور الوسطى».

ـ من آثاره الفكرية:

مباحث فى أسس الكيمياء العربية القديمة وتأثرها بنظريات من سبق «سقراط» (٤٧٠ ـ ٣٩٩ ق. م) من فلاسفة اليونان ١٩٣٠ م. ومصنف عما صدر بالعربية من الأدب العبرى القرون الوسطى. والمخطوطات العربية فى استانبول وقونية ودمشق ١٩٣١ م.

وترجمة العلوم اليونانية إلى العربية سنة ١٩٥٤ م. والتعريف بعدد من المصطلحات والمفردات فى دائرة المعارف الإسلامية.. ودراسته عن العلوم الطبيعية والطب فى تراث الإسلام.

ـ «تعود بداية الاهتمام بالعلوم القديمة عند المسلمين إلى عهد أقدم بكثير من عصر الترجمات. فالجدل مستمر بين المسلمين من ناحية والنصارى والأقوام التى دخلت الإسلام بثقافتها الهلينية من ناحية أخرى، كان لا بد أن يؤدى إلى إثارة الاهتمام بالعلوم».

ـ «ولا يكاد يوجد شىء من جهود المسلمين فى ميدان العلوم لم يتأثر به الغرب بطريق أو بآخر..

لم تكن علوم المسلمين، بطبيعة الحال، العامل الوحيد الذى أدى إلى إحياء العلم فى الغرب، فتقاليد العلوم القديمة لم تتلاش تماماً وسط الفوضى التى عمت خلال عصر غزوات البرابرة لأوروبا، ومع ذلك فمن الصحيح أن علماء المسلمين أعطوا العلم الأوروبى قوة دفع جديدة، والأهم من ذلك، أن هذا العلم الغربى قد اكتسب مادة أدت إلى إثرائه بدرجة لا نظير لها بفضل الترجمات العربية عن الإغريق، وكذلك بفضل الإنتاج العلمى المستقل للمسلمين أنفسهم..».

إن المؤلفات الطبية التى وضعها إسحق بن سليمان الإسرائيلى (٣٢٠ هـ - ٩٣٢م) وموسى بن ميمون - لا تختلف عن أعمال المؤلفين المسلمين وينسحب ذلك على الكتابات العلمية التى وضعها الأسقف «ابن العبرى» (بارهيبرايوس)..

والواقع أن مجرد كون كتب المؤلفين المسلمين قد أمكن ترجمتها إلى العبرية واللاتينية دون أية تغييرات جوهرية، إنما يثبت وجود تفاعل بين الأديان فى العلم الإسلامى لا تقل أهميته عما كان فى ذلك العلم من تفاعل بين القوميات، وربما كان العلم هو أقل الميادين الثقافية خضوعاً لعملية «الصبغ بالصبغة الإسلامية»[1].



(١) بلسنر: «العلوم الطبيعية والطب» - دراسة منشورة بكتاب (تراث الإسلام) - إشراف «شاخت» و«بوزورث»، مصدر سابق، القسم الثالث.

١٧ ـ خوان فيرنيه خينس Juan Vernet Gines

المستشرق الأسبانى، ومن أبرز أعماله:

ـ ترجم القرآن إلى الأسبانية ١٩٥٣.

ـ ترجم (الف ليلة وليلة) إلى الأسبانية.

ـ تحقيق كتاب (بسط الأرض فى الطول والعرض) لعلى بن سعيد المغربى ١٩٥٣.. الخ.

«إن علماء المسلمين كانوا، منذ القرن الثالث الهجرى «التاسع الميلادى» واثقين بفضل الجهد الذى بذلوه فى عملهم من أنهم يتقدمون فى كل الميادين الرياضية، وأن ترجماتهم للنصوص القديمة كانت أدق بصورة عامة من المخطوطات الأصلية، كما يتبين لنا أنهم فى كثير من الأحيان لم يكونوا على خطأ فى أحكامهم هذه مثلما أن المترجمين الذين نقلوا كتاباتهم العربية إلى اللاتينية بعد ذلك بقرن لم يخطئوا بدورهم فى وضع تقييم مماثل لأعمالهم».

«وإذا نحن تحرينا الدقة نجد أصل التطور العلمى للرياضيات عند المسلمين يبدأ مع القرآن الكريم، وذلك فيما ورد فى القرآن من الأحكام المعقدة[١] فى تقسيم الميراث. ولكن الخوارزمى يعتبر أول رياضى مسلم كبير، ونحن مدينون له بمحاولة وضع تنظيم منهجى باللغة العربية لكل المعارف العلمية، والتقويم كما ندين له باللفظ الأسبانى «غوادزمو» (Guarismo) الذى يعنى الترقيم «أى الأعداد ومنازلها والصفر».. وكان الجبر هو الميدان الثانى الذى عمل فيه الخوارزمى، وهو فرع من الرياضيات لم يكن حتى ذلك الوقت موضوعاً لأية دراسة منهجية جادة...

(١) فى نظر الكاتب وإلا من أجاد علم المواريث فى الإسلام وجد الدقة مع السهولة.

«ويبرز فى حقل الهندسة من العلماء العرب الإخوة الثلاثة أبناء موسى بن شاكر الذين عاشوا فى القرن الثالث الهجرى «التاسع الميلادى»، وكان مصنفهم الرئيسى المعروف باسم «كتاب معرفة مساحة الأشكال» أحد الجسور التى انتقل بها التأثير اليونانى إلى بغداد، حيث بدئ فى إدخال إضافات جديدة وأصلية عليه، وقد ترجم هذا الكتاب إلى اللاتينية بعد ذلك بقرون على يد «جيرار الكريمونى» بعنوان «أقوال موسى بن شاكر» وعن طريق كتاب بن شاكر استطاع علماء الغرب، منذ أمثال «فيبوناش» (أواخر القرن ١٢ وأوائل القرن ١٣) و«جور داتوس تيموراريوس» و«روجر بيكون» و«توماس براد واردين» أن يعرفوا الأفكار الأولى الخاصة بالرياضيات العالمية»

«وقد أجرى العلماء المسلمون سلسلة من الأرصاد لتصحيح المعلومات الواردة فى الكتب المترجمة إلى العربية وكانت هذه الأرصاد تؤدى دائماً إلى وضع جداول فلكية، ولما كانت هذه الجداول تقوم على التجربة، فقد أطلق عليها اسم الأزياج الممتحنة «الموثق» لدى المؤلفين اللاتينيين..»(١).



(١) جوان فيرنيه: (الرياضيات والفلك والبصريات) ـ بحث منشور بكتاب (تراث الإسلام) ـ بإشراف «شاخت» و«بوزورث»، القسم الثالث.

١٨ ـ كاربنسكى Karpinsk, L.C.

المستشرق الأمريكى. ١٨٧٨ ـ ١٩٥٦م.

ـ تخرج فى جامعات كوزيل واستراسبورج وكلية المعلمين بنيويورك، وشغل كرسى أستاذ الرياضيات فى جامعة ميتشجان، وأستاذا زائراً فى عدة جامعات منها الجامعة الأمريكية بالقاهرة.

ـ من آثاره العلمية. نشر كتاب الجبر والمقابلة ـ للخوارزمى ١٩١٥ ـ وكتاب الرياضيات الموحدة ١٩١٨ م، والأعداد الهندية العربية ١٩١١ م، وتاريخ الحساب ١٩٢٥، والمدخل إلى الحساب ١٩٢٦ م ـ وجبر أبى الكامل شجاع بن أسلم ١٩١١ ـ ١٩١٢، وفهرس المصنفات الرياضية المطبوعة بأمريكا ١٩٤٠ م.

ـ يقول فى المحاضرة التى ألقاها فى نادى العلم بالجامعة الأمريكية بالقاهرة فى نوفمبر ١٩٣٣ م:

«ويرجع الأساس فى تقدم الرياضيات وإيجاد التكامل والتفاضل إلى المبادئ والأعمال الرياضية التى وضعها علماء اليونان، وإلى الطرق المبتكرة التى وضعها علماء الهند.

وقد أخذ العرب هذه المبادئ وتلك الأعمال والطرق ودرسوها وأصلحوا بعضها، ثم زادوا عليها زيادات هامة تدل على نضج أفكارهم وخصب قريحتهم. وبعد ذلك أصبح التراث العربى حافزاً لعلماء إيطاليا وأسبانيا ثم لبقية بلدان أوربا إلى دراسة الرياضيات والاهتمام بها.

وأخيراً أتى «فيتا» ووضع مبدأ استعمال الرموز فى الجبر، وقد وجد فيه «ديكارت» ١٥٩٦ ـ ١٦٥٠» ما ساعده على التقدم ببحوثه فى الهندسة فى خطوات واسعة فاصلة مهدت السبيل للعلوم الرياضية وارتقائها ارتقاء نشأ عنه علم الطبيعة الحديث وقامت عليه مدنيتنا الحالية..»(١).



(١) كارينسكى: مقدمة كتاب (تراث العرب العلمى فى الرياضيات والفلك) لقدرى حافظ طوقان، طبعة القاهرة، جامعة الدول العربية، دار القلم، ١٩٦٣ م.

١٩ ـ جب (السير هاملتون) Gibb, Hamilton, A. R.
المستشرق الإنجليزى «جب» (السير هاملتون)
١٨٩٥ ـ ١٩٧١ م

ولد بالإسكندرية.. التحق بمدرسة اللغات الشرقية سنة ١٩١٩ م وحاضر فيها سنة ١٩٢١ م ـ ١٩٣٠ م ـ عضو بالمجمع العلمى العربى بدمشق، شغل كرسى اللغة العربية بجامعة لندن ١٩٣٠ ـ ١٩٣٧ م وفى أكسفورد ١٩٣٧ ـ ١٩٥٥ م. وشغله فى جامعة هارفارد ١٩٥٥ م. وعمل مديراً لمركز الشرق الأوسط سنة ١٩٦٢ م.

ـ له عشرات المؤلفات والترجمات والتحقيقات منها:

المدخل إلى التاريخ العربى ١٩٢٦ م، وفتوح العرب فى آسيا الوسطى ١٩٢٣ م، ورحلة ابن بطوطة فى آسيا وأفريقيا ١٩٢٩ م، وما هو الإسلام؟ ١٩٣٢ م والعرب سنة ١٩٤١، والآثار الإسلامية ١٩٤٤ م، والديانة المحمدية ١٩٤٩ م، والمجتمع الإسلامى والغرب ١٩٥٠ م، والشرق الأدنى الإسلامى ١٩٦١ م، ودراسات فى الحضارة الإسلامية ١٩٦٣ م، ودراسات فى الأدب العربى المعاصر ١٩٢٦ م، ونظرية الماوردى فى الخلافة ١٩٣٧، والخلافة فى الإسلام ١٩٣٩ م، والخلافة عند السنة ١٩٤٧ م، وتفسير التاريخ الإسلامى ١٩٥٥ م، وأثر الثقافة الإسلامية فى أوروبا فى العصر الوسيط سنة ١٩٥٥ م، والضرائب كما قررها عمر الثانى ابن عبد العزيز ١٩٥٥ م، والمرأة والقانون سنة ١٩٦٢ م. إلخ.

شهادة عن الأدب الغربى الإسلامى:

«إن شيوع «موّضة» اقتبال الآثار العربية: فلسفية كانت أم علمية، جلب معه اهتماماً بنواح أخرى من الآداب العربية، لا سيما الحكايات الخرافية، والمقالات الخلقية، والقصص، وهى بمجموعها تؤلف فن الكتابة الراقى العربى «أسلوب الحكيم». وقبل ذلك بزمن أذاع النقل الشفوى عناصر أخرى من القصص العربى والشرقى وشمل انتشاره منطقة واسعة، ولقد ظل الناس حتى زمن قريب يسلمون بلا جدال، بل ينادون مقرين للشرق بأصول بعض الحكايات الشعبية التى ازدهرت فى أوروبا فى غضون القرن الثالث عشر بأشكال مختلفة مثل الخرافات والأمثال والقصص الخيالية، وغير ذلك مما يوجد بينه وبين القصص الشرقى والهندى أوجه شبه لا جدال فيها..

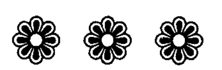
إن أدب الأسفار وأدب الجغرافية الحيوانية العربيين قد خلفا كذلك آثارهما فى الأدب الغربى، فالرحلات لم تعرف فى أوربا إلا لغرض الحج إلى الأراضى المقدسة ويكاد يكون أمراً مفروغاً منه، أن انتشار عناصر الأساطير العجيبة والأخيلة الخرافية فى رقع واسعة المدى قد تم بالنقل الشفوى، إنها كانت بمثابة حلى وزخارف ومثل رحلات «ماركوبولو» ورحلات «سبرجون ماندفيل» (القرن ١٤). ولكن حدودهما لم تكن قاصرة على الدول اللاتينية الغربية، فقد امتدت حتى اسكيندينافيا وأيرلندا - ربما كان ذلك عن الطريق التجارية لبحر قزوين - حتى البلطيق وعادت إلى الظهور حكايات رهبانية: كأسطورة القديس برندان، جاء بها الجونكليز والتجار من الدول الصليبية التى أقيمت فى سوريا وفى مرافئ البحر الأبيض المتوسط.

ومن المصادر الشفوية يمكننا الادعاء باحتمال كبير أن «بوكاتشو» (١٣١٣ - ١٣٧٥ م) اقتبس الحكايات الشرقية التى ضمنها كتابه (ديكاميرونى)، كذلك قصة (سكواير) لشوسر، فهى من ألف ليلة العربية، التى ربما نقلها إلى أوربا التجار الإيطاليون القادمون من البحر الأسود حيث إن محل القصة جعل فى بلاط خان المغول على نهر «الفولجا» إن دخول أنماط الأدب العربى هذه إلى أوربا القرون الوسطى كان فى الواقع مظهراً من مظاهر الحركة الثقافية العامة. كانت الحضارة

اللاتينية تضيق ذرعاً بالقيود التى تفرضها الأنظمة الكنسية فى العصور المظلمة، وأصبح الناس جميعاً وهم يشكون محتارين أمام الأمور التى ظلوا يقبلونها كحقائق منزهة لا تقبل الدحض، ولما رأوا أنفسهم عاجزين عن إيجاد ما ينقع غلتهم وسط جدب أدبهم اللاتينى وضيقه وزيفه وسخفه، فقد اضطروا أن ينشدوا ما يريدون فى أصقاع أخرى.

«والحق يقال، إن ثم حقائق دامغة لا يمارى فيها أحد: فالأمثال الشرقية، والحكايات الشرقية، وما لف لفها من المصنفات، تمتعت بشهرة واسعة فى القرون الوسيطة: وأول كتاب طبع فى انكلترا (حكم الفلاسفة وأقوالهم) كان مترجماً عن نسخة فرنسية مأخوذة من ترجمة لاتينية مترجمة عن أصل عربى. وللمرة الثانية نجد فى القرن الثامن عشر ما لا يقل عن ٣٠ طبعة من قصص (ألف ليلة وليلة) باللغتين الإنكليزية والفرنسية ومنذ ذلك الحين نشر أكثر من ثلثمائة طبعة لهذه القصص فى جميع لغات أوربا الغربية. وطار صيت عمر الخيام فى إنجلترا وأمريكا أكثر مما اشتهر اسمه فى فارس.

ولولا (ألف ليلة) ما كان (روبنسن كروزو) ولا كانت ـ ربما ـ (رحلات جوليفر) لقد صارت (ألف ليلة) مصدراً تستمد منه عناصر البناء لهيكل الرواية»[١].



(١) جب (الأدب) ـ داسة منشورة بكتاب (تراث الإسلام) ـ بإشراف «أرنولد».

٢٠ ـ روزنتال (فرانز) Rosenthal, F.

الفيلسوف الهولندى «روزنتال» (فرانز)

ـ شغل كرسى الأستاذية فى جامعة «بيل».

ـ له آثار فكرية عديدة وهامة، منها:

فلسفة أفلاطون فى العالم الإسلامى ١٩٤٠ م، وأثر الصوفية فى اليهودية العربية ١٩٤٠ م، والكندى والأدب ١٩٤٢ م، وأساليب التعليم فى الإسلام ١٩٤٧، وأبو حيان التوحيدى سنة ١٩٤٨، ومقام العربية فى اللغات السامية ١٩٦٥. وغير ذلك.

ـ تفوق اللغة العربية الأدبى.. وتأثير الأدب الإسلامى فى الآداب الأوروبية.

«لقد أدى إتقان اللغة العربية، وتناولها بطريقة فنية، بوصفه الشرط الأول لكل إنتاج أدبى ذى قيمة إلى تأكيد تفوق اللغة العربية وتبوئها المكانة الأولى بين اللغات التى تتكلمها الشعوب الإسلامية.

فعلم النحو، وتصنيف المعاجم مدينان بصفة خاصة إلى عبقرية اللغة العربية، والظروف الخاصة التى رافقت تطورها فى الجاهلية والإسلام. صحيح أن التراث الإسلامى العلمى قد نسج كثيراً من الأساطير حول التاريخ القديم لدراسة هذين العلمين منهجياً، ولكن أغلب الظن أن انتماء اللغويين المبدعين الكبار إلى أصول غير عربية ليس معناه أن علمى النحو والمعاجم العربيين قد تطورا بشكل أساسى بتأثير الاحتكاك باللغات الأخرى، وإنما تشاهد التطور من الظروف القائمة فى الوضع اللغوى للعربية نفسها.. أما التأثيرات الأجنبية فيبدو أنها كانت ذات تأثير منشط فى الدرجة الأولى[١].

(١) روزنتال: «الأدب» بحث منشور بكتاب (تراث الإسلام) ـ بإشراف «شاخت» و «بوزورث» القسم الثانى.

٢١ ـ نيكلسون (رينولد ألين) Nicholson, R. A.
المستشرق الإنجليزى «نيكلسون» (رينولد ألين)
١٨٦٨ ـ ١٩٤٥ م

خريج جامعة كمبردج ـ والمتخصص فى الدراسات الشرقية.

أستاذ الدراسات الفارسية فى الكلية الجامعية بلندن ١٩٠١ م، وأستاذ كرسى العربية ١٩٢٦ ـ ١٩٣٣ م وعضو العديد من المجامع العلمية، وصاحب الدراسات والتحقيقات والترجمات فى الشعر الفارسى والفلسفة الفارسية والتصوف والفلسفة الإسلامية.. إلخ

«إنه مما لا شائبة فيه أن ابن العربى (٥٦٠ ـ ٦٤٣ هـ) قد أثر على بعض الباحثين المسيحيين فى القرون الوسطى. كما أشار البروفسور «آسين بالاسيوس» مؤخراً أن كثيراً من أوصافه وتعريفاته بجهنم والفردوس والرؤيا المباركة أوردها «دانتى» بالدقة والمطابقة نفسها، بحيث يصعب القول أنها جاءت عفواً. فرقعة جهنم والسماء النجومية، وحلقات الورْد الصوفية، وأجواق الملائكة تحيط عصر النور الإلهى وفيضه، والدوائر الثلاث التى ترمز إلى الأقانيم الثلاثة، كل ذلك وصفه «دانتى» كما وصفه «ابن العربى» بالضبط.

«إن عقائد المسلمين الدينية، مثل المعراج «صعود النبى ﷺ إلى السماء»، والشروح الفلسفية الدينية لمذهب ما بعد الحياة المستمدة من التراث الإسلام العام ومن كتاب المسلمين (كالفارابى) (٢٦٠ ـ ٣٣٩ هـ) وابن سينا (٣٧٠ ـ ٤٢٨ هـ) والغزالى (٤٥٠ ـ ٥٠٥ هـ) و (ابن العربى)، لا بد وأنها كانت قد جمعت فى المذخر العام للثقافة العلمية التى تيسرت لأنبغ العلوم الأوروبية فى القرن الثالث عشر..»[١].

(١) نيكلسون: «التصوف» ـ بحث منشور بكتاب (تراث الإسلام) ـ بإشراف أرنولد.

٢٢ ـ أتنجهاوزن (ريتشارد) Ettinghausen, R.
«أتنجهاوزن» (ريتشارد)

المستشرق الألمانى من مواليد ١٩٠٦، تخرج من جامعات ميونخ وكمبردج، وفرانكفورت..

من آثاره الفكرية: دراسات عن الفن الإسلامى، والأيقونات الإسلامية ١٩٥٠ م، والرسم عند الفاطميين ١٩٤٢ م ـ والكعبة ١٩٣٣ م.

والقرآن فى العهد السلجوقى ١٩٣٥ م، البرونز الإسلامى ١٩٤٣، والغزالى سنة ١٩٤٣، والوحدة فى الفن الإسلامى ١٩٥٥ م.

شغل مناصب مساعد الدائرة الإسلامية فى المتحف الوطنى ببرلين ١٩٣١ م، ـ ١٩٣٣ م، مساعد نشر دراسات الفن الفارسى ١٩٣٣ ـ ١٩٣٤ م، مساعد أستاذ للفن الإسلامى بجامعة ميتشجان ١٩٣٨ ـ ١٩٤٤.، محرر لمجلة الفن الإسلامى ١٩٣٨ ـ ١٩٥١، ومجلة الفن الشرقى ١٩٥١ م وغير ذلك.

الفن الإسلامى:

«إننا نجد اليوم أن مفهوم الفن الإسلامى نفسه موضع تساؤل جاد فى بعض الأحيان، ويكون هذا التساؤل فى العادة مضمراً أو صريحاً.. وقد نتج هذا الاتجاه إلى التخصيص أيضاً من ظهور جيل جديد من العلماء فى بلاد الإسلام المختلفة اليوم، يبحثون باهتمام بالغ فى تراثهم الفنى الإقليمى الخاص. ونشأ معظم هؤلاء فى عصر علمانى الفكر، تغلب عليه الروح القومية، ومن هنا فإن معظمهم ينظرون إلى ماضيهم على اعتبار أنه إنجاز قومى فى المقام الأول، لم تقم فيه العوامل الدينية والثقافية والإسلامية العامة إلا بدور صغير، ولهذا فإن أولئك العلماء ومعهم

عدد من زملائهم الغربيين المتأثرين بهم يتحدثون عن بلدهم وحسب، سواء كان ذلك البلد الهند أو الأندلس أو حتى باكستان.

وما ذلك فهناك أسباب عديدة تبرر الاستمرار فى الأخذ بوجهة النظر التقليدية، إذ على الرغم من الاختلافات التى يمكن وصفها بأنها اختلافات فى «اللهجة المحلية» فإن جميع الفنون فى « «دار الإسلام» تتكلم نفس اللغة أساساً.

ومثال ذلك أن المقارنة بين أعمال الخزف فى مراكز مختلفة شديدة التباعد، مثل إيران وبلاد الشام ومصر، أو منطقة جنوب الفولجا، أو فى منازل القطيع الذهبى فى مناطق القرجيز فى القرن الثامن الهجرى (الرابع عشر الميلادى) تثبت لنا هذه النقطة بغاية الوضوح، بل إنه بعد نصف قرن من البحث الدولى المركز، لا يزال مستحيلاً فى كثير من الأحيان التعرف على الاختلافات الإقليمية، بل إن أحداً لا يستطيع أن يعين البلد الذى كتبت فيه المصاحف الكثيرة المزينة بالزخارف حتى سنة ٣٩٠ هـ سنة ١٠٠٠ م. أو يميز بين قطع الزجاج الصخرى المنحوتة فى مصر والعراق فى القرن الرابع والخامس للهجرة، (العاشر والحادى عشر للميلاد)، أو يميز بين قطع الزجاج المشكلة فى هيئة فصوص فى نفس الفترة، أو يفرق بين المنسوجات الحريرية التى صنعت فى هذين البلدين خلال القرنين السابع والثامن للهجرة (١٣ ـ ١٤ للميلاد) وهناك مثال آخر يؤيد هذه النقطة هو أن عدداً من المخطوطات المزدانة بالتصاوير الفارسية التى تعود إلى النصف الأول من القرن التاسع الهجرى (الخامس عشر الميلادى) تنسب الآن إلى الهند لا لأنها تحمل ملامح هندية واضحة (إذ ليس هناك سوى دلائل قليلة على ذلك بحسب علمنا) بل لأن العلماء لم يستطيعوا حتى الآن أن يحددوا موضعاً معيناً من إيران يمكن أن تكون قد صنعت فيه. وهذا يوضح بصورة مؤكدة وجود صناعة يدوية عريقة استلهمت من مصدر واحد تستعمل فى الإنتاج الفنى أساليب متشابهة يمكننا أن نفترض أنها موجودة فى كل حرفة على وجه التقريب فى العالم الإسلامى.

ونجد فى حالات أخرى، أن نسبة العمل الفنى إلى مكان ما من عالم الإسلام، لا تقوم على أية دلائل من الأسلوب الفنى بل هى ناتجة عن قراءة الكتابات المثبتة على الأعمال الفنية، بالإضافة إلى وسائل التقنية الحديثة التى استعين بها منذ زمن قريب.

وأخيراً فلا بد أن نلاحظ أن الشخصية الإسلامية ظاهرة فى الفنون والصناعات إلى درجة أنها تتجلى حتى بعد أن تكون المنطقة التى صنعت فيها، مثل الأندلس أو صقلية، قد عادت إلى السيطرة المسيحية بحيث تغير الاتجاه الفنى فى المنطقة المذكورة تغييراً كاملاً. وهكذا يتضح لنا أن الإسلام كان له أثر قوى جداً، بل كانت له قوة حيوية انعكست على جميع الفنون التى نشأت فى عالم الإسلام...»(١).



(١) أتنجهاوزن: الفنون الزخرفية والتصوير (تراث الإسلام) ـ بإشراف «شاخت» و «بوزورث» شخصيتها ومجالها ـ دراسة منشورة بالكتاب القسم الثانى.

٢٣ ـ كريستى Christi

صاحب دراسة (الفنون الفرعية الإسلامية وتأثيرها على الفنون الأوربية)

«فى هذه الأصقاع ـ الشرقية ـ كان الفن قد جر عليه النسيان ذيوله حتى الفتح العربى، حيث أخذت صناعة الأوانى الخزفية بالتأثير الإسلامى تبدو للوجود بطراز واتجاه جديدين، ويزخارف ونقوش مستحدثة..

لقد انتعشت وارتقت صناعة الخزف الوطنية أثناء الحكم الإسلامى فى مصر والشرق الأدنى وسلكت سبيل التفنين والإتقان والزخرفة وأصبح المسلمون فيها أساتذة وخبراء، وهى الصنعة التى كانت منذ العصور الغابرة تتأرجح بين الانتعاش والخمول.

ولقد اتخذ الفن الإسلامى، وهو فى سبيل تقدمه من جديد بهذا الفن القديم شكلاً متمايز المعالم، وطابعاً خاصاً واضحاً، حتى ليمكن عده طبيعياً يمر النظر به مر الكرام غير متشكك، كأن كل شىء سواء أوعد للاستعمال الاعتيادى، أو عمل لمناسبة خاصة ـ يكسو الزخارف النابضة بالحياة بإسراف عظيم الدقة وبأشكال تبدو وكأنها طبيعية كالرسوم التى تخلعها الطبيعة على الأحياء أكثر مما تبدو زخارف اصطناعية.. فاطراد النسق الإيقاعى فى الزخرف هو للعين الشرقية ضرورة إيناسية صرفة كضرورة اللحن للأذن الغربية.

إن الأشكال الزخرفية يجب أن توضع فى صف أعلى الفنون الصغيرة التى تفتقت عنها العبقرية الإسلامية.. وثم مظهر آخر من مظاهر الزخرف الإسلامى، وهو استعمال الخطوط العربية..»[١].

---

(١) كريستى: الفنون الفرعية الإسلامية وتأثيرها على الفنون الأوربية، بحث منشور بكتاب (تراث الإسلام) ـ بإشراف «أرنولد».

٢٤ ـ توماس أرنولد Arnold, Sir Thomas

الفن الإسلامى وتأثيراته فى الغرب:

«فى خلال الحروب الصليبية، حصل تماس أكثر من ذلك مع مسلمى الشرق، مما أدى إلى تسهيل استيراد الحاجات ذات الطابع الزخرفى الإسلامى المتمايز، وفى بلاد مركز الارتباط التجارى مع الشرق «كجنوا»، و «بيزا» و «البندقية» دخل هذا النموذج فى التصوير، واستتبع ذلك أن ظهر الاهتمام بالعالم الشرقى، ذلك الاهتمام الذى اشتد كثيراً بعاملى الفضول والافتتان بما خالف المألوف، وبدا ذلك فى أول إنتاج لمدرسة رسم فى مدينة «سيينا» وأصبح ثابتاً مستقراً فى الفن التوسكانى.

أخذت الرءوس المعتمة بالعمائم والسحنات الشرقية، تبدو فى صور إيطالية، قبل النصف الثانى من القرن الرابع عشر. هذه الشخوص الأجنبية كانت تحتل مكانة ثانوية فى رسم المنظر المقدس، ولم يلمس وجود التأثير الشرقى بصورة خاصة إلا فى التوابع لا الأصول، كمحاكاة الفارس من السجاد وغيره، وإكساء الأشخاص فى الصورة، حتى الرئيسيين منهم، ثياباً شرقية، واقتباس الحيوانات الأجنبية كالفهود والقردة والببغاوات، كذلك فى تفاصيل المناظر الطبيعية أيضاً فمن الممكن ملاحظة دقائق صغيرة فى الأشجار وأوراق النباتات تبدو تقليداً محكماً للأنماط الشرقية.

والاستعمال الزخرفى للأحرف العربية ظهر فى لوحات إيطالية قبل عصر «غيوتو» (١٢٦٦ ـ ١٣٣٦ م) مثال ذلك الكشف اليمنى لصورة المسيح فى قيامة لعازر، بكنيسة «أرينا..»[١].

---

(١) أرنولد: الفن الإسلامى وأثره على التصوير فى أوربا، دراسة منشورة بكتاب (تراث الإسلام) بإشراف «أرنولد».

٢٥ ـ فارمر (هنرى) Farmer, H. G.
١٨٨٢ ـ ١٩٦٢ م

«كان أكثرية النظريين العرب فى فن الموسيقى من نوابغ (الرابوع) ومن خبرة الطبيعيين والرياضيين.

وإن نظرية الموسيقى، والقواعد الطبيعية للصوت، التى جاءت بها الرسائل اليونانية، حملت جمهرة من أولئك النظريين على إجراء تجارب خاصة بأنفسهم، وهذه ناحية من أروع نواحى مجهوداتهم. ولقد قرأنا أكثر من مرة قولهم إنهم وضعوا النظرية الفلانية والفلانية فى حيز التطبيق والعمل فوجدوها خاطئة، إلى غير ذلك. وإن نقدات «صفى الدين بن عبد المؤمن» وتعاريف «الفارابى» و «ابن سينا» أظهرت لنا طباع هؤلاء الرواد الباحثين الذين لم يخروا على ركبهم ركعاً متقبلين الآراء التى جاء بها سلفهم على علاتها مهما كانت أسماء أولئك الأسلاف شهيرة إن لم تكن آراؤهم تلك صحيحة.

إن كلا من «الفارابى» و «ابن سينا» قد زادا على ما جاء به الإغريق، فكما أصلح الفلكيون العرب أخطاء «بطليموس» وغيره، كذلك حسّنوا ما خلفه أهم أساتذتهم الإغريق من تراث موسيقى.

فمقدمة «الفارابى» لكتابه (الكبير فى الموسيقى) تضاهى فى الواقع، إن لم تزد على كل ما ورد من المصادر اليونانية، ومما لا شك فيه أن العرب حققوا بعض

التقدم فى نظرية المبادئ الطبيعية للصوت. وعلى الأخص فى قواعد انتشاره، ومما لا شك فيه أن الستار سيزاح عن كثير من معميات المصطلحات والعبارات اليونانية العلمية التى استغلقت على الأفهام، وأضحت مجالاً للأخذ والرد بين كتاب اليونان وذلك بعد نشر آثار النظر بين العرب بإتقان وتهذيب..»[١].



(١) فارمر: الموسيقى، دراسة منشورة بكتاب (تراث الإسلام) ـ بإشراف أرنولد.

٢٦ ـ جرابار (أوليج) Grabar, O.

المستشرق الروسى من مواليد (١٨٩٦ م) تخرج فى جامعتى بطرسبورج واستراسبورج.. وعين أمينا مساعداً بمتحف صوفيا سنة ١٩٢٠ م، وأستاذاً للآثار فى معهد فرنسا عام ١٩٤٦ م وغير ذلك ومن منشوراته: الرسم الدينى فى بلغاريا ١٩٢٨ م، وأبحاث عن الأثر الشرقى فى الفن البلقانى ١٩٢٨ م، وصليبيو أوربا الشرقية والفن عام ١٩٣٠ م.

وأفلوطين وأصول فن الجمال سنة ١٩٤٥ م... إلخ

«لقد حقق المسلمون، فى القرنين الأول والثانى للهجرة (السابع والثامن للميلاد) إنجازات رائعة، وبذلك تمكنوا ـ خلال هذين القرنين ـ من أن ينشئوا من العدم ـ تقريباً حضارة إسلامية..».

«لقد كان الإسلام، فى نشأته الأولى، عقيدة صافية مجردة من الماديات، قامت دون حاجة إلى رجال دين، أو مبنى ذى هيئة خاصة أو رمز معين..».

«إن فخامة عمارة القصور الإسلامية، كما هو الحال بالنسبة للنسيج الذى صنعه المسلمون، والمشغولات الفنية التى أبدعوها، كان لها جميعاً أثر فنى واسع جاوز حدود عالم الإسلام، ويمكن أن نعد آثارها نماذج كبرى للفن فى العصور الوسطى بوجه عام..»[١].

---

(١) جرابار (أوليج): «العمارة ـ بحث منشور بكتاب (تراث الإسلام) ـ بإشراف «شاخت» و «بوزورث»، القسم الثانى.

٢٧ ـ كرمرز Kramaers, J. H.

المستشرق الهولندى «كرمرز»

من ١٨٩١ ـ ١٩٥١ م. بدأ عمله ترجماناً للسفارة الهولندية بالآستانة سنة ١٩١٥ ـ ١٩٢٢.

وشغل كرسي أستاذ اللغة التركية والفارسية فى جامعة لندن

ثم كرسى اللغة العربية بنفس الجامعة ١٩٢٩ م.

من آثاره الفكرية: فن التاريخ عند الأتراك العثمانيين ١٩٢٢ م.، والأسماء الإسلامية المركبة من كلمة «دين» عام ١٩٢٧، ودراسات عن رباعيات الخيام عام ١٩٢٩ م، وأطلس الإسلام ١٩٣١ م واللغات السامية عام ١٩٤٩ م، وحق الإسلام والتشريع الإسلامى عام ١٩٣٧ م، ودراسات شرقية.

«إن الفتح الإسلامى لم يمنع من زيارة القبر المقدس. أو يحل بين الأوربيين المسيحيين وبين إنجاز هذه الفريضة الدينية».

«ولقد بدأت دراسة الجغرافية (كعلم) عند الإسلام بتأثير الإغريق وعلى هداهم، وكان نتيجة من النتائج التى تمخض بها النشاط العظيم فى ترجمة المؤلفات الإغريقية فى مفتتح القرن التاسع الميلادى، وعلى الأخص فى غضون حكم الخليفة المأمون، ذلك العمل الذى جعل من العرب وارثى الحضارة اليونانية الروحيين، فصاروا على معرفة تامة بأبحاث بطليموس، ونظريته الجغرافية القائلة بأن ساحل أفريقيا الشرقى يمتد إلى أقصى الشرق. وهذا ما كان يتفق تمام الاتفاق ونظرية البحرين المنفصلين».

«فى القرآن إشارة جغرافية فى آيتين منه:

﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ (١٩) بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لاَّ يَبْغِيَانِ﴾[١].

﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا﴾[٢].

عن كيفية فصل الله البحرين بحاجز لا يمكن اقتحامه، وتناول المفسرون هذه الآيات باعتبارها إشارة إلى البحر المتوسط والمحيط الهندى، بما فيه البحر الأحمر، التفسير الذى ربما اقترب من الصحة..»[٣].



(١) الرحمن: ١٩ ـ ٢٠.		(٢) الفرقان: ٥٣.

(٣) كرموز: الجغرافيا والتجارة ـ دراسة منشورة بكتاب (تراث الإسلام)، بإشراف أرنولد.

٢٨ ـ باركر Sir Ernest Parker
المستشرق الإنجليزى «باركر» (سير أرنست)

شغل كرسى الأستاذية للعلوم السياسية فى كمبردج سنة ١٩٢٨ ـ ١٩٣٩ م وأستاذاً لنفس العام بجامعة كولون ١٩٢٧ ـ ١٩٢٨ م.

ـ من آثاره الفكرية:

الفكر السياسى لأفلاطون وأرسطو ١٩٠٦ م.، ونظرات فى الحكم ١٩٤٢ م، ومبادئ النظرية الاجتماعية والسياسية عام ١٩٥١ م.، والتراث الأوربى والحروب الصليبية.. إلخ.

«لقد كان عرب إسبانيا بالأحرى، لا عرب المشرق هم الذين أهدوا إلى الغرب اللاتينى حياتهم النفسية فى ميادين العلم والفلسفة. على أن الشىء الذى لا يمكن نكرانه بحال، أن بعض المعلومات الرياضية انتقلت من الشرق، فأثر عن «أدلارد البائى» (القرن ١٢ م) الذى درس فلك العرب وهندستهم، أنه سافر إلى مصر وآسيا الصغرى، فضلاً عن إسبانيا، فى غضون النصف الأول من القرن الثانى عشر. وأُثر عنه «اليوناردو فيبوناشى (أواخر القرن ١٢) و (أوائل القرن ١٣) أول عالم جبرى بين النصارى المعاصر «لفردريك الثانى» وهو الذى قدم هذا العالم رسالته الجبرية فى الأعداد التربيعية ـ بأنه زار مصر وسوريا كذلك.

ربما كان الفضل فى إنشاء الأرقام العربية والحساب العربى إلى نشاط التجارة ما بين سوريا والمرافئ الإيطالية، وكان الطب كالرياضيات من مفاخر العلوم العربية وأركانه الوطيدة.

على أن موطن المفاخر العلمية العربية ومصدر إشراقها كان إسبانيا أكثر من سوريا. وغاية ما يمكن أن نجيزه فى موضوع تأثير سوريا هو أن تقلدها فضل قيام مدرسة الطب فى مونبالييه بسبب التجارة التى كانت قائمة آنذاك بين فرنسا وساحل سوريا..»(١).



(١) باركر: «الحروب الصليبية» - دراسة منشورة بكتاب (تراث الإسلام) - بإشراف أرنولد.

٢٩ ـ براند تراند (جون) John, Brande Treand

المستشرق الإسبانى «براند تراند» (چون)

١٨٨٧ ـ ١٩٥٨. واحد من رواد تاريخ إسبانيا، شغل كرسى الأستاذية فى جامعة كمبردج:

من آثاره الفكرية: صورة لإسبانيا الحديثة عام ١٩٢١ م، وموسيقى تاريخ إسبانيا عام ١٩٢٥، ولغة إسبانيا وتاريخها عام ١٩٥٣ م، وإسبانيا والبرتغال.. إلخ.

ـ دور الأندلس كمنارة للحضارة الإسلامية فى إخراج أوربا من عصور الجهالات إلى عصرها الحديث.

«إن عرب إسبانيا خلقوا مدينة زاهرة، وأتقنوا تنظيم الحياة الاقتصادية فى الوقت الذى كانت تنوء أغلب أصقاع أوربا تحت نير الشقاء والأغلال، مادية كانت أم روحية. أجل، لقد لعب عرب إسبانيا دوراً خطيراً فى تقدم الفن والفلسفة والشعر حتى ارتفع تأثيرها إلى أعلى قنن الفكر المسيحى فى القرن ١٣ م بظهور «توما الأكوينى»، و «دانتى».

إن قرطبة التى قامت كل حواضر أوربا مدينة لها أثناء القرن العاشر كانت فى الحقيقة محط إعجاب العالم ودهشته، كمدينة فينيسيا فى أعين دول البلقان. وكان السياح القادمون من الشمال يسمعون بما هو أشبه بالخشوع والرهبة عند تلك المدينة التى تحوى سبعين مكتبة، وتسعمائة حمام عمومى. فإن أدركت الحاجة حكام ليون أو النافار أو برشلونة إلى جراح، أو مهندس أو معمارى أو خائط ثياب أو موسيقى فلا يتوجهون بمطالبهم إلا إلى قرطبة..».

«كانت اللاتينية لغة بربرية غليظة الكتابة إذا قيست بالعربية وكل ما كان ميسوراً من أدبياتها فهو تافه قليل الأهمية، لذلك وجدنا أسقفنا فى قرطبة لا يشتط كثيراً فى لوم رعاياه لقلة إيمانهم، بقدر ما يشتط فى تأنيبهم لتفضيلهم الشعر والنثر العربيين على قصص آبائهم الدينية.

كذلك أدخل المسلمون الكاغد[١]، فصارت الكتب العربية تفوق اللاتينية برخص الثمن وسرعة الانتشار..»[٢].



(١) الكاغد: الورق وقد نقله العرب عن الصينيين ونشروه فى العالم كله.

(٢) جون براند تراند «إسبانيا والبرتغال» دراسة منشورة بكتاب (تراث الإسلام) ـ بإشراف أرنولد.

٣٠ ـ لامبتون S. Lampton

شهادة لامبتون تؤكد على: أن الإسلام دين ودولة ومنهاج شامل للحياة وعلى رفضه للكهانة والكهنوت.

«إن الدين ـ فى الإسلام ـ لم يكن منفصلاً عن السياسة، كما أن السياسة لم تكن منفصلة عن الأخلاق..

ولقد تبلورت فى الدولة الإسلامية ـ بالتدريج ـ مجموعة من الأفكار السياسية الإسلامية.

عن إن سلطة الإمام كانت، ببساطة، تفويضاً يهدف إلى تطبيق الشريعة الإسلامية، والدفاع عنها، فقد ورث الرسول ﷺ السلطتين القضائية والتنفيذية فحسب، أما السلطة التشريعية، فلم يكن له منها شىء، بل إن سلطته فى الاجتهاد كانت محدودة، إذ أن هذه السلطة، فيما يبدو، قد آلت إلى الأمة فى مجموعها، بالرغم من أن الإجماع يميل إلى حصرها فى العلماء...»[١].



(١) لامبتون: الفكر السياسى عند المسلمين، دراسة منشورة بكتاب (تراث الإسلام) القسم الثالث، تصنيف: «شاخت» و «بوزورث. ترجمة: د. محمد زهير السمهورى، تعليق وتحقيق: د. شاكر مصطفى. مراجعة: د. فؤاد زكريا. طبعة الكويت سنة ١٩٧٨.

رابعاً: اعترافات غربية
محمد النبى والحاكم

١ ـ «يجب أن يسمى منقذ الإنسانية. وإنى أعتقد لو أن شخصاً مثله تولى الحكم المطلق للعالم المعاصر، لنجح فى حل مشاكله بطريقة تجلب له ما هو فى أشد الحاجة إليهما من سلام وسعادة».

چورج برنارد شو(١)

٢ ـ لكن محمداً كان هو الإنسان الوحيد فى التاريخ الذى بلغ أعلى درجات النجاح على المستويين الدينى والدنيوى وبسبب هذا الجمع الذى لا نظير له بين الدين والدنيا، أرى أن محمداً من حقه أن يعتبر أعظم الشخصيات البارزة أثراً فى تاريخ الإنسانية».

مايكل هارت(٢)



(١) كاتب ومفكر أيرلندى. ولد عام ١٨٥٦ وتوفى عام ١٩٥٠ اشتهر بنقده اللاذع للمجتمع البريطانى وخاصة فى عصر الملكة فكتوريا (توجت ملكة عام ١٨٣٧ وتوفيت عام ١٩٠١). وقد بلغت الإمبراطورية البريطانية أوجها فى العصر الفكتورى. كذلك اشتهر برنارد شو بنقده للغرب بوجه عام. وقد حصل على جائزة نوبل فى الأدب عام ١٩٢٥.

(٢) عالم أمريكى معاصر يتمتع بسعة تخصصه فى مجالات علمية متعددة مثل الفلك والرياضيات والفيزياء، كما أنه محام ومؤرخ من الهواة. يعمل فى وكالة أبحاث الفضاء الأمريكية المعروفة اختصاراً باسم: ناسا.

القــرآن

٣ ـ «باعتـراف الجميع، يحتل القـرآن مكانة هامة بين الكتب الدينية العظيمة فى العالم. لقد خلق طورا جديداً فى الفكر الإنسانى، ونوعاً حديثاً من الشخصية الإنسانية. ففى بداية الأمر، حوّل القرآن عدداً من القبائل الصحراوية غير المتجانسة فى شبه الجزيرة العربية إلى أمة من الأبطال».

مرجليوث(١)

٤ ـ إنى أعتقد أن القرآن وغيره من تعبيرات المنظور الإسلامى، ينطوى على ذخيرة هائلة من الحق الإلهى، الذى ما زال يجب علىَّ أنا وغيرى من الغربيين أن نتعلم منه الكثير».

مونتجومرى وات(٢)

٥ ـ «ما إن انقضت مائة عام حتى استطاع هؤلاء المتوحشون المغمورون أن يصبحوا قوة عالمية عظمى».

هربرت فيشر(٣)

---

(١) مستشرق إنجليزى شديد التعصب ضد الإسلام ونبيه. ولد عام ١٨٥٨ وتوفى عام ١٩٤٠ م. كان أستاذا للغة العربية فى جامعة اكسفورد منذ عام ١٨٨٩، وعضواً بعدة مجامع علمية كالمجمع اللغوى الإنجليزى والمجمع العلمى العربى بدمشق والجمعية الشرقية الألمانية كما كان مرجريوث من محررى «دائرة المعارف الإسلامية». له مؤلفات عديدة عن الإسلام، والأدب العربى وتاريخه ومنها كتابه: أصول الشعر العربى، وهو المرجع الذى اعتمد عليه طه حسين فى كتابه «الشعر الجاهلى» الذى صدر عام ١٩٢٦.

(٢) رئيس قسم الدراسات العربية فى جامعة أدنبرة، له عدة كتب ودراسات منها: من تاريخ الجزيرة العربية (١٩٢٧) وعوامل انتشار الإسلام (١٩٥٥) ومحمد فى مكة (١٩٥٨).

(٣) مؤرخ وسياسى إنجليزى. عمل بعد الحرب العالمية الأولى مندوباً مفوضاً لدى عصبة الأمم. وفى عام ١٩٢٦ عاد إلى جامعة اكسفورد عميدا بإحدى كلياتها (Newcollege) وبقى فى هذا المنصب حتى وفاته عام ١٩٤٠.

٦ ـ لا يزال القرآن، فى واقع الأمر، يشتهر إلى اليوم بأنه الكتاب الأكثر تميزاً وسموا، الذى كتب بهذه اللغة العربية».

فولتير[١]

٧ ـ «احتفظ القرآن بمنزلته الثابتة، كنقطة البداية الرئيسية لفهم الدين، وصار يعلن دائماً عن عقيدة توحيد الله فى سمو وجلال وصفاء دائم، مع اقتناع يقينى متميز من الصعب أن يوجد ما يفوقه خارج نطاق الإسلام».

إدوارد مونتيه[٢]

صفاء العقيدة الإسلامية وقوتها

٨ ـ «إن الانطباع النقى الكامل الذى حفره (محمد) فى الأذهان فى مكة والمدينة، لا يزال مصوناً إلى اليوم بعد انقضاء اثنى عشر قرناً».

إدوارد جيبون[٣]

٩ ـ «إن عقيدة محمد خالية من الشك أو الغموض، والقرآن شهادة مجيدة على وحدانية الله. هذه هى كلمات السورة رقم ١١٢ تقول: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ① اللَّهُ الصَّمَدُ ② لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ③ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾. إننى أقول أن هذه الكلمات أخضعت له الشرق أكثر مما فعله سيفه».

فولتير

---

(١) هو فرانسوا مارى أرويه المعروف باسم فولتير كاتب فرنسى شهير وقطب من أقطاب عصر التنوير ولد عام ١٦٩٤ وتوفى عام ١٧٧٨ هاجم بعنف المؤسسات السياسية والاجتماعية فى عصره وفضح مفاسدها كما حمل بشدة على التعصب الدينى. أعماله كثيرة ومتنوعة فى مقالات نقدية وموضوعات فلسفية وأعمال مسرحية وغير ذلك.

(٢) مستشرق من أصل سويسرى ولد عام ١٨٥٦ ودرس بجامعات جنيف وبرلين وهايدلبرج حصل على الدكتوراه فى اللاهوت فى جامعة باريس عام ١٨٨٣ عين أستاذ العبرية والأرامية والعهد القديم فى جامعة جنيف ثم أضيف إليه العربية وتاريخ الإسلام. رأس جامعة جنيف (١٩١٠ - ١٩١٢). توفى عام ١٩٢٧.

(٣) ولد ادوارد فى إنجلترا عام ١٧٣٧. كان عضواً فى البرلمان. وقد بدأ حياته الأدبية عام ١٧٦١، وظهر الجزء الأول من مصنفه الضخم «انحدار الإمبراطورية الرومانية وسقوطها»، عام ١٧٧٦ استكمل بقية الأجزاء حتى ظهر آخرها عام ١٧٨٨. وقد توفى فى لندن عام ١٧٩٤.

الإسلام دين وتقدم وحضارة عالمية

١٠ ـ «لقد كان الإسلام تأسيساً لدين جديد، وإمبراطورية جديدة، وحضارة جديدة. لقد قامت حضارة أصيلة مستوحاة من العقيدة الإسلامية، ومتمتعة بحماية الدولة الإسلامية، ومدعمة بثراء اللغة العربية، حضارة تنمو وتتسع وتعيش طويلاً وقد صنعها الرجال والنساء من مختلف الأعراق والديانات، وقد اصطبغ كل شيء فيها بالعروبة والمبادئ والقيم الإسلامية».

برنارد لويس(١)

١١ ـ «إن الإسلام فى جوهره دين عقلانى وفق أوسع المعانى لهذا المصطلح».

إدوارد مونتيه

١٢ ـ «لقد أظهرت الرسالة القرآنية وتعاليم النبى أنها تقدمية بشكل جوهرى.

وتفسر هذه الخصائص المميزة انتشار الإسلام السريع بصروة عجيبة خلال القرون الأولى من تاريخه. إن الإسلام حضارة أعطت مفهوماً خاصاً للفرد، وحددت بدقة مكانه فى المجتمع، وقدمت عدداً من الحقائق الأولية التى تحكم العلاقات بين الشعوب.

من المفيد أن نسجل إلى أى مدى يؤثر مفهوم معين للعالم والإيمان بمصير عالمى للإنسانية، فى طبع السلوك اليومى لملايين الأنفس من البشر. ولا يمكن أى طريقة مثلى (أيديولوجية) معاصرة أن تدعى منافسة الإسلام فى هذا الصدد.

---

(١) ولد عام ١٩١٦ وحصل على الدكتوراه من جامعة لندن عام ١٩٣٩. وهو أستاذ دراسات الشرق الأدنى بجامعة برنستون وأستاذ زائر فى كاليفورنيا وكولومبيا وأنديانا وعضو شرف فى الجمعية التاريخية التركية وعضو الجمعية الفلسفية الأمريكية والمعهد الملكى للشئون الدولية وعدد آخر من الجمعيات العلمية العالمية.

(٢) أستاذ جامعى سويسرى عاش لمدة أكثر من اثنى عشر عاما فى بلاد عربية وإسلامية خاصة كممثل للجنة الدولية للصليب الأحمر فى: الجزائر واليمن والمملكة العربية السعودية =

وهكذا، نعثر على حجر الزاوية فى النظام الأخلاقى والشرعى الإسلامى، وهو العدل. إن الإسلام نظام الحياة».

مارسيل بوازار(١)

١٣ ـ «لقد وجدت الدول المسيحية نفسها تواجه التحدى من حضارة شرقية جديدة تأسست دين شرقى جديد.

وهكذا انتشرت الحضارة الإسلامية، وساهم فيها (الكثيرون) ليقدموا جميعاً العصر الرائع للآداب والفنون الإسلامية، التى مكنت شعوب الإسلام من السيادة الفكرية للعالم طيلة أربعة قرون، بينما كان العقل الأوربى غارقاً فى قيعان الجهل والكسل».

هربرت فيشر

الفتوحات الإسلامية

١٤ ـ «جاء تغيير الحكام لمسيحيى الشرق بالراحة والسرور، فها هو ميخائيل السورى بطريرك أنطاكية يكتب: إن إله الانتقام قد أنهض أولاد إسماعيل من الجنوب، ليخلصنا من أيدى الرومان».

ستيفن رنسيمان(١)

١٥ ـ «ما كان الفاتحون فى حاجة إلى بذل مجهود كبير لكسب مهتدين إلى الإسلام. فعلى العكس من ذلك، كان نجاحهم فى الحكم متوقفاً إلى حد كبير على سياستهم الحكيمة فى التسامح التى مارسوها تجاه اليهود والمسيحيين».

هربرت فيشر

= وسوريا والأردن ومصر وبصفته مديراً مشاركاً فى برامج التثقيف الدبلوماسى بالمعهد الجامعى للدراسات الدولية العليا بجنيف وكمندوب مفوض أوربى للجمعية الثقافية الدولية المعرفة باسم «الإسلام والغرب» فإنه قام بنشر عدة بحوث حول بعض أوجه الحضارة الإسلامية، وحول عدد من موضوعات السياسة الثقافية فى بلجيكا والنمسا وباكستان والمغرب وغيرها من البلدان.

(١) ولد ستيفن رنسيمان فى عام ١٩٠٣. وقد تقلد عدة مناصب جامعية فى بريطانيا وأمريكا وكان رئيسا للرابطة الإنجليزية الأمريكية، ورئيسا للمعهد البريطانى للآثار فى أنقرة كما ينتمى لعدة جمعيات علمية.

١٦ ـ «إن عمليات الدخول فى الإسلام قد حدثت بوجه عام بينما كانت القوة العسكرية والثقافية للإمبراطورية الإسلامية قد ضعفت».

مارسيل بوازار

الغرب عاش على تشويه الإسلام

١٧ ـ «لقد ألصقنا بالقرآن ما لا نهاية له من السفاهات التى لم تكن به على الإطلاق.

إن مؤلفينا لم يجدوا صعوبة تذكر فى جعل نسائنا تقف فى صفهم.

لقد أقنعوهن بأن محمدًا لم يعتبرهن ضمن الحيوانات الذكية، وأنهن جميعاً إماء وفق شريعة القرآن.. ومن الواضح أن كل هذا كذب وبطلان اعتقدوا فيه بكل قوة.

أيها الجهلة الأغبياء الذين خدعهم جهلة آخرون، إذا أقنعوكم بأن الديانة المحمدية ديانة شهوانية ولذات جسدية، بينما هى ليست شيئاً من ذلك».

ڤولتير

١٨ ـ «إن الغرب المسيحى أو الذى فقد مسيحيته، لم يعرف الإسلام أبداً.

فمنذ أن ظهر على المسرح العالمى، والمسيحيون لا يكفون عن اختلاق الأكاذيب حوله وتحقيره من أجل إيجاد المبررات اللازمة لقتاله. لقد لحقت بالإسلام صور مشوهة كثيرة لا تزال آثارها منطبعة بعمق فى العقلية الأوروبية إلى اليوم.

ويجب الإعتراف بأن الدراسات الاستشراقية فى الغرب لم تكن مستوحاة أبداً من روح النزاهة العلمية الخالصة. ولا يمكن إنكار أن بعض المتخصصين فى الدراسات الإسلامية والعربية قد قاموا بأبحاثهم بهدف واضح هو تحقير الإسلام والمسلمين».

روجيه دى باسكيه(١)

---

(١) كاتب وصحفى سويسرى. درس الإسلام واعتنقه تحت اسم: سيدى عبد الكريم، وكذلك أسلمت زوجته الهولندية. كتب كتابه من أجل تعريف الإسلام تحت اسم: اكتشاف الإسلام.

الإسلام والسياسة

١٩ ـ «لقد اشتمل الدين الجديد، منذ البداية على قدر كبير من السياسة».

هربرت فيشر

٢٠ ـ «إن الإسلام مند بدايته وهو مرتبط بممارسة السلطة السياسية. والذى حدث أن جماعة المسلمين بالمدينة كونت أيضاً دولة، ثم كان على الأحداث التى تعقب ذلك أن تجعل منها نواة الإمبراطورية إن الفصل بين السلطتين (الدينية والزمنية) غير موجود على الإطلاق فى الإسلام. فى روما كان قيصر هو الله. وفى المسيحية تقاسم قيصر والله المسيحية. أما فى الإسلام فالله هو قيصر[1]»!!

برنارد لويس

٢١ ـ «فى الإسلام، لا يمكن فهم السياسة بعيداً عن الدين.. إن المعاهدة التى عقدها محمد لدى وصوله إلى المدينة.. أمكن اعتبارها «أول دستور مكتوب فى العالم» فالقسم الأول منها يرسخ الإخاء الإسلامى وينشىء كياناً سياسيّاً واضحاً، يضم قبائل المدينة العربية الاثنتى عشرة ومهاجرى مكة. بينما ينشىء القسم الثانى «تحالفاً عسكرياً» مع قبائلها اليهودية العشر. أما أحكام «الدستور» الرئيسية التى وحدت بين سكان غير متجانسين، وخلقت جنين الدولة الإسلامية فكانت كالآتى:

تبقى الجماعات القبلية على حالها لكنها تتضامن من أجل إنشاء تنظيم سياسى موحد».

مارسيل بوازار

الحكومة الإسلامية

٢٢ ـ «بالنسبة للمسلم، فإن الله هو قيصر[2]. ولن يعترف بأى مصدر آخر للسلطة سوى لله.

(١، ٢) يقصد أن الحُكم لله تعالى.

وإذا كانت المهمة الروحية قد انتهت (بوفاة النبى) فلا تزال هناك مهمة دينية أخرى يجب تحقيقها، ألا وهى الحفاظ على الشريعة الإلهية والدفاع عنها... ولقد تطلب إنجاز مثل هذا العمل ممارسة قوة سياسية، أو باختصار ممارسة سيادة داخل دولة».

برنارد لويس

٢٣ ـ «يمثل محمد الحكومة المركزية التى تتضح بامتيازين أساسيين هما: صلاحية إعلان الحرب أو إقرار السلم، والاحتفاظ بحق إصدار الأحكام القضائية النهائية. لم يكن محمد حاكماً مستبداً (أوتوقراطياً)، لأن الله كان هو المصدر الوحيد للسلطة، سواء بالنسبة لرئيس الجماعة أو لأعضائها. إن السيادة حسب المصطلح الغربى تعنى سلطة وحيدة لا يعلى عليها. وفى العقيدة الإسلامية، فإن الله هو المصدر الأسمى لهذه السيادة، والتعبير عن إرادته ماثل فى القرآن. وليس للنبى وخلفائه والرؤساء السياسيين أى سلطة إلا بالتفويض. ولما كانت الشريعة مفروضة على الجميع، فإن كل مؤمن هو خليفة الله فى الأرض، وأولوا الأمر فى المجالين الروحى والزمنى (الدينى والدنيوى) لا يملكون سلطة مطلقة، وإنما هم فى خدمة الجماعة لتنفيذ أحكام الشريعة. إن هذه الدولة، مهما يكن شأنها، لا يمكن أن تمثل حكومة دينية (ثيوقراطية)، كما زعموا ذلك فى أكثر الأحيان بغير حق فى الغرب. إن المصطلح ذاته لحكومة دينية، فيه مفارقة. فالخليفة ليس رئيساً دينيّاً. وفوق هذا لم يحدث أبداً أن حكمت المجتمع الإسلامى طبقة كهنوتية لسبب واضح هو أن الكنيسة مؤسسة غريبة عن الإسلام. لقد بينت التجربة التاريخية أن العالم الإسلامى عرف من الطغيان والاضطهاد والظلم أقل قليلاً مما عرفه نظم الحكم الأخرى.

فالحكومة الإسلامية ليست حكومة «دينية» حيث إن صلاحيتها الوحيدة هى تطبيق أحكام الشريعة الموحى بها».

مارسيل بوازار

المستقبل للإسلام

٢٤ ـ «لقد تنبأت بأن دين محمد سيكون مقبولاً فى أوربا الغد، كما أنه بدأ يكون مقبولاً فى أوربا اليوم».

چورچ برنارد شو

٢٥ ـ «من المؤكد أن الإسلام منافس قوى فى مجال إعطاء النظام الأساسى للدين الوحيد الذى يسود فى المستقبل».

مونتجومرى وات

٢٦ ـ «من المسلم به حالياً وبوجه عام، أنه بينما تتراجع الديانات الكبرى أو على الأقل تتخذ موقف الدفاع، فإن الإسلام ذاته فى تقدم».

روجيه دى باسكيه

الإسلام هو دين المستقبل

٢٧ ـ «إنه الدين الوحيد الذى يبدو لى أنه يمتلك القدرة على استيعاب تغير أطوار الحياة بما يجعله محل إعجاب لكل العصور».

چورچ برنارد شو

٢٨ ـ «إذا قدر أن يحل التعاون يوماً ما محل التعارض القائم بين المجتمعات الكبيرة فى الشرق والغرب، فإن وساطة الإسلام تصبح شرطاً لا غنى عنه، إذ يمكن بين يديه، إلى حد كبير، حل المشكلة التى تواجه أوربا فى علاقتها بالشرق».

هاملتون جب(١)

٢٩ ـ «إن الإسلام بأبعاده الأفقية والرأسية، قادر على عمل توافق قوى بين الإنسان والكون المحيط به وكذلك بين الإنسان والإله خالق كل شىء ومبدعه. إن

(١) يعتبر واحداً من أكبر المستشرقين الإنجليز فى العصر الحديث. عضو المجمع العلمى العربى فى دمشق ومجمع اللغة العربية فى القاهرة وهو أستاذ الدراسات الإسلامية والعربية فى جامعة هارفارد الأمريكية ومن كبار محررى وناشرى «دائرة المعارف الإسلامية».

الإسلام عالمى بكل معنى الكلمة. فمهما حدث فى العالم الغربى المزدهر من فساد الأخلاق، أو حدث للشعوب التى تعانى من فقر المستلزمات المادية للحياة مثل تلك التى يطلق عليها (العالم الثالث)، فإن الإسلام يقدم الحل الأكثر وضوحاً وجوهرية وحتمية، من أجل مواجهة التحدى الحديث. وبالنسبة لهؤلاء الذين يعتنقون الإسلام ويطبقونه عملياً، فإنه يقدم لهم العلاج الأكثر فعالية وشفاء من شرور هذا العصر».

روچيه دى باسكيه

٣٠ ـ «لقد عرف الإسلام بمحافظته على العقيدة، كيف يقاوم تحطيم جماعته السياسية. ولم يكن الإسلام منذ ظهوره وتحت إدارة النبى إلا ثورياً معتدلاً على المستوى الاجتماعى.

فهناك تكليف مفروض بالتكامل والتضامن على جميع أعضاء الجماعة المسلمة، من أجل تأمين الرخاء والكرامة لجميع الأفراد فى حدود الإمكانات المتاحة. ويمثل هذا مظهراً متمماً لطابع الجماعة المسلمة وشيئاً تتميز به مبادئ الأخلاق التى طبعها القرآن. ولقد أقام الإسلام نظاماً اقتصادياً مرتكزاً على الأخلاق، وذلك بتنظيم توزيع الدخل عن طريق نظام ضريبى مقدس هو الزكاة، وبإدخال مفهوم جديد للملكية الخاصة التى ليست فى كلمة موجزة سوى حق انتفاع بالنعم التى أفاءها الله على الإنسان. وبذلك حقق الإسلام، من وجهة نظر خاصة، الجمع بين قيمتى رأس المال والعمل».

مارسيل بوازار



خامساً: كلمات حكيمة ومنصفة

١ ـ «إذا كان هذا هو الإسلام، أفلا نكون جميعاً مسلمين؟».

«الأديب الألمانى غوته»

٢ ـ «إن تعاليم الإسلام هى تعاليم عملية تقدم نموذجاً لبناء الأمم، كما يمنح الإسلام للضالين إحساساً بالأمل والاتجاه. ويمكن الفرد المسلم من فهم واجباته نحو الله ونحو بنى الإنسان بصورة أفضل».

«الدكتور: دوغلاس أرشر: عبد الله أرشر مدير المعهد التربوى بجامايكا»

٣ ـ «أنا اليوم ابن الإسلام وإنى سعيد أكثر مما كنت فى أى يوم من أيام حياتى، وفى مدنيتى الغربية ومع ثيابى الغربية. سعيد كمؤمن بدين الإسلام الخالد الذى هو أكمل دين سماوى ارتضاه الله للبشرية».

«ركس انجرام ـ مصور سينمائى فى هوليود»

٤ ـ «إن قوة الإسلام فى ذاته، فى خصائصه الروحية وشموله. وهذا هو سر غلبته فى النهاية».

«باتيل ـ هندى مسلم يعمل رئيساً لقسم اللغة الإنجليزية
والتاريخ فى دار السلام»

٥ ـ «إن القضية تتمثل فى استرجاع فكرة صلاح الإسلام لكل حين من خلال تجلياته الأبدية والماضية والمستقبلية».

«مارسيل بوازار»

٦ ـ «لا يكاد يوجد شىء من جهود المسلمين فى ميدان العلوم لم يتأثر به الغرب بطريق أو بآخر».

«بلنسر»

٧ ـ «لم يشرع الجهاد لهداية الناس بالسيف، ففى القرآن: ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ (البقرة: ٢٥٦)، والقرآن يأمر المسلمين بالاعتدال وبأن لا يبدأوا بالاعتداء».

«إميل درمنجم»

٨ ـ «قرأت التاريخ وكان رأيى بعد ذلك أن معاملة المسلمين للمسيحيين تدل على ترفع فى المعاشرة عن الغلظة وعلى حسن مسايرة ولطف مجاملة وهو إحساس لم يشاهد فى غير المسلمين آنذاك».

«هنرى دى كاشترى»

٩ ـ «لقد تمت الفتوحات الإسلامية دون أن تزعزع اقتصاديات البلاد (المفتوحة)، وعلى أثرها أقام الفاتحون تواً سلطة مركزية منظمة».

«هاملتون جب»

١٠ ـ «إن أشياء كثيرة لا يزال على الغرب أن يتعلمها من الحضارة الإسلامية منها نظرة العرب المتسامحة وعدم تمييزهم بفروق الدين والعرق واللون».

«لويس يونغ»

١١ ـ «كنت فى كل الأحيان ولا زلت أتناول دين محمد فأقدره تقديراً عظيماً وذلك لروحيته العجيبة، وحيويته العظمى.

إنه الدين الوحيد الذى يملك القدرة على هداية الغير، وملاءمة الأزمنة، وهو حرى لأن يكون دين الجميع فى كل دور وطور، ويجب على العالم دون شك أن يقدره وأن يعلق أهمية عظمى على ذلك».

«الفيلسوف الإنجليزى برنارد شو»

١٢ ـ «إن الإسـلام دين ودولة وهى سـر عظمـتـه وقـوته، وسـر انتـشـاره المذهل فى القرنين السابع، وبداية القرن الثامن».

«إن البـعـد الاجتمـاعـى والاقتـصـادى فى هذا الدين نجـده فى صـفـحـات القـرآن الكريم، وفى الآيات التى أنزلها الله لتحكم بين الناس بالعدل».

«لم يكن مـحـمد عليه الصلاة والسـلام مجرد نبى.. وإنما كان رجل دين ودولة.. والإسلام هو الدين الوحيد الذى ظل ينمو ويتوسع، ويكسب أرضاً جديدة، ومؤمنين جدداً فى مـخـتلف مـراحل التاريخ، وهو الدين الوحيد أيضـاً الذى تعرض إلى هذا الهجوم من المؤتمرات والغزوات والطعنات».

«الفيلسوف الفرنسى المسلم «رجاء جارودى»



الفصل الخامس

سماحة الإسلام
ومعاملة غير المسلمين

شهادت غربية منصفه

«كان المثل الأعلى الذى يهدف إلى أخوة المؤمنين كافة فى الإسلام، من العوامل القوية التى جذبت الناس بقوة نحو هذه العقيدة».

«المؤرخ البريطانى توماس آرنولد»

سير توماس آرنولد

«إن الذى دفع المسلمين إلى أن يحملوا رسالة الإسلام معهم إلى شعوب البلاد التى دخلوها، وجعلهم ينشدون لدينهم بحق مكاناً بين ما نسميه أديان الرسالة لهى حماسة من ذلك النوع، من أجل صدق عقيدتهم. وليس موضوع هذا الكتاب: (الدعوة إلى الإسلام)، إلا صورة من تاريخ ظهور هذه الحماسة فى تبليغ الدعوة ودواعى وألوان نشاطها. وأن انتشار مائتى مليون من المسلمين فى الوقت الحاضر[١] لهو الشاهد على ما كان لهذه الحماسة من أثر خلال الثلاثة عشر قرناً التى تلت ظهور الإسلام»[٢].

«يرجع انتشار هذا الدين فى تلك الرقعة الفسيحة من الأرض إلى أسباب شتى: اجتماعية وسياسية ودينية، على أن هنالك عاملاً من أقوى العوامل الفعالة التى أدت إلى هذه النتيجة العظيمة، تلك هى الأعمال المطردة التى قام بها دعاة المسلمين، وقفوا حياتهم على الدعوة إلى الإسلام، متخذين من هدى الرسول ﷺ

(١) كان ذلك زمن تأليف توماس آرنولد لكتابه «الدعوة إلى الإسلام» فى أواخر القرن الماضى، أما الآن فقد زاد هذا العد إلى أربعة، وربما، خمسة أضعافه وربما أكثر.

(٢) الدعوة إلى الإسلام، ص٢٥.

مثلاً أعلى وقدوة صالحة»(١).

« .. أن ما أحرزته سيوف المسلمين من نجاح واسع النطاق، منقطع النظير، قد زعزع عقيدة الشعوب المسيحية التى أصبحت تحت حكمهم، ورأت أن هذه الفتوح قد تمت بعون من الله، وأن المسلمين قد جمعوا بين النعيم فى الدنيا وبين التوفيق الإلهى، وأن الله لم يجعل النصر إلى فى أيدى عباده المختارين. وهكذا ظهر نجاح المسلمين دليلاً على صدق دينهم»(٢).

« .. لم نسمع عن أية محاولة مدبرة لإرغام الطوائف من غير المسلمين على قبول الإسلام، أو عن أى اضطهاد منظم قصد منه استئصال الدين المسيحى. ولو اختار الخلفاء تنفيذ إحدى الخطتين لاكتسحوا المسيحية بتلك السهولة التى أقصى بها فرود وإيزابلا دين الإسلام من إسبانيا، أو التى جعل بها لويس الرابع عشر المذهب البروتستانتى مذهباً يعاقب عليه متّبعوه فى فرنسا أو بتلك السهولة التى ظل بها اليهود مبعدين عن إنجلترا مدة خمسين وثلاثمائة سنة. وكانت الكنائس الشرقية فى آسيا قد انعزلت انعزالاً تاماً عن سائر العالم المسيحى الذى لم يوجد فى جميع أنحائه أحد يقف إلى جانبهم باعتبارهم طوائف خارجة عن الدين. ولهذا فإن مجرد بقاء هذه الكنائس حتى الآن يحمل فى طياته الدليل القوى على ما قامت عليه سياسة الحكومات بوجه عام من تسامح نحوهم»(٣).



(١) الدعوة إلى الإسلام، ص٢٧.
(٢) الدعوة إلى الإسلام، ص٩٤.
(٣) الدعوة إلى الإسلام ، ص٩٨ ـ ٩٩.

الدورمييلى[1]

«فى عصر الانحطاط العميق بالبلدان التى كانت من قبل تعد قسماً من إمبراطورية دقلديانوس القديمة، نهض فجأة فى قلب الصحارى العربية خصم الخصوم تابع تلك الإمبراطورية العجوز المترنحة، كما هو من ألدّ خصوم الممالك الجديدة التى كانت ناشئة فى الغرب. وظل هذا الخصم يزداد عظمة فى مرأى العين، كما لو كانت عناية الله الدائمة هى التى تقود عساكره المخلصين إلى الجهاد والنصر المبين، حتى تلا فتح سورية ومصر بعد قليل تقوّض إمبراطورية الساسانيين، وأصبح أخلاء قسطنطين ـ الذين اقتطعت منهم فعلاً أقاليم كثيرة ـ مهددين بمثل ذلك المصير»[2].

«بباعث من تلك الدوافع القوية التى تشمل أحياناً جميع الناس، وتكاد تبدو متعذرة الفهم للمراقب الخارج عن دائرتها أو الذى لم يشهد مثلها من قبل، فاض أولئك العرب... من شبه الجزيرة، التى هى موطنهم الأول فأسسوا الإسلام، أو أقاموا سلطان الإسلام على قسم عظيم من العالم المتحضر القديم، تَحْدُوهم رغبة جدّ عنيفة فى الدعوة الدينية..»[3].

«.. إن السكان الساميين فى سوريا ومصر، الذين قاسوا كل صنوف الضغط والهول ـ على الأخص بسبب الضرائب ـ من قبل الحكومات الأجنبية التابعة للدولة البيزنطية أو المملكة الساسانية، لم يستطيعوا أن يروا فى العرب إلا محررين مخلصين، كما أن المسيحيين القائلين بوحدة الطبيعة (طبيعة المسيح) عليه السلام فى

---

(1) الدورمييلى A. Mieli مستشرق فرنسى، تفرغ لتاريخ العلوم. تولى وكالة المجمع الدولى لتاريخ العلوم، وأسس مجلة «آركيون» التى تسجل نشاطه.

من آثاره: «تاريخ العلوم» (باريس ١٩٣٥)، «العلم العربى وأثره فى التطور العلمى العالمى» (١٩٣٨)، «علم الفلك فى العالم الإسلامى» (١٩٤١)، «علم النبات عند العرب» (١٩٤١)، «علم الجغرافيين العرب» (١٩٤١)، «العلم الإسلامى» (١٩٤٢)، «الرياضيات العربية» (١٩٤٢)، «التشريح العربى» (١٩٤٢. وغيرها.

(٢) العلم عند العرب، ص٧٤.

(٣) العلم عند العرب، ص٧٥.

الشرق استطاعوا أن يعتمدوا على التسامح الإسلامى، بعد أن كانوا يخشون الاضطهاد من قبل نصارى القسطنطينية..»[١].

« .. كانت شروط الفتح الإسلامى تسمح ببقاء بذور الحضارات القديمة عند طوائف كبيرة من الأهالى، الذين واصلوا التمتع بعاداتهم، وقوانينهم، ولغاتهم، على شريطة أن يعطوا بانتظام قيم الجزية المفروضة على من لا يدخل فى جامعة المسلمين. وكان طبيعياً مع ذلك أن تتأسس الروابط والعلاقات بين الفاتحين وأهل البلاد فى وقت مبكر، سواء أكان ذلك بسبب الجوار، أم بسبب اعتناق الأهالى كثيراً وقليلاً للإسلام بوجه خاص...»[٢].

«التسامح العظيم الذى تحلى به الخلفاء الأمويون، وملوك الطوائف... لم يمتد لواؤه على ما حكموه من شعوب، أو على المسلمين القادمين من إفريقية والمشرق فحسب، بل انبسط ظله أيضاً على العلماء المسيحيين الذين أقبلوا مهطعين من أبعد الأقطار لتلقى العلوم فى المدن المزدهرة التى لا تحصى، فى ذلك القطر الساحر الأندلس الآخذ بمجامع الألباب»[٣].



(١) العلم عند العرب، ص٨١.

(٢) العلم عند العرب، ص١٢٢.

(٣) العلم عند العرب، ص٤٥٤.

أندرسن[١]

«لقد تكررت ملاحظة الآثار العميقة التى أحدثها مجىء الإسلام فى حياة الزنوج فى أفريقيا وفى ثقافتهم. وهكذا يذهب (ميك) إلى حد القول: أنه (يعنى الإسلام) لم يؤدّ إلى تغييرات عميقة فى التركيب الجنسى لهذه الشعوب فحسب، وإنما أتى معه بحضارة جديدة، أعطت الأجناس الزنجية المولدة الطابع الثقافى المميز الذى يحملونه اليوم ومازال مسيطراً على حياتهم السياسية ومؤسساتهم الاجتماعية.. إن الإسلام جاء بالحضارة إلى القبائل البربرية (الهمجية) وحول جماعات منفصلة من الوثنيين إلى أمم، إنه جعل الخطوة مع العالم الخارجى ممكنة، إنه وسع النظر، ورفع مستوى المعيشة بإنشائه جوّا اجتماعياً راقيًا، وأسبغ على أتباعه الوقار، واحترام النفس، واحترام الناس. إن الإسلام أدخل فن القراءة والكتابة، وبفضله تم تحريم تعاطى المسكرات... والثأر والعادات البربرية الأخرى وجعل من الزنجى مواطناً عالمياً»[٢].

«هناك مدارس فى كل بلدة مسلمة (فى نيجيريا الشمالية) يقوم بها المعلمون (المالام) خاصة فيرسل الوالدان أطفالهم فى سن مبكرة جداً... وفى المراكز الكبرى يحضر الأطفال إلى الصف ساعة فى الصباح وساعة فى المساء.. والإناث يتلقين التعليم أيضاً..»[٣].

---

(١) س. ن. د. اندرسن S.N. D. Anderson مستشرق بريطانى. من آثاره: (الشرع والفقه الإسلامى)، (صحيح القانون المقارن، ١٩٤٩)، و(جريمة القتل فى الإسلام)، ١٩٥١، وغيرها.

(٢) الوحدة والتنوع فى الحضارة الإسلامية (تحرير كرونباوم)، ص ٤٠٥ ـ ٤٠٦ عن:

C. K. Meek: the Notyhern Tribes of Nigeria 1/1, 4, 5 (London, 1925).

(٣) الوحدة والتنوع فى الحضارة الإسلامية (تحرير كرونباوم)، ص٤٠٧ ـ ٤٠٨، عن المرجع السابق ٨/٢.

بارتــولد[1]

«كانت فى بلاد الخلافة الممتدة من رأس سان فنسنت الواقعة جنوبى البرتغال إلى سمرقند مؤسسات مسيحية غنية، قد حافظت على أملاكها غير المنقولة الموقوفة عليها. وكان نصارى بلاد الخلافة يتعاملون مع عالم النصرانية بدون مشقة، ويتمكنون من أن يتلقوا منهم إعانات لمؤسساتهم الدينية وكان فى المؤتمر الدينى الذى انعقد فى القسطنطينية سنة ٦٨٠ ـ ٦٨١م مندوب من القدس أيضاً. ثم إن المسيحيين المقيمين ببلاد الخلافة كانوا مرتبطين بعضهم ببعض ارتباطاً وثيقاً..»[2].

«انتشر الدين الإسلامى فى القرن الرابع للهجرة فى قبائل الترك الرحل وفى بعض مدن التركستان الصينية بواسطة التجارة وبدون استخدام أى سلاح فكان الأتراك الذين استولوا على البلاد الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى مسلمين»[3].



(١) ف بارتولد (١٨٧٩ ـ ١٩٣٠) V. Barghold: تخرج من جامعة بطرسبرغ (١٨٩١)، وعين أستاذاً لتاريخ الشرق الإسلامى فيها (١٩٠١)، فكان أول من درس تاريخ آسيا الوسطى. وعنى بالشرق الإسلامى وحقق المصادر العربية المتعلقة به وتخرج عليه عديد من المستشرقين. وقد انتخب عضواً فى مجمع العلوم الروسى (١٩١٢) ورئيساً دائماً للجنة المستشرقين فيه بعد الثورة البلشفية حتى وفاته.

تربو آثاره على الأربعمائة، أشهرها: (تركستان عند غزو المغول لها) فى مجلدين (١٨٩٨ ـ ١٩٠٩)، «تاريخ دراسة الشرق فى أوروبا وآسيا» (١٩١١)، «حضارة الإسلام» (١٩١٨)، «تاريخ تركستان» (١٩٢٢)، «مغول الهند» (١٩٢٨)، «تاريخ أتراك آسيا الوسطى» (١٩٣٤). وغيرها.

(٢) تاريخ الحضارة الإسلامية، ص٥٤.

(٣) تاريخ الحضارة الإسلامية، ص١٢٢.

بروفنسال[1]

«إن الهدف الذى نبتغيه هو إلقاء الضوء على تداخل Interpenetration الإسلام والمسيحية فى شبه الجزيرة الإيبيرية وهو تداخل حقيقى مستمر فى إسبانيا فى العصور الوسيطة سواء فى داخل الحدود الإسلامية أم فى خارجها. وكذلك هو فى أن نظهر الأندلس على أنها لم تكن حتى فى ذات الوقت الذى تعرف بأنها لا تقهر، لتمتشق الحسام فى وجه جيرانها، وإنما كانت هناك سنوات طويلة لهدنات حقيقية أعطت الأندلس خلالها أكثر مما أخذت، كما برهنت فى أغلب الأحيان على عقل متسامح إزاء رعاياها المسيحيين لم يعد أحد يمارى فيه اليوم»[2].

«ما من مكان كانت العلاقات الدائمة ضرورية فيه بين الإسلام والمسيحية، أكثر منها فى أسبانيا العربية، فإن معظم سكانها قد احتفظوا، على الأقل فى القرن الأول من حكم الإسلام، بالديانة القديمة فى دولة الفيزيقوت (القوات الغربيون)، وفيما بعد، حتى عقب اعتناق أعداد غفيرة من الرعايا النصارى أهل الذمة للإسلام، للاستفادة من نظام مالى أفضل، بقيت نسبة ضخمة من الرعايا المسيحيين تشكل فى المدن الأندلسية وحدات مزدهرة، لها كنائسها وأديرتها

(١) ليفى بروفنسال (١٨٩٤ ـ ١٩٥٦) F: Levi - Proven Cal:

ولد فى الجزائر ونال الليسانس من كلية الآداب فيها (١٩١٣) واشترك فى الحرب. وفى سنة ١٩١٩ انتدب للعمل فى معهد الدراسات العليا المغربية فى الرباط. وعين أستاذاً فيه (١٩٢٠)، ثم مديراً له (١٩٢٦ ـ ١٩٣٥) وفى تلك الأثناء قدم رسالة دكتوراه. وفى سنة ١٩٢٨ انتدبته كلية الآداب بالجزائر أستاذاً لتاريخ العرب والحضارة الإسلامية، كما كان يحاضر فى السوربون. وتقلب فى الوظائف العلمية والإدارية والسياسية، وشارك فى الحرب الثانية، وأنشأ مجلة أرابيكا Arabica للدراسات العربية عام ١٩٥٤. وقد عد المرجع الأول فى الغرب لتاريخ الأندلس، وانتخب عضواً فى عدد من المجامع العلمية.

كتب المئات من الأبحاث والدراسات، نشر بعضها فى مصنّفات مستقلة، ونشر بعضها الآخر فى أشهر المجلات والحوليات الاستشراقية، وانصبّ معظمها على تاريخ وحضارة المغرب والأندلس.

(٢) حضارة العرب فى الأندلس، ص٧٠ ـ ٧١.

ورئيسها المسؤول (Depensar) وجابيها الخاص (Censor) وقاضيها الذى يطبق فى محكمته، تحت إشراف الإدارة الأموية، القانون القوطى القديم من Liber Judicrum أما الاضطهادات التى عانتها فقد كان بسببها دوماً مسيحيون متهوّسون يرفضون أن يتراجعوا عن القدح فى معتقد سادة البلاد... وكان أمراء الأدلس وخلفاؤها يقرون بصورة دائمة تقريباً اختيار أصحاب الرتب الكهنوتية: مطران طليطلة وأسقف قرطبة. حتى إنهم كانوا يستعملون هؤلاء الأحبار فى سفارات أو مهمات سياسية سرية فى الوقت المناسب. فلم تكن رؤية الإيكليريكيين الأسبان يتضلعون فى معرفة اللغة العربية وآدابها من الأمور النادرة مطلقاً. وهذا ما يجعلنا نفترض وجود اختلاط ودّى، واثق ومتصل بين مختلف عناصر السكان. بل نملك على هذه الناحية شهادة معاصرة لا نستطيع الارتياب فى قيمتها، ذلك لأنها صادرة عن واحد من أنشط أبطال المقاومة ضد الإسلام فى شبه الجزيرة فى القرن التاسع ألا وهو الفارو القرطبى Le Cardouan Alvaro. فبينما يحزن لفتور مسيحى أسبانيا وجهلهم باللاتينية، نراه يمجد بفصاحة نادرة الثقافة الإسلامية الإسبانية التى كانت فى طور التكوين..»[1].



(١) حضارة العرب فى الأندلس، ص٧١ ـ ٧٢.

أدوار بروى

«بين أوروبا الغربية الآخذة مدنيتها بالقهقرى، وبين العالم الآسيوى الذى يستجمع بعد نشاطه ويسترجع عافيته.. ظهر الإسلام كالشهاب الساطع، فحيّر بفتوحاته السريعة القاصمة، وباتساع رقعة الإمبراطورية الجديدة التى أنشأناها نحن أمام شعب كان للأمس الغابر مجهول الاسم، مغمور الذكر، فإذا به يتّحد ويتضامّ فى بوتقة الإسلام، هذا الدين الجديد الذى انطلق من الجزيرة العربية اكتسحت جيوشه ببضع سنوات الدولة الساسانية وهدت منها الأركان، ورفرفت بنوده فوق الولايات التابعة للإمبراطورية البيزنطية فى آسيا وأفريقيا ولم تلبث جيوشه أن استولت بعد قليل على معظم إسبانيا وصقلية، وأن تقتطع لأمد من الزمن، يقصر أو يطول، بعض المقاطعات الواقعة فى غربى أوروبا وجنوبها ودقت جيوشه بعنف شديد أبواب الهند والصين والحبشة والسودان الغربى وهددت فرنسا والقسطنطينية.. وقد تهاوت الدول أمام الدفع العربى الإسلامى كالأكر، وتدحرجت التيجان على رؤوس الملوك كحبات سبحة انفرط عقدها النظيم وذابت الأديان التى سيطرت على الشعوب والأقوام كما يذوب الشمع أمام النار بعد أن أطلّ على الدنيا دين جديد..»(١).

«قلما عرف التاريخ - والحق يقال -، فتوحات كان لها، فى المدى القريب، على الأهلين، مثل هذا النزر الصغير من الاضطراب يحدثه الفتح العربى لهذه الأقطار فمن لم يكن عربياً من الأهلين لم يشعر بأى اضطهاد قط. فاليهود والنصارى الذين هم أيضاً من أهل الكتاب، حق لهم أن يتمتعوا بالتساهل وأن لا يضاموا. وكان لابدّ من الوقوف هذا الموقف نفسه من الزرادشتية والبوذية والصابئة.. وغيرها من الملل والنحل الأخرى.. والمطلوب من هؤلاء السكان أن يظهروا الولاء للإسلام ويعترفوا

---

(١) تاريخ الحضارات العام، ١٠٩/٣.

بسيادته وسلطانه، وأن يؤدوا له الرسوم المترتبة على أهل الذمة تأديتها.. وفى نطاق هذه التحفظات التى لم يكن لتؤثر كثيراً على الحياة العادية، تمتع بكافة حرياتهم..»[1].

«انتظمت العلاقات بين الدولة وسكان البلاد الأصليين بسهولة كلية وفقاً لروح القانون المعمول به فى البلاد ... وبقيت كل ملة أو طائفة محتفظة بقانونها الخاص وبالموظفين الذين يسهرون على الشؤون الدينية عندها باستثناء ما كان منها تابعاً للحق العام.. ونلاحظ تطوراً ملحوظاً يطرأ على وضع النصارى بعد أن احتفظت ببيعهم بجانب من ممارسة العدالة فى الأمم الخاصة.. وهكذا برز البطاركة والأساقفة، الرؤساء الأعلون لطوائف تعلو سلطتهم سلطة الموظفين الإداريين المحليين، حتى إن اليهود أنفسهم لم يجدوا بأساً فى الاحتفاظ برؤسائهم الدينيين وبربابنتهم وبحاخامهم الأكبر»[2].

« .. انتشرت، حوالى السنة ١٠٠٠م، عادة القيام بالحج، تزايد السفر إلى الأرض المقدسة لأنه اعتبر أعظم الممارسات (النصرانية) نفعاً للخلاص الأبدى، وقلما ضايقه العرب، الذين كانوا متساهلين جداً، كما يبدو من جهة ثانية أن الغزو التركى لم يجعل الدخول إلى معابد فلسطين أكثر صعوبة إلا أن فرسان الغرب، وقد تمكنت منهم فكرة الحرب المقدسة، أخذوا فى النصف الثانى من القرن الحادى عشر، يؤدون فريضة الحج جماعات صغيرة مسلحة كما أخذوا بعد عودتهم يبسطون شعورهم بأن الفتح ليس أمراً مستحيلاً.. وجاء الاندماج التركى أخيراً يهدد بيزنطية آنذاك تهديداً جدياً خطيراً، ففكر الغرب بوجوب وقاية المسيحية من جهة الشرق..»[1].

« .. ما لابدّ من التنويه به عالياً أن هؤلاء السلاطين (العثمانيين) لم يظهروا أى تحرج أو تعصب تجاه المسيحيين، فى وقت وزمان كان فيه ديوان التفتيش يبطش

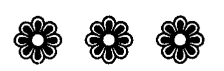
---

(١) تاريخ الحضارات العام، ٣/ ١١٦.

(٢) تاريخ الحضارات العام، ١١٦/٣.

(٣) تاريخ الحضارات العام، ٣/ ٣١٢.

بالناس بطشاً وينزل بهم الهلع... وفى عهد كان اليهود والمسلمون يُطردون، دونما رحمة أو شفقة، من إسبانيا.. وبالرغم من إسكان عدد كبير من الجاليات الإسلامية فى البلقان، واعتناق بعض الجماعات البلقانية الإسلام فلم يأت العثمانيون شيئاً مهماً ليمنعوا السواد الأكبر من سكان البلاد البلقانية من الاحتفاظ بنصرانيتهم..»[1].



(١) تاريخ الحضارات العام، ٣/ ٥٨٩ ـ ٥٩٠.

مارسيل بوازار

«لقد أظهرت الرسالة القرآنية وتعاليم النبى ﷺ أنها تقدمية بشكل جوهرى، وتفسّر هذه الخصائص انتشار الإسلام السريع بصورة خارقة خلال القرون الأولى من تاريخه»(١).

«فتح الإسلام الباب للتعايش على الصعيد الاجتماعى والعرقى حين اعترف بصدق الرسالات الإلهية المنزلة من قبل على بعض الشعوب.. لكنه بدأ أنه يرفض الحوار فى الوقت ذاته على الصعيد اللاهوتى، حين أزال من العقيدة كل ما اعتبر زيفاً مخالفاً للتوحيد بالمعنى الدقيق للكلمة. وأتاح منطق تعاليمه القوى وبساطة عقيدته وما يرافقها من تسامح، أتاح كل هذا للشعوب التى فُتح بلادها حرية دينية تفوق بكثير تلك التى أتاحتها الدول المسيحية نفسها..»(٢).

«.. لقد تألقت «أمم» من نوع معين، واتحدت، وخضعت لنظامها الدينى الخاص وانخرطت فى البنية الاجتماعية للمجتمع الإسلامى الذى يحميها»(٣).

«.. حاول الإسلام منذ القرن السابع للميلاد أن يقدم حلاً لمشكلة الأقليات فريداً فى نوعه.. وتستحق جماعة غير المسلمين على الأرض الإسلام أن تتناول بالتحليل، لأنه ثبت أنها نهج لا مثيل له، فى الوقت الذى كان فيه الغرب على أهبة الخروج من العصور الوسطى وإدراك ضرورة وضع الأنظمة المحدودة للعلاقات مع الغرباء»(٤).

---

(١) إنسانية الإسلام.

(٢) إنسانية الإسلام، ص١٨٤.

(٣) إنسانية الإسلام، ص١٨٦.

(٤) إنسانية الإسلام، ص١٨٧.

«.. منذ بدء الفتح العربى الإسلامى، كان المحاربون المسلمون قد فرضوا على أنفسهم روحاً من التسامح مع غير المسلمين ومع الشعوب المغلوبة. وفى زمن لم يكن فيه العنف يعرف شرعاً ولا عاطفة، أصدر أبو بكر رضي الله عنه: أول خليفة للنبى ﷺ إلى جنوده التعليمات المشهورة المرنة كثيراً التى تختصر الروح الخلقى للقانون الإسلامى..»[1].



(١) إنسانية الإسلام، ص٢٧٨.

ترند(١)

«.. فى القرن العاشر الميلادى تردّى معظم أوروبا فى همجية ووحشية مريعة، على حين أن المسلمين فى إسبانيا ضربوا مثلاً رائعاً بما كفلوه لغيرهم من ذوى العقائد المخالفة لمذهبهم من سعة العيش والتسامح..»(٢).

«آثر الغزاة المسلمون أن يشتروا من السكان المسيحيين بقرطبة جانباً من الكاتدرائية القديمة. ورأوا أن ذلك خير لهم من أخذها عنوة واغتصاباً، وهذا شاهد ينطق بما اشتهروا به من التسامح مع أصحاب العقائد المخالفة لعقيدتهم»(٣).

«.. إن العرب المتنصرين التعساء المعروفين بالموريسكو Moriscos لقوا من المسيحيين من المعاملة السيئة مالا يقابله إلا ما لقيه المسيحيون من المسلمين من التسامح فى مرحلة سابقة من تاريخ إسبانيا الإسلامية والمسؤول عن كل ذلك الأمر من بدايته إلى نهايته هم رجال الكنيسة..»(٤).



(١) جون براند ترند (١٨٨٧ ـ ١٩٥٨) J. Brand Trend: رائد من رواد تاريخ إسبانيا. أستاذ فى جامعة كمبردج. قام بعدة رحلات فى إسبانيا والبرتغال ومراكش ومكسيكو واشتغل فى معهد الدراسات الشرقية بلندن.

من آثاره (صورة لإسبانيا الحديثة) (١٩٢١)، (موسيقى تاريخ إسبانيا) (١٩٢٥)، (لغة إسبانيا وتاريخها) (١٩٥٣)، وكثير من الكتب الأخرى فى هذا المجال.

(٢) تاريخ العالم (نشره السير جون. أ. هامرتن)، المجلد الخامس، ص٢٩.

(٣) تاريخ العالم (نشره السير جون. أ. هامرتن)، ٥/٧٣٧.

(٤) تاريخ العالم (نشره السير جون. أ. هامرتن)، ٥/٧٥٥.

تريتون(١)

«أما النواحى الشرقية القصوى من الدولة الإسلامية فإن الشعوب المحكومة كانت تعامَل معاملة تنطوى على مثل هذا العطف «الذى حظيت به فى النواحى الأخرى)..»(٢).

«ولما تدانى أجل عمر بن الخطاب رضي الله عنه أوصى من بعده وهو على فراش الموت بقوله: «أوصى الخليفة من بعدى بأهل الذمة خيراً، وأن يوفى لهم بعهدهم، وأن يقاتل مِن ورائهم، وألا يكلفهم فوق طاقتهم»(٣) وفى الأخبار النصرانية شهادة تؤيد هذا القول، وهى شهادة (عيثويابه) الذى تولى كرسى البطريركية من سنة ٦٤٧ إلى ٦٥٧م إذ كتب يقول: (أن العرب الذين مكنهم الرب من السيطرة على العالم يعاملوننا كما تعرفون، إنهم ليسوا بأعداء للنصرانية بل يمتدحون ملّتنا ويوقرون قسيسينا وقدّيسينا، ويمدون يد المعونة إلى كنائسنا وأديرتنا). والظاهر أن الاتفاق الذى تم بين (عيثويابه) وبين العرب كان من صالح النصارى، فقد نصّ على وجوب حمايتهم من أعدائهم، وألا يحملوا قسراً على الحرب من أجل العرب، وألا يؤذوا من أجل الاحتفاظ بعاداتهم وممارسة شعائرهم، وألا تزيد الجزية المجباة من الفقير

---

(١) آرثر ستانلى تريتون A. S. Tritton: ولد عام ١٨٨١ وتعلم فى عدد من الكليات البريطانية وعين مساعد أستاذ للعربية فى أدنبرا (١٩١١) وكلاسكو (١٩١٩) وأستاذا فى عليكرة فى الهند (١٩٢١) ومدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية بلندن (١٩٣١ ـ ٣٨ ـ ٤٧) وقد وجه جل اهتمامه إلى الفقه وطوّف فى عدد من البلدان العربية.

من آثاره: (أئمة الزيدية بصنعاء واليمن) (١٩٢٥)، (الخلفاء ورعاياهم من غير المسلمين) (١٩٣٠)، (علم الكلام فى الإسلام) (١٩٤٧)، (الإسلام إيمان وشعائر) (١٩٥٠)، (مواد فى التربية الإسلامية) (١٩٥٧). كما نشر عدداً من الأبحاث فى المجلات الاستشراقية وبخاصة (مجلة الجمعية الملكية الآسيوية).

(٢) أهل الذمة فى الإسلام، ص ٤٣.

(٣) يحيى بن آدم: كتاب الخراج، ص٥٤.

على أربعة دراهم، وأن يؤخذ من التاجر والغنى اثنا عشر درهما، وإذا كانت أمة نصرانية فى خدمة مسلم فإنه لا يحق لسيدها أن يجبرها على ترك دينها أو إهمال صلاتها والتخلى عن صيامها»(١).

«كان العرب فى أيامهم الأولى يتلزمون جادة الصبر والأناة، إذ كثيراً ما نقرأ عن مدن استسلمت بشروط، ثم ثارت وتمردت على العرب، ثم استسلمت مرة أخرى فأعادوا لها عهودها الأولى»(٢).

«ومن الأدلة الطيبة على ما كانت تسترشد به الحكومة الإسلامية فى معاملتها الذميين ما جاء فى الأمر الذى وجد بين أوراق البردى اليونانية المحفوظة فى (المتحف البريطانى)، وعلى الرغم من فساد قسم منه فقد جاء فى الباقى «خوفاً من الله، وحفظاً للعدالة والحق فى توزيع القدر المفروض عليهم.. ولكن تجب معاملة الجميع بالعدل، وأخذ الشىء من كل منهم بقدر طاقته»..»(٣).



(١) أهل الذمة فى الإسلام، ص١٥٨ ـ ١٥٩.

(٢) أهل الذمة فى الإسلام، ص١٦٠.

(٣) أهل الذّمة فى الإسلام، ص١٦٣ ـ ١٦٤.

أرنولد توينبى

«فى القرن السابع الميلادى حرّر العرب المسلمون سلسلة من الدول الشرقية من سطوة إغريقية ـ رومانية مسيحية: من سوريا شرقاً إلى إسبانيا غرباً عبر شمال أفريقيا، وكانت هذه الدول تحت حكم يونانى أو رومانى مدة ألف عام تقريباً.. بعد ذلك، وبالتحديد ما بين القرنين الحادى عشر والسادس عشر (الميلاديين) استمر الفتح الإسلامى متدرجاً فشمل تقريباً جميع بلاد الهند وانتشر الإسلام بصورة سلمية فى مناطق أبعد وأوسع، فى إندونيسيا والصين شرقاً، وفى أفريقيا الاستوائية شرقاً وجنوباً، وكذلك روسيا خضعت، وقتيّا، فى أواخر القرون الوسطى، وكل ما تبقى من العالم المسيحى الأرثوذكسى الشرقى فى آسيا الوسطى وجنوب شرقى أوروبا خضع فى القرنين الرابع والخامس عشر (الميلاديين) لحكم المسلمين العثمانيين، وحاصر الأتراك فيينا للمرة الثانية فى أواخر القرن السابع عشر (١٦٨٢ ـ ١٦٨٣م)، ورغمّا عن أن فشل هذا الحصار أرّخ بداية تحول فى التيار لمصلحة الغرب ومواجهته للدولة العثمانية الغازية، فقد بقى علم (الهلال) يرفرف فوق السواحل الشرقية (لبحر الأدرياتيكى) مقابل (كعب) إيطاليا حتى عام ١٩١٢م»[١].

«... أصبحت يثرب (المدينة المنورة) بعد انقضاء ثلاثين سنة على الهجرة، عاصمة إمبراطورية شملت لا مجرد الممتلكات الرومانية فى سوريا ومصر، بل ضمت كذلك أملاك الإمبراطورية الساسانية بأسرها.. وتستمد يثرب حقها فى بقائها مقر الحكومة إلى كونها النواة التى انبثقت منها إمبراطورية العالم العربى فى اندفاع جارف يوحى حقاً بأنه من الأفعال الربانية..»[١].

«ثمة حالة.. نابهة الذكر لهذا التسامح المنشود، يفرضها نبى على أتباعه وهو فى موضعه الجليل. فإن محمّداً ﷺ قد أمر أتباعه بالتسامح الدينى تجاه اليهود

(١) الإسلام والغرب والمستقبل، ص١٦، ١٧.

والمسيحيين الذين خضعوا سياسياً للحكم الإسلامى. فقدم محمد ﷺ بذلك لقاعدة التسامح، تفسيراً قوامه أن أفراد هاتين الجماعتين الدينيتين غير المسلمتين، هم أهل كتاب كالمسلمين أنفسهم. وليس أدل على روح التسامح التى بعثت الحياة فى الإسلام منذ بدايته، من أن المسلمين قد طبقوا مبدأ التسامح الدينى على أتباع زرادشت الذين خضعوا للحكم الإسلامى وإن لم يقل بذلك الرسول الكريم نفسه»(٢).

«.. لم يكن الاختيار بين الإسلام أو القتل، ولكن بين الإسلام أو الحرية وتلك سياسة مستنيرة، أجمعت الآراء على امتداحها.. لقد «سلك» الإسلام طريقة بين رعايا الخلافة غير العرب، مستنداً على مزاياه وفضائله الذاتية، وكان انتشاراً بطيئاً، لكنه كان مؤكداً.. ويحتمل أن الهداية إلى الإسلام بصورة جماعية لم تبدأ قبل القرن التاسع الميلادى - أو تصل نهايتها - حتى حلول فترة اضمحلال الإمبراطورية العباسية من القرن الثالث عشر. ويمكن القول بالتأكيد، أن هذه الغلات التى حصدت من حقل التبشير الإسلامى، كانت حصيلة حركة شعبية تلقائية، ولم تنجم قط عن ضغط سياسى..»(٣).

«أن المسلمين قد سبقوا بناة الإمبراطورية من الإسبانيين والبرتغاليين فى إظهار إخلاصهم لمعتقداتهم الدينية. فإن المسلمين قد تزاوجوا منذ البداية مع من تولوا هدايتهم إلى دينهم، دون اعتبار لاختلاف الجنس.. بل أنهم ذهبوا إلى أبعد من ذلك. فإن المجتمع الإسلامى قد ورث عن نص وارد فى القرآن، إقراراً بطائفة من الأديان (عدا الإسلام) هى - رغم ما بها من قصور - أديان سماوية أصيلة، نزل بها الوحى، وهذا الإقرار، أسبغ على اليهود والمسيحيين أولاً، ثم اتسع فشمل بعد ذلك الزرادشتيين والهندوس...»(٤).



(١) مختصر دراسة التاريخ، ٧٣/٣ - ٧٤.

(٢) مختصر دراسة التاريخ، ٤٢/٣.

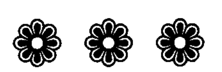
(٣) مختصر دراسة التاريخ، ٣٥٥/٢، ٣٥٦، ٣٥٧.

(٤) مختصر دراسة التاريخ، ٤١٨/٣.

فيليب حتى

« .. من المدهش حقاً أن دولة تدعو إلى دين غريب تظهر فى شبه جزيرة العرب التى كانت مغمورة فى التاريخ، استطاعت أن تجرد إحدى الإمبراطوريات العالميتين من أغنى مقاطعاتها فى آسيا وأفريقيا، وأن تقضى على الأخرى، قضاء مبرماً، فى مدى عشر سنين. أما كيف اتفق هذا الحدث المذهل ولماذا اتفق، فذلك لأن وراءه قصة من أروع القصص فى العصور الوسطى كلها»(١).

«(إن) أبرز ما يلفت النظر فى الفتوح العربية ليس تلك السرعة وذلك النظام اللذين تمت بهما - بغير دمار لا مبرر له إلا قليلاً - ولكن تلك السهولة التى انتقلت بها البلاد المفتوحة من حال الحرب إلى حال السلم، ومن التغلّب إلى الإدارة..»(٢).



(١) الإسلام منهج حياة، ص١٥٣ ـ ١٥٤.

(٢) الإسلام منهج حياة، ص١٦٢.

جــورج حنا

«... إن المسلمـين العـرب لم يعـرف عنهم القسـوة والجـور فى مـعـاملتـهم للمسيحيين بل كانوا يتركون لأهل الكتاب حرية العبادة وممارسة طقوسهم الدينية، مكتفين بأخذ الجزية منهم...»(١).

(٢)

«... لم يرو المؤرخون المسيحيون أنفسهم مثل هذه الوحشية (التى مارسها الصليبيون) على المسلمين. لم يكن هؤلاء وحشيين فى معاملة الأسرى الأهلين المسيحيين. فإذا انتصروا كانوا يكتفون بضرب الجزية على أعدائهم ولا يفظّعون بهم. بعد معركة طبرية التى انتصر فيها صلاح الدين الأيوبى على خصمه الملك (غى ده لوسينيان)..عف صلاح الدين عن التفظيع بالأسرى الذين نجوا من الموت المريع أثناء المعركة، وجردهم من السلاح وضرب عليهم الجزية وأطلق سراحهم مع قائدهم الملك (غى).. وليست هذه الحادثة وحدها هى الدليل على الفرق الكبير بين معاملة الغزاة لأعدائهم، وبين معاملة أعدائهم.. هى واحدة من المئات التى جاءت فى كتب التاريخ عن الحروب الصليبية ومعظمها من تأليف المؤرخين المسيحيين من الفرنج بالذات»(٢).



(١) قصة الإنسان، ص٨٩ ـ ٩٠.
(٢) قصة الإنسان، ص٩٢ ـ ٩٣.

إميـل درمنغم

«.. كانت الفتوح الإسلامية جزاءً مقدراً وخزياً كبيراً على النصرانية الشرقية المتفرقة المنحطة.. وكان سلطان العرب غلاً أكرهت به أوروبا على الصواب، فكان ظهور العرب ووعيدهم حافزين للنصرانية إلى سلوك سبيل الإصلاح والترقّى»(١).

«لم يشرع الجهاد لهداية الناس بالسيف، ففى القرآن:

﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ (البقرة: ٢٥٦)،

والقرآن يأمر المسلمين بالاعتدال وبأن لا يبدؤوا بالاعتداء...»(٢).

«كتب الفوز للعرب لأنهم كانوا أهلاً للفوز، وتمّ النصر للإسلام لأنه عنوان رسالة كان الشرق كثير الاحتياج إليها، واحتمل المسلمون ضروب العذاب قبل الهجرة ولم يستطيعوا لها رداً، فلما كانت الهجرة وكان ما أبدوه من المقاومة، والنصر، اتخذوا التسامح الواسع دستوراً لهم. أجل لم يبق للمشركين مقام فى دار الإسلام، ولكنه أصبح لأهل الكتاب من اليهود والنصارى فيها حق الحماية وحرية العبادة وما إليهما وصاروا من المجتمع إذا ما أعطوا الجزية. قال النبى ﷺ: «من آذى ذميًا فأنا خصمه»، وما أكثر ما فى القرآن والحديث من الأمر بالتسامح، وما أكثر عمل فاتحى الإسلام بذلك ولم يرو التاريخ أن المسلمين قتلوا شعباً، وما دخول الناس أفواجاً فى الإسلام إلا عن رغبة فيه، وهنا نذكر أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما دخل القدس فاتحاً أمر بأن لا يمسّ النصارى بسوء وبأن تترك لهم كنائسهم، وشمل البطرك بكل رعاية ورفض الصلاة فى الكنيسة خوفاً من أن يتخذ المسلمين ذلك ذريعة لتحويلها إلى مسجد. وهنا نقول ما أعظم الفرق بين دخول المسلمين القدس

(١) حياة محمد، ص١٤٤.

(٢) حياة محمد، ص١٩٦.

فاتحين ودخول الصليبيين الذين ضربوا رقاب المسلمين فسار فرسانهم فى نهر من الدماء التى كانت من الغزاة ما بلغت به ركبهم. وعقد النية على قتل المسلمين الذين تفلتوا من المذبحة الأولى»(١).



(١) حياة محمد، ص٣٦٩ ـ ٣٧٠، وانظر المرجع نفسه ص٣٧٠، هامش رقم ١.

هنری دی کاستری

«إن (أتباع) محمد ﷺ هم وحدهم الذين جمعوا بين المحاسنة ومحبة انتشار دينهم وهذه المحبة هى التى دفعت العرب فى طريق الفتح وهو سبب لا حرج فيه، فنشر القرآن جناحيه خلف جيوشه المظفرة إذا أغاروا على الشام وساروا سير الصواعق إلى أفريقيا الشمالية من البحر الأحمر إلى المحيط الأطلنطى ولم يتركوا أثراً للتعسف فى طريقهم إلا ما كان لابد منه فى كل حرب وقتال، فلم يقتلوا أُمة أبت الإسلام.. فكلما التقى المسلمون بأمة خيروها بين واحد من ثلاثة الإسلام أو الجزية أو تحكيم الحرب حتى تضع أوزارها.. هكذا كانت الأوامر التى زود بها أبو بكر الصديق خالد بن الوليد ﷺ حين أنفذه إلى الشام»(١).

«إذا انتقلنا من الفتح الأول للإسلام إلى استقرار حكومته استقراراً منظماً رأيناه أكثر محاسنة وأنعم ملمساً بين مسيحيى الشرق على الإطلاق. فما عرض العرب أبداً شعائر الدين المسيحى بل بقيت روما نفسها حرّة فى المراسلات مع الأساقفة الذين ما زالوا يرعون الأمة الخالية... وكان الوئام مستحكماً بين المسلمين والمسيحيين... ومع هذه المسالمة العظيمة من جانب المنتصر مع المغلوب، ضعفت الديانة النصرانية جداً ثم زالت بالمرة من شمال أفريقيا.. ولم يكره أحد على الإسلام بالسيف ولا باللسان بل دخل القلوب عن شوق واختيار وكان نتيجة ما أودع فى القرآن من مواهب التأثير والأخذ بالألباب. نعم قد اعتنق الإسلام قوم مشوا وراء منافعهم ولكنهم قليلون بجانب من أسلم عن اعتقاد صادق وميل صحيح.. وصار من اللازم أن يثبت الإسلام لمن أراده على يد القاضى ويحرر بذلك محضر يذكر فيه أن المسيحى اعتنق الإسلام عن اعتقاد تام غير خائف ولا مكره، إذ لا يجوز أن يكره أحد على تغيير دينه»(٢).

---

(١) الإسلام: خواطر وسوانح، ص٣٥ ـ ٣٦.　　(٢) الإسلام: خواطر وسوانح، ص٣٩، ٤٠.

«... قرأت التاريخ وكان رأيى بعد ذلك أن معاملة المسلمين للمسيحيين تدل على ترفع فى المعاشرة عن الغلظة وعلى حسن مسايرة ولطف مجاملة وهو إحساس لم يشاهد فى غير المسلمين آن ذاك...»(١).

«... إن الدين الإسلامى لم ينتشر بالعنف والقوة بل الأقرب للصواب أن يقال إن كثرة مسالمة المسلمين ولين جانبهم كانا سبباً فى سقوط المملكة العربية، ومن المظنون أن المسلمين لو عاملوا الأندلسيين مثل ما فعل المسيحيون بالأمم الساكسونية، لأخلدت إلى الإسلام واستقرت عليه، لأنها مع تمتعها بحرية دينها المسيحى كانت كثيرة الانشقاق والأحزاب. وما لنا ولهذه الظنون والتخمينات وأمامنا أمر واحد ينبغى الوقوف عنده، وهو أن ديانة القرآن تمكنت من قلوب جميع الأمم اليهودية والمسيحية والوثنية فى أفريقيا الشمالية وفى قسم عظيم من آسيا حتى إنه وجد فى بلاد الأندلس من المسيحيين المتورين من تركوا دينهم حبّا فى الإسلام كل هذا بغير إكراه، إلا ما كان من لوازم الحروب وسيادة حكومة الفاتحين ومن دون أن يكون للإسلام دعاة وقُوّام مخصصون وهو ما يقنعنا بأن للإسلام جاذبية وقوة انتشار... لأنه لا يزال ينتشر حتى الآن...»(٢).

«... إننا نعتقد أن استطلاع حال هذا الدين فى العصر الحاضر لا يبقى أثراً لما زعموه من أنه إنما انتشر بحدّ الحسام. ولو كان دين محمد ﷺ انتشر بالعنف والإجبار للزم أن يقف سيره بانقضاء فتوحات المسلمين مع أننا لا نزال نرى القرآن يبسط جناحيه فى جميع أرجاء المسكونة..»(٣).



(١) الإسلام: خواطر وسوانح، ص٤٤.

(٢) الإسلام: خواطر وسوانح، ص٨٦.

(٣) الإسلام: خواطر وسوانح، ص٤٨ ـ ٥٠.

إتيين دينيه

«... من الحقائق التاريخية أن النبى ﷺ أعطى أهل «نجران» المسيحيين نصف مسجده ليقيموا فيه شعائرهم الدينية. وها نحن أولاً نرى المسلمين إذا بشروا بدينهم فإنهم لا يفعلون مثل ما يفعل لمسيحيون فى الدعوى إلى دينهم، ولا يتبعون تلك الطرق المستغربة التى لا تتحملها النفس والتى لا يحبها الذوق السليم. وقد أنصف القس ميثون الحقيقة فى كتابه «سياحة دينية فى الشرق» حيث يقول: إنه لمن المحزن أن يتلقى المسيحيون عن المسلمين روح التسامح وفضائل حسن المعاملة وهما أقدس قواعد الرحمة والإحسان عند الشعوب والأمم»[1].

«ليس من فخار المسيحية أن تضم فى تعدادها أولئك الذين يباعون لهم من ولدان العبيد ولا أولئك اليتامى الذين ينشأون فى مهادها نشأة دينية مسيحية. أما الذين يعتنقون الإسلام فى وقتنا هذا من المسيحيين وغيرهم فإنهم هم الخاصة سواء كانوا من الهيئات الاجتماعية الأوروبية أو الأمريكية، كما أن إخلاصهم فى ذلك لا شك فيه لأنهم أبعد ما يكونون عن الأغراض المادية»[2].

«.. إن الإسلام بلغ من تماسك بنائه، ومن حرارة إيمان أهله، ما جعله يبهر العالم بوثبته الهائلة التى لا نظن أن لها فى سجلات التاريخ مثيلاً، ففى أقل من مائة عام، ورغم قلة عددهم، استطاع العرب الأمجاد وقد اندفعوا لأول مرة فى تاريخهم، خارج حدود جزيرتهم.. أن يستولوا على أغلب بقاع العالم المتحضر القديم: من الهند إلى الأندلس»[3].

«... المسلمون، على عكس ما يعتقده الكثيرون، لم يستخدموا القوة أبداً خارج

(١) أشعة خاصة بنور الإسلام، ص١٨ ـ ١٩.

(٢) أشعة خاصة بنور الإسلام، ص ٣٩.

(٣) محمد رسول الله، ص٣١٥.

حدود الحجاز... لإكراه غيرهم على الإسلام.. وإن وجود المسيحيين فى أسبانيا لدليل واضح على ذلك، فقد ظلوا آمنين على دينهم طوال القرون الثمانية التى ملك فيها المسلمون بلادهم وكان لبعضهم مناصب رفيعة فى بلاط قرطبة. ثم إذا بهؤلاء المسيحيين أنفسهم يصبحون أصحاب السلطان فى هذه البلاد فكان أول هَمٍّ لهم أن يقضوا قضاء تاماً على المسلمين»[١].

«إن القدوة الحسنة التى لا تقترن بمحاولة التبشير المتعصبة، لهى أقوى أثراً فى النفوس التقية من مضايقات القسس المبشرين. ولقد اضطر العالم (دوزى) - رغم تعصبه ضد الإسلام - إلى الاعتراف بأن الكثير من المسيحيين الذين كانوا فى إسبانيا (اعتنقوا الإسلام عن عقيدة)..»[٢].

«... وكيف لا يكون المسلم متسامحاً وهو يحل الأنبياء الذى يجلّهم اليهود والنصارى فموسى بالنسبة إليه (كليم الله) وعيسى (روح الله) يجب تبجيله كما يبجل محمد (حبيب الله): ﴿ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ﴾ (البقرة: ٢٨٥)..»[٣].



(١) محمد رسول الله، ص٣٣٢.

(٢) محمد رسول الله، ص٣٣٣.

(٣) محمد رسول الله، ص٣٣٣.

ول ديورانت

«.. الحق أن حادث (الفتوحات) الجلل الذى تمخضت عنه جزيرة العرب، والذى أعقبه استيلاؤها على نصف عالم البحر المتوسط ونشر دينها الجديد فى ربوعه، لهو أعجب الظواهر الاجتماعية فى العصور الوسطى»(١).

«.. كان أهل الذمة المسيحيون، والزردشتيون، واليهود، والصابئون يستمتعون فى عهد الخلافة الأموية بدرجة من التسامح لا نجد نظيراً لها فى المسيحية فى هذه الأيام. فلقد كانوا أحراراً فى ممارسة شعائر دينهم، واحتفظوا بكنائسهم ومعابدهم.. وكانوا يتمتعون بحكم ذاتى يخضعون فيه لزعمائهم وقضاتهم وقوانينهم..»(٢).

«على الرغم من خطة التسامح الدينى التى كان ينتهجها المسلمون الأولون أو بسبب هذه الخطة، اعتنق الدين الجديد معظم المسيحيين، وجميع الزردشتيون والوثنيين إلا عدداً قليلاً جداً منهم، وكثيرون من اليهود.. وحيث عجزت الهلينية عن أن تثبت قواعدها بعد سيادة دامت ألف عام، وحيث تركت الجيوش الرومانية الآلهة الوطنية ولم تغلبها على أمرها، وفى البلاد التى نشأت فيها مذاهب مسيحية خارجة على مذهب الدولة البيزنطية الرسمى، فإن هذه الأقاليم كلها انتشرت فيها العقائد والعبادات الإسلامية، وآمن السكان بالدين الجديد وأخلصوا له، واستمسكوا بأصوله إخلاصاً واستمساكاً أنسياهم بعد وقت قصير آلهتهم القدامى، واستحوذ الدين الإسلامى على قلوب مئات الشعوب فى البلاد الممتدة من الصين وحتى الأندلس، وتملك خيالهم وسيطر على أخلاقهم، وصاغ حياتهم، وبعث فيهم آمالاً تخفف عنهم بؤس الحياة ومتاعبها، وأوحى إليهم العزة والأنفة، حتى بلغ عدد من يعتنقونه ويعتزون به فى هذه الأيام (مئات الملايين) من الأنفس، يوحد هذا

---

(١) قصة الحضارة، ١٣/٧.

(٢) قصة الحضارة، ٣/١٣٠ ـ ١٣١.

الدين بينهم، ويؤلف قلوبهم مهما يكن بينهم من الاختلافات والفروق السياسية»[١].

«.. فى وسعنا أن نحكم على ما كان للدين الإسلامى من جاذبية للمسيحيين من رسالة كتبت فى عام ١٣١١م تقدر عدد سكان غرناطة المسلمين فى ذلك الوقت بمائتى ألف، كلهم ما عدا ٥٠٠ منهم من أبناء المسيحيين الذين اعتنقوا الإسلام. وكثيراً ما كان المسيحيون يفضلون حكم المسلمين على حكم المسيحيين»[٢].

«.. إن المسلمين ـ كما يلوح ـ كانوا رجالاً أكمل من المسيحيين، فقد كانوا أحفظ منهم للعهد، وأكثر منهم رحمة بالمغلوبين، وقلما ارتكبوا فى تاريخهم من الوحشية ما ارتكبه المسيحيون عندما استولوا على بيت المقدس فى عام ١٠٩٩م..»[٣].



(١) قصة الحضارة، ١٣٣/١٣.

(٢) قصة الحضارة، ١٣/ ٢٩٧.

(٣) قصة الحضارة، ٣٨٣/١٣.

بيجى رودريك

« .. انظر إلى أى مدى يحترم الإسلام الأديان الأخرى ويوقرها ويسمح فى ظل الدولة المسلمة بممارسة كافة الشعائر الدينية.. فالنصارى واليهود هم أهل ذمة عند المسلمين ما لم يحاربوهم، وقد تمتعوا عبر التاريخ الإسلامى الطويل بكافة امتيازات المواطنين ولم يحدث أن سمعوا كلمة تسىء إليهم»[(١)].

« .. ما إن كان الإسلام يدخل بلداً من البلدان المفتوحة حتى يقبل أهلها جميعاً على اعتناقه ويعاملون معاملة الفاتحين سواء بسواء، ومن احتفظ منهم بدينه لقى أكرم معاملة، فمصر وشمال أفريقيا والصومال وبلاد أخرى كثيرة هى أمثلة على البلاد التى فتحها المسلمون العرب فأسلم أهلها وحملوا الإسلام إلى غيرهم وعاشوا أعزة مكرمين فى ظل دولة إسلامية مئات من السنين. فلا مجال إذن للمقارنة بين الفتوحات الإسلامية وبين الاستعمار البغيض الذى يسلب الشعوب كل شىء..»[(٢)].

« .. قوانين الجهاد فى الإسلام تعتبر أكثر القوانين إنسانية ورأفة، فهى تضمن السلامة التامة للنساء والولدان والشيوخ وجميع غير المحاربين فليس هناك فى نظر الإسلام أبشع من جريمة قصف المستشفيات والمدارس وأماكن العبادة ومساكن المدنيين فى المنطقة المعادية. وإنما يجعل الإسلام لهذه المرافق الإنسانية قدسيتها ويحذر من المساس بها فهذه هى الوصية التى كان يوصى بها رسول الله ﷺ قادة المسلمين، وكذلك كان موقف الخلفاء الراشدين من بعده رضى الله عنهم بل لقد ظلت هذه سمة بارزة فى جميع الحروب الإسلامية على مر العصور...»[(١)].

---

(١) رجال ونساء أسلموا، ٦/١١٣ ـ ١١٤.

(٢) رجال ونساء أسلموا، ٦/١١٤ ـ ١١٥.

(٣) رجال ونساء أسلموا، ٦/١١٥.

«الإسلام أذن لرسوله بالجهاد لرفع الظلم والاضطهاد... ولإزالة العقبات التى تقف فى وجه الدعوة للإسلام، تلك الدعوة التى لا تكره أحداً على الدخول فى هذا الدين وإنما تدعو الناس إليه ويترك لهم الحرية الكاملة للاختيار. ولذلك ما إن يدخل الناس فى الإسلام حتى يتمسكوا به، ويستميتوا فى الدفاع عنه... إن الإسلام هو دين السلام، السلام مع الله والسلام مع الناس جميعاً»[1].



(١) رجال ونساء أسلموا، ٦/١١٦.

جاك ريسلر

«قامت الانتصارات المدوية للعرب على أسباب متنوعة يتجلى أهمها فى الخُلُق السامى الذى كان تشرّبه العرب عن الدين الجديد، فقد طبعهم هذا الخلق على جرأة واحتقار للموت، جعلهم لا يُغلبون...»(١).

« ... كان الفتح العربى يملك الرضا الضمنى من السكان الذين كانوا يكرهون الإغريق والفرس ويكرهون استبدادهم الدينى والسياسى، ونظام ضرائبهم الفادحة ولم يعد الوطنيون قادرين على أن يتحملوا أخيراً هذا الاستبداد المتغطرس من حكام أصبح تفوقهم ضرباً من الذكريات. تلك هى الأسباب التى من أجلها استقبلت هذه الشعوب المتأخمة جيرانها ذوى التاريخ الطويل كأنهم ذوو قربى قد أقبلوا لتحريرهم من ظلم الغاصبين الأجانب الممقوت..»(٢).

«لا نزاع فى أن اللغة والدين اللذين انتشرا معاً قاما بدور خطير فى هذا العمر الضخم لتقريب هذه الإمبراطورية الشاسعة وتحويل أبنائها إلى الإسلام. وحطمت هاتان القوتان الحواجز التى كانت تفرق بين الفاتحين وأهل البلاد وحولوا بعض الأجانب إلى عقيدتهم أكثر مما كان لروما فى العصر القديم فى هذا الميدان والأنجلوساكسون فى الفترة المعاصرة. فالذى كان يدين بالإسلام وكان يتحدث ويكتب اللغة، يسمح له أن يعد عربياً، وهذا حدث خطير فى تاريخ الحضارة الإسلامية. ولقد ألغت تلك القوة الموحدة بهذا الأسلوب الحدود السياسية، ومنحت بنحو ما شكلاً موحداً لبلاد مترامية الأطراف فى ثلاث قارات وأصبحت فيما بعد خالية من القيود. وكان المسلم يجد فى كل مكان نفس الدين ونفس الصلوات، ونفس الشرائع»..

---

(١) الحضارة العربية، ص٣٩.

(٢) الحضارة العربية، ص٣٩ ـ ٤٠.

«.. إن المنتصرين سيعتنقون دين المغلوبين الذين نهكوهم، وسوف يجعل من أنفسهم مدافعين بحماسة عن هذا الدين. وتثير هذه الظاهرة العجب، لكنها ليست من الندرة فى تاريخ العالم الإسلامى. لقد كان هذا بالنسبة للأتراك السلجوقيين ثم بالنسبة لأبناء عمومتهم المغول بعد ذلك فى القرن الثالث عشر (الميلادى) وأخيراً بالنسبة للأتراك العثمانيين فى القرن الرابع عشر، وسيظفر الدين الإسلامى بألمع انتصار طيلة الأزمنة الممعنة فى ظلال الفشل والغزو..»(١).

«كانت جميع الأديان لها حق الممارسة المطلقة فى عبادتها، وكان اليهود المطاردون لديهم مطلق الحرية فى اقتناء الثروات ووصلوا أحياناً إلى مراكز سامية، واختلط المسيحيون مع المسلمين.. وحدث أنهم احتفلوا بأعيادهم معاً فى المسجد وفى الكنيسة، ونتيجة لهذه الحرية البالغة أقصى حد شوهد بعض المسيحيين يتخذون لأنفسهم أكثر من زوجه على الرغم من تحريم الكنيسة..»(٢).



---

(١) الحضارة العربية، ص٢٤١.

(٢) الحضارة العربية، ص١٥٤.

جورج سارتون

«.. إن الفاتحين العرب كانوا بلا ريب أميين، ولكنهم كانوا موحدين تماماً، وكان يعمر قلوبهم إيمان وطيد.. وفى هذه أيضاً انتصر النبى ﷺ انتصاراً بيّناً. إن الفتوح العربية لم تكن نتيجة صراع بين برابرة جياع وبين سكان مدن أخذوا يتقهقرون فى سلّم المدنية، بل كان فى الأكثر صراعاً بين دين جديد وثقافة جديدة ناشئة فى المحل الأول، ثم بين ثقافات منحلة متعادية قلقة فى المحل الثانى..»(١).

«إن تفاصيل تلك الجهود المدهشة فى الفتح الإسلامى تهم المؤرخين السياسيين ولكن الحالة النفسية للأسس التى تقوم عليها تلك الفتوح فيما يتعلق بالجانبين (بالعرب ثم بالروم والفرس) هى ذات أهمية كبرى لمؤرخى العلم. لقد سبق للإيمان المسيحى أن تزلزل بالمنازعات اللاهوتية التى امتدت قروناً عديدة، والحرمانات المتبادلة، فقاد ذلك إلى أن استقبل النصارى فى الشرق الأوسط جيوش الفاتحين المسلمين على أنها منقذة لهم من استبداد الكنيسة الأرثوذكسية ثم أن الإسلام.. كان لا يزال غضاً موحداً، كما أن المجاهدين المسلمين كانت تملك عليهم لبّهم آمال عظام... وكان الإيمان فى الإسلام بسيطاً، كريماً ومعتدلاً، ومن ذلك فقد كان بالإمكان أن تشيع فيه الحماسة حين البأس على حد بعيد فينقلب المجاهدون حينئذٍ ذوى حمية إما أن يبلغوا بها الظفر أو أن يسقطوا دونه شهداء. لقد كان الظفر والاستشهاد عندهم سِيَّين..»(٢).

وبمساعدة هذه المؤثرات العجيبة، كان يشعر المسلم فى كل مكان بأنه فى بلده، سواء أكان فى رحلاته خارج الحدود أم فى معاملاته مع تجار البلاد الأجنبية»(٣).

---

(١) الثقافة الغربية فى رعاية الشرق الأوسط، ص٤٦.

(٢) الثقافة الغربية فى رعاية الشرق الأوسط، ص٤٧.

(٣) الثقافة الغربية فى رعاية الشرق الأوسط، ص٤٧.

لوثروب ستودارد

«كان لنصر الإسلام هذا النصر الخارق عوامل ساعدت عليه، أكبرها أخلاق العرب، وماهية تعاليم صاحب الرسالة ﷺ وشريعته والحالة العامة التى كان عليها الشرق المعاصر فى ذلك العهد.. لقد استطاع محمد، وهو يبشر بالوحدانية تبشيراً عارياً عن زخارف الطقوس والأباطيل أن يستثير حق الاستثارة من نفوس العرب الغيرة الدينية الكامنة.. وإذ هبوا لنصرة دعوة ابن عبد الله ـ من بعد ما ذهبت من صدورهم الأحقاد المزمنة والعداوات الشديدة التى كان من شأنها من قبل الذهاب بحولهم وقوتهم ـ وانضم بعضهم على بعض كالبنيان المرصوص تحت لواء الرسالة فى رأسها نور للناس وهدى للعالمين، أخذوا يتدفقون تدفق السيل من صحاريهم فى شبه الجزيرة ليفتحوا بلاد الإله الواحد..»(١).

«.. لم يمض سوى اليسير من الزمن حتى كان السواد الأعظم من الأمم المغلوبة قد دخل فى دين النبى العربى أفواجاً، إيثاراً له... على ذينك الدينيين اللذين صارا غاية فى الانحطاط والتدنِّى... ولم يكن العرب قط أمة تحب إراقة الدماء وترغب فى الاستلاب والتدمير، بل كانوا، على الضدّ من ذلك، أمة موهوبة جليلة الأخلاق والسجايا...»(٢).

«... كان الخليفة عمر رضي الله عنه يرعى حرمة الأماكن المقدسة النصرانية أيما رعاية، وقد سار خلفاؤه من بعده على آثاره، فلا ضيّقوا على النصارى ولا نالوا بمساءة طوائف الحجاج الوافدين كل عام إلى بيت المقدس من كل فج من فجاج العالم النصرانى...»(٣).

---

(١) حاضر العالم الإسلامى، ١/ ٢.

(٢) حاضر العالم الإسلامى، ١/ ٣ ـ ٤.

(٣) حاضر العالم الإسلامى، ١/ ١٣ ـ ١٤.

«لا شىء أدل على هذه النهضة الإسلامية الحديثة الكبرى من هذه اليقظة الروحانية الدينية التبشيرية، الناشئة والمنتشرة خلال مئة السنة الأخيرة، ولا غرابة فى ذلك فقد كان الإسلام على الدوام دين هداية للناس وإخراجهم من ظلمات الشرك إلى نور التوحيد، هذا التاريخ شاهد حق على ما قام به المبشرون المسلمون فى أول عهد الإسلام من الأعمال الجليلة التى لم يقم بمثلها غيرهم من المبشرين. ولا ننسى أن روح التبشير ونشر الدعوة فى سبيل الرسالة لم تبرح حية على الدوام، على انحطاط الممالك الإسلامية وتدنيها. فذلك ما انفك الإسلام طيلة القرون الوسطى ينتشر فى الهند والصين، وبينما كانت الرسالة المحمدية تنتشر فى نائى تلك الأصقاع، كان الترك ينشرونها ويرفعون أعلامها فى شبه جزيرة البلقان، وبين القرنين الرابع عشر والسادس عشر كان المبشرون المسلمون يفتحون بلاد غربى أفريقيا، وجزائر الهند الهولندية، وجزائر الفيلبين فتحاً دينياً مبيناً»[1].

«... عند اعتبار شأن انتشار الإسلام هذا الانتشار يجب أن تعلم العلم اليقين أن كل مسلم هو بغريزته وفطرته مبشر بدينه، ناشر له بين الشعوب غير المسلمة ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، وعلى ذلك أن نشر الرسالة المحمدية لم يقم به رجال التبشير وحدهم.. بل شاركهم فيه جماعات عديدة من السياح والتجار والحجاج على اختلاف الأجناس. ولا يؤخذن من هذا أن لم يقم فى المسلمين مبشرون ارتشفوا كؤوس الحمام فى سبيل الدعوة الإسلامية فعدد المبشرين الذين هم على الطراز كثير، وذلك ظاهر بين فى أمر الطرق الدينية مما لا يحتاج إلى برهان.. وهذه الأعمال التى قام بها المبشرون المسلمون فى غربى أفريقية وأوسطها خلال القرن التاسع عشر إلى اليوم لعجيب من العجائب الكبرى، وقد اعترف عدد كبير من الغربيين بهذا الأمر. فقد قال أحد الإنكليز فى هذه الصدد منذ عشرين سنة (إن الإسلام ليفوز فى أواسط أفريقية فوزاً عظيماً حيث الوثنية تختفى من أمامه اختفاء الظلام مع حلول الصباح، وحيث الدعوة النصرانية باتت كأنها خرافة من الخرافات). وقال مبشر بروتستنتى فرنسى (ما برح الإسلام يتقدم منذ نشوئه حتى

---

(١) حاضر العالم الإسلامى، ١/ ٣٠٠ ـ ٣٠١.

اليوم فلم يعثر فى سبيله إلا القليل، وما زال يسير فى جهات الأرض حتى بلغ قلب أفريقية مذللاً أشق المصاعب ومجتازاً أشد الصعاب، غير واهن العزم فالإسلام حقاً لا يرهب فى سبيله شيئاً، وهو لا ينظر إلى النصرانية، منازعته الشديدة، نظرة المقت والازدراء، فلهذا هو حقيق بالظفر والنصر، إذ بينما كان النصارى يحلمون بفتح أفريقية فى نومهم، فتح المسلمون جميع بقاع القارة فى يقظتهم)..»[1].



(١) حاضر العالم الإسلامى، ١/٣٠١ ـ ٣٠٢.

نصرى سلهب

«.. إن المسيح عليه السلام وأمه والمسيحيين يحتلون فى آيات القرآن الكريم منزلة فريدة وبالتالى فى نفوس المسلمين وقلوبهم. ذلك أن المسلمين يحفظون كلام الله فى كتابه ويؤمنون به كل الإيمان، وربما كانوا فى إيمانهم العميق هذا أكثر تكريماً للمسيح ولأمه من بعض المسيحيين أنفسهم، وإذا كان التاريخ قد سجل فى صفحاته نزاعات وحروباً مؤسفة وقعت بين مسيحيين ومسلمين، فليس من المحتوم أن تكون الأسباب العميقة والخفية لتلك الحروب ذوات طابع دينى... ومهما يكن من أمر فإن حروباً أخرى أوسع نطاقاً وأعمق أثراً وأكثر عدداً وأبلغ ضرراً قد وقعت بين مسيحيين ومسيحيين، وهى ـ كما لا نجهل ـ أفظع الحروب على إطلاقها وأكثرها هولاً»(١).

«... خاضت المسيحية الحروب الصليبية ضد الإسلام لإنقاذ الأماكن المقدسة كما يحلو للمؤرخين أن يرددوا، والحروب الصليبية هذه كانت أحد الأخطاء التاريخية العظمى... فالأماكن المقدسة لم تكن فى خطر ولم يحاول واحد من الحكام المسلمين أن يمحوها أو أن يزيلها من الوجود.. بل على العكس من ذلك فقد تجنب الخليفة عمر رضي الله عنه، فى فجر الإسلام، الصلاة فى كنيسة القيامة بغية الحفاظ على طابعها المسيحى، وكذلك فعل الآخرون، على مرّ الزمن»(٢).

«العهدة العمرية (التى منحها ابن الخطاب رضي الله عنه لأهل بيت المقدس) هل تعدلها عهدة فى التاريخ نبلاً وعدلاً وتسامحاً:

(بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل القدس من أمان: أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم.. لا

---

(١) لقاء المسيحية والإسلام، ص٤١.

(٢) لقاء المسيحية والإسلام، ص٥٤.

يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم..). أى خاسر حرباً من حروب التاريخ حظى بمثل هذه العهدة من غالب منتصر؟... ويبقى المسلمون فى الشرق، وفى فلسطين بالذات، ثلاثمائة سنة، وألفاً، فلا يمس فيها للمسيحى أثر، بل تستمر الكنائس والأماكن المقدسة فى حرمة ومنعة...»[١].



(١) لقاء المسيحية والإسلام، ص٢٣١.

أحمد سوسه

«.. يستحسن بأتباع موسى وعيسى (عليهما السلام) أن يراجعوا التاريخ الإسلامى ليقفوا على ما يأمر به الإسلام بشأن الرفق بالأطفال والنساء والشيوخ وغير المقاتلين بصورة عامة. ويثبت لنا التاريخ عدا ذلك أن المسلمين ساروا وفق شريعتهم القاضية بوجوب عدم مس الأطفال والنساء والشيوخ بكل أمانة وحرص حتى فى الظروف التى كان فيها العدو بالمقابل يقتل الأطفال والنساء وغير المحاربين من المسلمين...»[1].

«... وجد اليهود تحت راية الإسلام أمناً وعدلاً اتقوا به شر الاضطهاد والاعتداء، وقد مضت عليهم قرون عديدة وهم فى خير وثراء...»[2].

«.. من جملة ما حمله (الصليبيون إلى بلادهم) تلك الخلة (الإسلامية) الشريفة، خلة احترام الأديان وإطلاق الحرية لأهل الدين فى تأدية فرائضهم مع احترام ما يجلّونه من العادات والتعاليم الروحية..»[3].

«.. إن الإسلام شريعة العدل والإنسانية وإنه ينطوى على مبادئ تفوق السيف فى قوتها واستقامتها، وإن منهج اللطف فى دعوته إلى حقيقة التوحيد يجتذب القلوب ويسحر العقول ويأسر الناس بلا سيف ولا قتال»[4].



---

(١) فى طريقى إلى الإسلام، ١/٩٤.

(٢) فى طريقى إلى الإسلام، ١/١٣٠.

(٣) فى طريقى إلى الإسلام، ١/١٣٣.

(٤) فى طريقى إلى الإسلام، ٢/٣٨.

بشير أحمد شاد

«... السؤال الذى كان يقلقنى هو أننا نحن النصارى نزعم أن الإسلام.. انتشر بحدّ السيف. فقلت لنفسى: فلماذا تقبل الناس الإسلام ولا يزالون يعتنقونه فى كل ركن من العالم؟ لماذا يهتدى الناس فى كل بلد إلى هذا الدين كل يوم دون إكراه أو جبر من أى نوع؟»(١).

«لم يحدث قط فى حياتى أن لقيت أو سمعت عن رجل واحد من غير المسلمين أُكره على الدخول فى الإسلام قسراً. وهذا ينطبق على الناس فى الهند وباكستان وفى بقية أجزاء العالم. ففى الهند مثلاً ظل الحكام المسلمون سادة القارة وحكامها لعدة قرون ورغم ذلك بقى الهندوس يشكلون دائماً أغلبية السكان. فقد سمح لهم، كما سمح لكافة الطوائف الأخرى بممارسة شعائرها الدينية بكل حرية فى ظل الحكم الإسلامى. كما لم يحدث قط أن نزل جندى مسلم واحد على أرض إندونيسيا أو ماليزيا.. ومع ذلك فالغالبية العظمى من الشعب الإندونيسى هم من المسلمين. وأكثر من نصف سكان (ماليزيا) مسلمون. فكيف يزعمون أن الإسلام قد انتشر بالسيف؟ لقد وجدت، على العكس من ذلك، أن الإسلام هو دين الرحمة والحب والتعاطف الإنسانى. وهذه كلها اتهامات جائرة ومفتريات لا أساس لها من الصحة. وهذه نقطة أخرى من أجلها اعتنقت الإسلام»(٢).



(١) رجال ونساء أسلموا، ١٧/٧ ـ ١٨.

(٢) رجال ونساء أسلموا، ٧/٢١ ـ ٢٢.

شبولر[1]

(١)

«إن المسيحية والإسلام يقفان موقفين مختلفين فى موضوع الأقليات الدينية. أن المسيحية لم تسمح بوجود الأديان الغريبة فى أراضيها (باستثناء الدين اليهودى) أما فى الإسلام فكان يوجد تبادل ثقافى بين المسلمين وغير المسلمين.. وهذا الفرق الملحوظ يمكن تفسيره بأن المسيحية شهدت قيام دين منافس لها (وهو الإسلام الذى كان ظهوره، إذا تكلمنا من الناحية الواقعية مناقضاً لادعاء المسيحية بأنها آخر وحى منزل). أما الإسلام فقد اعترف نظامه الدينى منذ البداية بالعقائد الأخرى التى كانت تعيش معه جنباً إلى جنب... وبهذه الطريقة أصبح من الممكن أن ينقل النساطرة الثقافة الكلاسيكية وأن يقوم اليهود بدورهم فى بلاد الأندلس الإسلامية»[2].



(١) بارتولد شبولر b. spuler: تخرج من الجامعات الألمانية، وعين معيداً للدراسات الإسلامية دفعة لغات الشرق الأدنى (١٩٣٩) فى جامعة جوتنجن، وأستاذ كرسى فى جامعة ميونخ (١٩٤٢) وعدد من الجامعات الأخرى كما عمل أستاذاً زائراً فى جامعتى أنقرة واسطنبول (١٩٥٥ ـ ١٩٥٦) يجيد العديد من اللغات، وتخرج عليه عدد من المتخصصين من البلدان الإسلامية.

من آثاره: (مغول إيران) (١٩٣٩) و(المغول فى روسيا) (١٩٤٣) و(تاريخ البلدان الإسلامية) (١٩٥٢ ـ ١٩٥٣).

(٢) الوحدة والتنوع فى الحضارة الإسلامية (تحرير كرونباوم)، ص٢٣٩.

لورافيشيا فاغليرى

«إن التاريخ لم يشهد، قط، ظاهرة مثل (ظاهرة الفتوحات) هذه من قبل ومن العسير على المرء أن يقدر السرعة التى حقق بها الإسلام فتوحه، والتى تحوّل بها من دين يعتنقه بضعة نفر من المتحمسين إلى دين يؤمن به ملايين الناس. ولا يزال العقل البشرى يقف ذاهلاً دون اكتشاف القوى السّرّيّة التى مكنت جماعة من المحاربين.. من الانتصار على شعوب متفوقة عليه تفوقاً كبيراً فى الحضارة، والثروة، والخبرة، والقدرة على شن الحرب... ومن أدعى الأمور إلى الدهشة أن نلاحظ كيف استطاع أولئك الناس أن يحتلوا تلك المناطق كلها، وأن يثبتوا بعد ذلك فتوحهم على نحو جعل حتى الحروب المتعاقبة قرناً بعد قرن عاجزة عن إخراجهم منها، وكيف استطاعوا أن يلهبوا نفوس أتباعهم بتلك الحماسة الفائقة لمثلهم العليا، وأن يحتفظوا بحيوية نابضة لم تعرفها الأديان الأخرى حتى بعد انقضاء عشرة قرون على وفاة محمد ﷺ، وأن يفرغوا فى عقول أتباعهم، على الرغم من انتسابهم إلى عصر وثقافة مختلفين كل الاختلاف عن عصر المسلمين الأولين وثقافتهم إيماناً متقداً لا يحجم عن القيام بأيما تضحية مهما غلت»[1].

« .. لقد تحرك الجيش (الإسلامى) فى سرعة، وتتابعت المعارك، وبدا النجاح وكأنه قد جعل لأقدام الفاتحين أجنحة: فقد ترددت فى خلافة أبى بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم أصداء الأنباء البهيجة الحاملة بشائر الانتصارات الرائعة. وقد اتبعت هذه الانتصارات بتنظيم البلدان المفتوحة وتوطيد أقدام العرب فيها. ولم يكن هذا الصنيع أقل إعجازاً من الفتوح نفسها. لقد قوضت حضارتان وزعزع دينان، وإذا بفيض جديد من حياة عارمة يتدفق فى عروق تلك الشعوب الخائرة

---

(١) دفاع عن الإسلام، ص٢٢.

القوى. لقد تجلى أمام عيون العالم المندهش دين جديد، بسيط، سهل، يخاطب القلب والعقل جميعاً، وأقيم شكل جديد من أشكال الحكومة كان أسمى إلى حد بعيد - فى خصائصه ومبادئه الأخلاقية - من تلك المعروفة فى ذلك العصر. وبدأ الذهب الذى كان مخبوءاً فى صناديق السراة ينتقل إلى أيدى الفقراء، مستهلاً نظاماً فى التداول السليم كَرَّةً أخرى وفى ظل من حكومة تسيرّها مثل عليا ديمقراطية أمينة، وجد الرجال المثقفون البارعون الأذكياء تشجيعاً من النظام الجديد، فاستطاعوا أن يبلغوا أسمى المناصب العامة. ومن الممكن القول، فى اطمئنان، إن البلاد المفتوحة عرفت - على الرغم من بعض الحالات المحتومة النادرة التى تجاوز فيها الجند حدودهم أثناء الفتح - عهداً من الرخاء والازدهار، وشهدت غنى لم تشهده آسيا منذ قرون طويلة. وإلى هذا فقد نعمت حياة الشعوب المغلوبة وحقوقها المدنية وأموالها بدرجة من الحماية تقارب تلك التى نعم المسلمون أنفسهم»[١].

«أزعج التحول السياسى والدينى العميق (الذى أحدثته الفتوحات) طائفة من الناس فراحوا يتساءلون ما الذى أدى إلى حدوثه، ولكن كثيراً منهم كان عميّاً، أو كانوا يغمضون أعينهم عمداً هائمين طويلاً وعلى نحو يائس فى متاهة التخمينات الخاطئة. إنهم لم يستطيعوا أن يدركوا أن القوة الإلهية وحدها كان فى ميسورها إن تقدم الحافز الأول لمثل هذه الحركة الواسعة. إنهم لم يريدوا أن يعتقدوا أن حكمة الله وحدها كانت مسؤولة عن رسالة محمد ﷺ، آخر الأنبياء الكبار حملة الشرائع عليهم السلام والنبى الذى ختم سلسلتهم إلى الأبد. أن مثل هذه الرسالة كان يتعين عليها أن تكون رسالة عالمية لجميع أفراد الجنس البشرى من غير تمييز وعلى اختلاف الجنسيات والأوطان والأعراق. لقد كان أولئك إما عميّا وإما غير راغبين فى أن يروا...»[١].

«.. كان العرب المنتصرون مستعدين دائماً - حتى وهم فى أوج قوتهم وانتصارهم - لأن يقولوا لأعدائهم: (ألقوا السلاح وادفعوا جزية يسيرة نسبغ عليكم

(١) دفاع عن الإسلام، ص٢٦ - ٢٨.

حماية كاملة. أو اتخذوا الإسلام ديناً وادخلوا فى ملتنا تتمتعوا بالحقوق نفسها التى نتمتع بها نحن). وإذا نظرنا إلى ما أوحى إلى محمد ﷺ أو إلى الفتوح الإسلامية الأولى سهل علينا أن نرى مدى الخطأ الذى ينطوى عليه الاتهام القائل بأن الإسلام فرض بالسيف وأن انتشاره السريع الواسع لا يمكن تفسيره إلا بهذه الوسيلة»[٢].

«كان المسلمون لا يكادون يعقدون الاتفاقات مع الشعوب حتى يتركوا لها حرية المعتقد، وحتى يحجموا عن إكراه أحد من أبنائها على الدخول فى الدين الجديد. والجيوش الإسلامية ما كانت تتبع بحشد من المبشرين الملحاحين غير المرغوب فيهم، وما كانت تضع المبشرين فى مراكز محاطة بضروب الامتياز لكى ينشروا عقيدتهم أو يدافعوا عنها. ليس هذا فحسب. بل لقد فرض المسلمون، فى فترة من الفترات، على كل راغب فى الدخول فى الإسلام، أن يسلك مسلكاً لا يساعد من غير ريب على تيسير انتشار الإسلام. ذلك أنهم طلبوا إلى الراغبين فى اعتناق الدين الجديد أن يمثلوا أمام القاضى ويعلنوا أن إسلامهم لم يكن نتيجة لأى ضغط، وأنهم لا يهدفون من وراء ذلك إلى أى كسب دنيوى. والواقع أن اليهود والنصارى لم يمنحوا حرية المعتقد الدينى فحسب، بل عهد إليهم فى تولّى المناصب الحكومية حين كانت مؤهلاتهم الشخصية من القوة بحيث تلفت انتباه الحاكمين..»[٣].



(١) دفاع عن الإسلام، ص٢٨.

(٢) دفاع عن الإسلام، ص٣٢.

(٣) دفاع عن الإسلام، ص٣٥، ٣٦.

روجيه جارودى

«أسطورة أخرى ينبغى القضاء عليها: تلك التى أراد الاستعمار الفرنسى فرضها حين صوّر التوسع العربى بدءاً من القرن الميلادى الثامن على أنه تدفق (الهمجية الآسيوية) على الغرب»(١).

«إن ما يطلق عليه اسم (غزو إسبانيا) لم يكن غزواً عسكرياً، لقد كان عدد سكان إسبانيا فى ذلك الحين زهاء عشرة ملايين نسمة ولم يزد عدد الفرسان العرب فى الأراضى الإسبانية البتة على سبعين ألفاً وإنما لعب التفوق الحضارى دوراً حاسماً»(٢).

«إن ما حققه العرب فى إسبانيا يجعلنا نفكر فى الحرب الثورية التى نهض بها ماو (فى الصين) فقد جلبوا معهم نظاماً اجتماعياً أعلى جداً من النظام الراهن، وسرعان ما ظهروا بمظهر محررين. أولاً بإنقاذ الأقنان (العبيد) من وصاية ملوك (القوط) فى عصر انحاطهم. ثم بعدم امتلاكهم الأراضى - والقرآن يمنع ذلك - ولكن بالاكتفاء بالخراج»(٣).

«.. لماذا هبّ هذا «الإعصار» القادم من الشرق وانتشر بمثل هذه السرعة العظمى من بحر الصين إلى المحيط الأطلسى؟ إن العامل الحاسم هو أن العربى قد جلب معه أشكالاً أعلى فى مجالات التنظيم الاجتماعية وحتى الاقتصادية، ولذا نجده يحظى بقبول الجماهير فى عالم يقر نظام الرق وهو فى حالة تفسّخ تام»(٤).

---

(١) حوار الحضارات، ص٩٦.

(٢) حوار الحضارات، ص٩٧.

(٣) حوار الحضارات، ص٩٧.

(٤) حوار الحضارات، ص١٠١.

«.. حدثنى مبشر فى (كميرون) وهو يائس فقال:

(إن بعثاتنا تقدم المسيحية على نحو كما لو أن الله لم يظهر فى صورة إنسان وإنما ظهر فى صورة غربى). فكيف ندهش أمام تقدم الإسلام المذهل فى أفريقية السوداء فى عصر الاستقلال إعراباً عن رفض المستعمر؟»[1].



(١) حوار الحضارات، ص٢٦٧.

ادوين كالغرلى

« .. لم يحمل المسلمون أثناء غزواتهم المنتصرة أحداً من المسيحيين أو اليهود على اعتناق الإسلام. فقد أقر الإسلام لأهل الكتاب بحرية ممارسة شعائر دينهم بشرط دفع الجزية. وكل ما طالبهم به هو أن يسلموا للدين الجديد بالسيادة المدنية والسياسية التى تمثلت فى الدولة الإسلامية..»[1].

« ... احتفظ المسلمون للأقليات غير المسلمة فى البلاد (التى فتحوها) بحقوقهم وامتيازاتهم الدينية..»[2].

« ... فى القرآن آية كريمة تفيض بالصدق والحكمة يعرفها المسلمون جميعاً ويجب أن يعرفها غيرهم، وهى تقول بأن:

﴿ لا إِكْرَاهَ فِى الدِّينِ﴾ **(البقرة: ٢٥٦)**..»[3].



(١) الشرق الأدنى: مجتمعه وثقافته (بإشراف كويلر يونغ)، ص ١٦٣ ـ ١٦٤.

(٢) نفسه، ص١٦٤.

(٣) الشرق الأدنى، ص١٨٢.

كلود كاهن

«يبدو لنا نشوء الإسلام مع فتوحاته الخاطفة وكأنها من الأمور الخارقة. ثمة شعب خامل الذكر - حتى تلك الفترة من الزمن - استطاع أن يجمع كلمته بدافع عقيدة جديدة. وما هى إلا سنوات حتى بسط سلطانه على الإمبراطورية الساسانية قاطبة وكذلك على جميع الأقاليم الآسيوية والأفريقية التابعة للدولة البيزنطية باستثناء غربى آسيا الصغرى، ثم لم يلبث أن ضمّ إليه الجزء الأكبر من إسبانيا بالإضافة إلى جزيرة صقلية، واستولى مؤقتاً على مواقع أخرى فى قارة أوروبا. وهو فى الوقت نفسه قد طرق أبواب الهند والصين والحبشة والسودان الغربى وبلاد غالية ومدينة القسطنطينية. فتداعت أمامه أعرق الدول، وخضعت لهذا الدين الجديد جميع الديانات التى استقرت فى البلاد المترامية الأطراف من نهر سيحون حتى السنغال»(١).

«.. حافظت الأقوام المغلوبة على حرية إقامة شعائرها لا يحدّها فى ذلك سوى الامتناع عن تلك التظاهرات العامة التى تؤذى المسلمين فى المناطق الآهلة بهم. كما حافظت تلك الأقوام على شرائعها الخاصة.. ورأى المسلمون فى أداء الضريبة لهم اعترافاً بالسيادة العليا للأمة الإسلامية ولقاء ذلك استبقى الأهالى ما يملكون من عقارات ونزل العرب خارج ممتلكاتهم.. وكان على المغلوبين أيضاً واجب الوفاء والإخلاص للفاتحين، وبخاصة فى فترات الحروب كإيواء المسلمين وتزويدهم بالأخبار والامتناع عن إفشاء المعلومات للعدو..»(٢).

«حقيق بنا أن نبدد بعض الأخطاء التى دامت قروناً عديدة. فقد قاتل الصليبيون الأتراك فى العهود اللاحقة ونظمت فى الغرب الدعوة لمكافحتها فاستنتجوا من ذلك أن النظام السياسى (السلجوقى) الجديد قد وصم بتعصب من

---

(١) تاريخ الغرب والشعوب الإسلامية، ١/ - ٥ - ٦.

(٢) نفسه، ١/ ٢٨.

نوع خاص، وهذا أمر باطل... (لأن) الاضطهاد الوحيد الذى سجله التاريخ وقتئذٍ هو ذلك الذى أمر به الخليفة (الحاكم) فى مصر. وهو حادث شاذ تم خارج الإمبراطورية التركية وقبل قيامها. ولم يميّز المؤرخون الغربيون بين آسيا الصغرى (وفيها كان التركمان سبباً فى قيام الاضطراب..) وبين كافة العالم السلجوقى. وبين أيدينا العديد من الشهادات والقرائن التى تنهض دليلاً على أن المسيحيين من أهل البلاد كانوا على العكس، من ذلك قد هلّلوا فرحاً لحكومة السادة الجدد عقب عودة النظام (بمجىء السلاجقة) ولم يخطر لهم مطلقاً أن يستنجدوا بالغرب لينقذوهم»(١).

«لا تعنى السمة الإسلامية الواضحة للدول السلجوقية أنها تضم فقط الرعايا المسلمين، كما لا تعنى أن الذميين قد ضاقوا به ذرعاً. وحقيق بنا ـ هنا أيضاً أن نبدد كثيراً من الأخطاء الصادرة أحياناً عن نية حسنة. قلنا إن الفتح التركمانى كان قاسياً وإنه أدى فى بعض الظروف إلى كوارث فاجعة. لكن الوضع القانونى للنصارى المحليين لم يختلف عما كان عليه فى الدول الإسلامية العريقة بعد أن استقر النظام السياسى فى البلاد، ولو أن المناوشات استمرت على الحدود بصورة متقطعة، بل غالباً ما كان وضعهم فى آسيا الصغرى أفضل من الناحية الفعلية بحكم غالبيتهم العددية الثابتة. وهكذا تقدم لنا الدولة السلجوقية تداخلاً لعناصر متباينة جداً، ولا نرى فيها أناساً متذمرين حقاً، أو أناساً يعاودهم الحنين فعلاً إلى استرجاع الماضى أو استعادة السيادة البيزنطية مثلاً، وهى لم تترك فى أذهان الناس ذكريات سعيدة فقط فى مجال الفدائية والمنازعات الطائفية..»(٢).

«استطاع الإسلام أن يعوض عن الخسائر التى تكبدها فى البحر المتوسط بمكاسب حصل عليها فى أفريقيا السوداء وآسيا الجنوبية الشرقية. ففى السودان كانت القوافل المغربية قد نشرت الإسلام منذ زمن بعيد.. أما الزعماء الزنوج المحليون فقد وجدوا فى الإسلام مبادئ وتعاليم تساعدهم على إنشاء مؤسسات سياسية أرسخ بنياناً من تلك التى عهدوها قديماً فى بلادهم. وامتدت سيادة

(١) المصدر السابق، ١/٣٥٥.

(٢) نفسه، ١/٣٦٧.

إمبراطورية (مالى) (القرن الرابع عشر) مع حاضرتها (تومبوكتو) فى المركز، وكذلك سيادة إمبراطورية (غاوا) التى خلفتها فى القرن الخامس عشر من الغابات العذراء حتى الواحات الصحراوية المغربية. وانتشرت الثقافة الإسلامية فى تلك البقاع على يد العلماء المغاربة ومختلف النازحين (الأندلسيين). وفى بلاد (تشاد) التفت تأثيرات مغربية ومصرية. ثم لم يلبث أن قدم النخاسون الأوربيون فأوقفوا هذا التقدم الثقافى الذى أحدثه الإسلام - ولو من بعض الوجوه - قبل مجىء الغربيين بأمد بعيد»(١).



(١) المصدر السابق، ٤٠٤/١.

هاملتون كب

«انبثق الإسلام انبثاقاً مفاجئاً فى بلاد العرب، وأقام بسرعة تكاد تعزّ على التصديق، فى أقل من قرن من الزمن، إمبراطورية جديدة فى غربى آسيا وشواطئ البحر المتوسط الجنوبية والغربية»[١].

«لقد تمت الفتوحات (الإسلامية) دون أن تزعزع اقتصاديات البلاد المفتوحة، وعلى أثرها أقام الفاتحون توّا سلطة مركزية منظمة»[٢].

«فى التاريخ أمثلة على توسّع الدول لا سبيل إلى تعليلها، لكن ليست هناك سوى أمثلة قليلة جداً على دولة تكونت على هذا النحو واستطاعت أن تبلغ ما بلغته الدولة الإسلامية من استمرار واستقرار نسبيين»[٣].

«لنأخذ بعين الاعتبار المظاهر الخارجية للحيوية التى برهن عليها الإسلام خلال الحقبة (التالية) من الزمن مثل قيام الإمبراطورية العثمانية فى الشرق الأدنى وإمبراطورية المغول فى الهند.. ازدهار إندونيسيا، ماليزيا، ازدياد عدد المسلمين فى الصين، طرد الإسبانيين والبرتغاليين من مراكش، امتداد المنطقة الإسلامية فى أفريقيا الغربية والشرقية، كان من السهل واليسير على المؤرخين القدامى أن ينظروا إلى جميع هذه الأحداث أو أغلبها نظرتهم إلى حركات عسكرية صرفة. ولا يمكن بالطبع أن يغيب عن الذهن هذا العنصر المتعلق بالقوة العسكرية الغازية التى وضعها الإسلام بتلك الفترة. ومع ذلك فإن أية عقيدة غازية تنمو وتمتد هى عقيدة حية. إنها تبين منذ ذلك الوقت أنها أكثر من مجموعة من المعتقدات والتطبيقات الجافة. نحن كذلك نعرف فى الوقت الحاضر أكثر من أى وقت مضى الإيمان الذى

(١) دراسات فى حضارة الإسلام، ص٤.

(٢) نفسه، ص٨.

(٣) نفسه، ص٣٥.

تلعبه هذه العقيدة الحية التى مهدت الطريق بل كل شىء لهذه القوة العسكرية وساعدتها بعد ذلك على التشكل وتكييف التركيب الداخلى وتنظيم الإمبراطورية، كما ساعدت على ترميم التخريبات الناتجة عن الحروب، وإعادة تنظيم التركيب الاجتماعى...»(١).



(١) الاتجاهات الحديثة فى الإسلام، ص٢٨ ـ ٢٩.

كرامــرز[1]

«لو رسمنا خريطة تبين الأحوال السياسية الأوروبية وغربى آسيا فى حوالى منتصف القرن العاشر (الميلادى) لوجدنا أن القسم الأعظم من العالم المسكون كان مسكوناً بأمم تخضع للحكم الإسلامى وتسودها الحضارة الإسلامية. إنها لم تكن فى ذلك الزمن وحدة سياسية متينة العرى، بل كانت مرتبطة فيما بينها برباط قوى من الدين والحضارة، حتى إن سكانها ـ مع أنهم لم يكونوا من المسلمين قط ـ كانوا يشعرون بأنهم رعايا دولة إسلامية مترامية الأطراف مركزها الدينى مكة ومحورها السياسى بغداد. هذه الإمبراطورية العظيمة نمت وبلغت أشدها فى القرون الثلاثة الأولى من تاريخ الإسلام، بسلسلة من الفتوحات ابتدأت من المدينة المنورة، وكان ميدانها ومركز ثقلها شبه جزيرة العرب.. ومع أن الأقاليم (التى فتحها الإسلام) تختلف إذا قورنت بالبلاد التى يسكنها المسلمون الآن فضلاً عن أنها أوسع رقعة، فالحقيقة التى لا يكن دحضها أنها كانت تؤلف كتلة دينية واحدة فضلاً عن وحدة سياسية متينة العرى متراصة البنيان جمعت بينها قوة السلاح وجعلت سكانها يقفون فى العالم كأعظم قوة مركزية متحدة عرفها البشر..»[2].

«.. إن أورشليم (القدس) المركز الدينى الأسمى لأوربا النصرانية دخلت منذ السنة ٦٣٨م فى حوزة الإسلام. إلا أن الفتح الإسلامى لم يمنع من زيارة القبر المقدس أو يحول بين الأوربيين المسيحيين وبين إنجاز هذه الفرصة الدينية..»[3].

---

(١) البروفيسور جى. م. ج كرامرز Prof. J. M. Kramers: ولد بهولندا، سنة ١٨٩١، وكان أستاذاً للتركية والفارسية فى جامعة ليدن حتى سنة ١٩٣٩، اشتغل من ١٩١٥ حتى ١٩٢١ مترجماً للسفارة الهولندية فى الأستانة. كان أحد المساهمين فى كتابة كثير من الموضوعات فى دائرة المعارف الإسلامية، وألف كتاب: (فن التاريخ عند الأتراك العثمانيين) (١٩٤٤).

(٢) تراث الإسلام، (إشراف سير توماس أرنولد)، ص١٢٧ ـ ١٢٨.

(٣) نفسه، ص١٢٩.

جوليفيه كستلو

«... ما كان الحكم التركى الذى امتد ظله إلى المجر ظالماً ولا قاسياً، فقد كان العثمانيون يرعون أديان الشعوب المحكومة ويحترمون عاداتها وظلت تركية متمسكة بهذه القاعدة إلى القرن العشرين، وما تعمدت قط أن تتمثل العناصر بل اكتفت بفرض الضرائب عليهم. وقد رأينا الشعوب التى خضعت لحكم السلطنة أضاعت قوميتها وكانت مع هذا أيام استعبادها أسعد حالاً من العصور المضطربة المحاربة أيام استقلالها، وربما لم تريح إلى اليوم من هذا التبدل فى الحكم..»(١).

* * *

كمبل(٢)

«.. لا يقتصر نفور (الأفريقى) على المنهاج الغربى، بل يتعداه إلى وجوب البحث عن منهاج آخر أوفق للعقل الأفريقى والظروف الأفريقية، مع تفضيل الإسلام - لتسليمه بمواطن الضعف الإنسانى وإغضائه عن فوارق الألوان - على المسيحية بما تدعو إليه من الدقة وتشتمل عليه من الكهنوتية المعقدة والاعتراف بالفوارق الكثيرة، فضلاً عن الارتباط بين وجودها ووجود الطبقات الحاكمة..»(٣).



(١) قانون التاريخ، (عن محمد كرد على: الإسلام والحضارة العربية)، ٢/٤٩٦ - ٤٩٧.

(٢) جورج كمبل G. Kimble: رئيس قسم الجغرافية بجامعة إنديانا الأمريكية، مؤلف كتاب (أفريقية الاستوائية) فى مجلدين.

(٣) أفريقية الاستوائية، عن العقاد: ما يقال عن الإسلام ص١١٢ - ١١٣.

ايفلين كوبولد

«... إن الإسلام لا يعرض لمعتنقى الأديان الأخرى بسوء وهو لا يحملهم على قبول دينه والنزول تحت شرعته.. كما أنه لم يحارب الذين لم يعتنقوا دينه، ولا عمل على قتلهم وحرقهم وتعذيبهم كما فعل غيره وسواه، وآية القرآن الكريم ظاهرة بينة: ﴿ لا إِكْرَاهَ فِى الدِّينِ﴾ (البقرة ٢٥٦)..»[١].

«هذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه دخل بيت المقدس فاتحاً ظافراً.. أدركته الصلاة وكان فى داخل كنيسة القيامة، فخرج منها وصلى خارجها. ولما سأله البطريرك عن سبب ذلك قال له: أخشى أن يتخذ المسلمون بعدى من صلاتى هذه فى الكنيسة حجة لقلبها إلى مسجد فيخرقون المعاهدة بذلك.. وبذلك حفظ الفاروق للمسيحية كنيستهم الأولى...»[٢].

«لما استرجع السلطان صلاح الدين بيت المقدس بعد معارك عديدة، وطرد الصليبيين من البلاد أظهر فى حروبه ومعاركه كل ألوان الرفق والرحمة والعطف والعفو عند المقدرة، وقد حفظ له كثير من كتاب الغرب هذه الصفات، ولم يتأخروا من المجاهرة بها والإقرار بأنه كان أشرف الأعداء وأطهر الفاتحين»[٣].

«مما يجدر ذكره أن صلاح الدين لما افتتح القدس وكانت أفعال الصليبيين الدامية بأهلها لا تزال ملء السمع والبصر، وأبى أن يعامل المغلوبين إلا بالحسنى والرفق، ورفض الانتقام من الذين أساءوا وأحرقوا ودمروا وزاد ندى فسمح لجميع المسيحيين بمغادرة المدينة تحت رعاية رجاله ومحافظة قواده»[٤].



(١) البحث عن الله، ص٩٣.
(٢) نفسه، ص٩٤.
(٣) نفسه، ص٩٥.
(٤) نفسه، ص٩٥ ـ ٩٦.

كولدتسيهر

«... إنه مما لا يمكن إنكاره أن الأوامر القديمة التى وضعت للمسلمين الفاتحين إزاء أهل الكتاب الخاضعين لهم، أثناء هذه المرحلة الأولى من التطور الفقهى كانت قائمة على روح (التسامح) وعدم التعصب. وأن ما يشاهد اليوم مما يشبه أن يكون تسامحاً دينياً فى علاقات الحكومات الإسلامية، ونجد ظواهر هذا التشريع فى الإسلام فى كتب الرحالة فى القرن الثامن عشر، يرجع إلى ما كان فى النصف الأول من القرن السابع من مبادئ الحرية الدينية التى منحت لأهل الكتاب فى مباشرة أعمالهم الدينية»[1].

«روح التسامح فى الإسلام قديماً، تلك الروح التى اعترف بها المسيحيون المعاصرون أيضاً، كان لها أصلها فى القرآن:

﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ (البقرة: ٢٥٦)...، وقد جاءت الأخبار عن السنين العشر الأولى للإسلام بمثل للتسامح الدينى للخلفاء، إزاء أهل الأديان القديمة، وكثيراً ما كانوا يوصون فى وصاياهم للفاتحين بالتعاليم الحكيمة، ومن المثل لذلك عهد النبى ﷺ مع نصارى نجران، الذى حوى احترام منشآت النصارى، ثم هذه القواعد التى أعطاها لمعاذ بن جبل عند ذهابه إلى اليمن (لا يزعج يهودى فى يهوديته). وفى هذه الدائرة العالية كانت أيضاً عهود الصلح التى أعطيت للنصارى الخاضعين للدولة البيزنطية التى اندمجت فى الإسلام وبموجبها كانوا - فى مقابل دفع الجزية - يستطيعون مباشرة شؤونهم الدينية من غير إزعاج لهم..»[2].

«وكما أن مبدأ التسامح كان جارياً فى الأعمال الدينية، كذلك من جهة أخرى كان يراعى فقهياً، فيما يتعلق بالمعاملات المدنية والاقتصادية بالنسبة لأهل الكتاب

---

(١) العقيدة والشريعة فى الإسلام، ص٤٥.

(٢) العقيدة والشريعة فى الإسلام، ص٤٦.

مبدأ الرعاية والتساهل، فظلم أهل الذمة، وهم أولئك المحتمون بحمى الإسلام من غير المسلمين، كان يحكم عليه بالمعصية وتعدى الشريعة. ففى بعض المرات عامل حاكم إقليم لبنان الشعب بقسوة عندما ثار ضد ظلم أحد عمال الضرائب، فحكم عليه بما قاله الرسول ﷺ:

«من ظلم معاهداً، وكلفه فوق طاقته فأنا حجيجه يوم القيامة». وفى عصر أحدث من هذا ما رواه بورتر Porter فى كتابه «خمس سنين فى دمشق» من أنه رأى بالقرب من بصرى (بيت اليهود) وحكى أنه كان فى هذا الموضع مسجد هدمه عمر رضي الله عنه لأن الحاكم قد اغتصبه من يهودى ليبنى عليه هذا المسجد»[1].



(١) نفسه، ص٤٦، ٤٧.

عبد الله بن كويليام

«إن سرعة انتشار الإسلام (فى العصر الحديث) يرجع إلى عدم الخلط والخبط فى أصوله وبنيانه الأمر الذى جعل له مكاناً ثابتاً فى قلوب أهله وكل من تدين به بخلاف النصرانية فإنها مزعزعة الأركان قلّما يكون لها ثبات عند الإنسان لما فيها من التبديل والتغيير والتحريف والتحوير... لقد أفاد الإسلام التمدن أكثر من النصرانية ونشر راية المساواة والأخوة، وهذه الأدلة نذكرها نقلاً عن تقارير الموظفين من الإنكليز. وعما كتبه أغلب السيّاح عن النتائج الحسنة التى نتجت من الدين الإسلامى، فإنه عندما تتدين به أمة من الأمم السودانية (الأفريقية) تختفى من بينها فى الحال عبادة الأوثان، واتباع الشيطان والشرك، وتحرم أكل لحم الإنسان وقتل الرجال ووأد الأطفال وتضرب عن الكهانة، ويأخذ أهلها فى أسباب الإصلاح وحبّ الطهارةو اجتناب الخبائث والرجس، والسعى نحو إحراز المعالى وشرف النفس، ويصبح عندهم قرى الضيف من الواجبات الدينية وشرب الخمر ولعب الميسر من المحرمات، والرقص القبيح ومخالطة النساء دون تمييز منعدمة، يحسبون عفة المرأة من الفضائل ويتمسكون بحسن الشمائل»(١).

«(زعم عدد من الكتاب الغربيين) أن الإسلام فى شرقى أفريقيا قائمة قواعده الأساسية على التجارة فى الرقيق وجميع وسائل القسوة والانحطاط. إن روايات كهذه مجردة بالمرة عن الحقيقة، لا يمكن تصديقها وتصور وقوعها وإنى بدون تردد أثبت وأقول عن سعة خبرة واطلاع عن شرقى أفريقيا وأواسطها بما ليس فى إمكان (أولئك الكتاب) أن يأتوا بمثله: أنه لو كان للنخاسة وجود فى هذه البقاع فما ذلك إلا لأن الإسلام لم يدخل فيها وبرهان ذلك أن الإسلام من خصائصه إبطال

---

(١) العقيدة الإسلامية، ص١٥ ـ ١٧ عن: (كاذن إسحاق تيلى فى خطبة له بمؤتمر الكنيسة الإنكليزية بتاريخ ٧ أكتوبر سنة ١٨٨٧، نشرت بجريدة التايمس فى اليوم التالى).

النخاسة إبطالاً دائماً»[1].

«لنزدلف الآن إلى غربى أفريقيا والسودان الأوسط ـ حيث أتاحت لى الفرص زيارة هذه الجهات ـ فأقول إننا إذا قلبنا الطرق وأجلنا النظر نجد الإسلام كجسم قوى تدب فيه روح الحياة والنشاط وتتحرك فيه عوامل الحماسة والإقدام كما كان فى أيامه الأولى. فترى الناس تدخل فيه أفواجاً أفواجاً وتقبل عليه بإقبال عجيب يشبه أيامه السالفة.. وأن دعاة الدين المسيحى يحاولون قلب الحقائق وإلقاء تبعة آثام النخاسة على عاتق الإسلام.. وتراهم لقصورهم عن إدراك مزايا هذا الدين المبين يصفون انتشاره بداهية دهماء على الأفريقيين ويقولون ـ كما لقن إليهم فى حداثتهم ـ بأن دين محمد ﷺ لم تقم له قائمة إلا بقوة الناس (والسيف).. هذه هى التخيلات المطبوعة فى أذهانهم والتى يشيعونها عن انتشار الإسلام، وهى على ما أظن تصورات توارثوها جيلاً عن جيل»[2].

«.. على هذا المنوال انغرست بذور المدنية بين عدة قبائل همجية (فى أفريقيا) ونما فيه الإسلام نمواً هائلاً إلى حد رنّ فيه صدى هذه البلاد وملأ الآفاق، وهاهو يقام فيها فى الصباح والظهر وما يلى ذلك من الأوقات كلمة النداء فى الإسلام ـ الأذان ـ فبعد ما كان الناس يسجدون للأشجار ويعبدون الأحجار صاروا يسجدون الآن لله الواحد القهار..»[3].



(١) المصدر السابق، ص٢٦، ٢٧ عن: المستر جوزيف تومبسن J. Tompson الرحالة الإنكليزى الشهير، جريدة التايمز، ١٤ نوفمبر ١٨٨٧.

(٢) نفسه، ص٢٩، ٣٠ (عن مقال تومبسن المذكور).

(٣) نفسه، ص٣٢، ٣٣ (عن مقال تومبسن المذكور).

جاك كيمن

«إن الشريعة الإسلامية، امتزجت بعناصر وطنية أفريقية، تؤلف عاملاً من عوامل التوحيد. ولما كانت الوثنية بين زنوج أفريقيا تتميز فى جوهرها بالشعور الإقليمى الضيّق كان لابدّ من اتساع نطاق الإسلام فى هذا العصر الذى تزايدت فيه المواصلات، وتضاعفت الاتصالات. وقد احتفظ الإسلام فى المناطق التى نفذ إليها قبل المسيحية والأوربيين، بتأثيره الموحد. أما فى غير ذلك من الأماكن فقد ظل منافسًا للمسيحية لأنه أسهل اعتناقاً إن الإسلام قد رفع مستوى الحضارة لدى الزنوج..»[١].

* * *

روم لاندو

«فى عصر كان «السلب والنهب» هو القاعدة التى يتبعها كل جيش منتصر لدى دخوله مدينة ما، يبدو العهد الذى أعطاه خالد بن الوليد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لأهل دمشق إنسانياً إلى أبعد الحدود ومعتدلاً إلى أبعد الحدود. ويبدو جلياً، فى الواقع، أن الكتائب العربية اعتبرت نفسها محررة للشعب المضطهد وحاملة رسالة الإسلام إليه فى آن معاً. وقد اتخذ من شروط الاستسلام هذه نموذج احتذى فى ما بعد عند فتح المدن السورية والفلسطينية الأخرى»[٢].

«إذا اعتبرت القرون الوسطى عصر إيمان وحرب فالحرب الصليبية هى أكمل تعبير عنها وأشنعه. والذى لا ريب فيه أن العقل الأوروبى الوسيطى Medieval قد اعتبر الحروب الصليبية حروباً مقدسة من أجل قضية مقدسة. ففى الإسلام لم

---

(١) الوحدة والتنوع فى الحضارة الإسلامية (تحرير كرونباوم)، ص٢٦.

(٢) الإسلام والعرب، ص٦٠.

يعلم أى (جهاد) عام ضد الصليبيين، ولم يوجّه الخليفة، دفّة هذه الحروب. أما فى الغرب فقد أفتى البابا فى تلك القضية واعتبرها قضيته الذاتية. والواقع أن الحروب الصليبية، كحركة دينية كشفت ـ من طريق التعصب والتطرف الدينيين ـ عن أسوأ مظاهر النصرانية الوسيطية كلها. لقد نجحت الحروب المقدسة فى خلق شقة واسعة تفصل ما بين الشرق والغرب بدلاً من أن يعيد تدعيم الجسر الرابط ما بين ثقافتين تجمع ما بينهما فى نهاية المطاف مفاهيم إيمانية مشتركة، ومصالح ثقافية تمتنع على الإحصاء...»[١].

«على نقيض الإمبراطورية النصرانية التى حاولت أن تفرض المسيحية على جميع رعاياها فرضاً، اعترف العرب بالأقليات الدينية وقبلوا بوجودها. كان النصارى واليهود والزرادشتيون يعرفون عندهم بـ«أهل الذمة»، أو الشعوب المتمتعة بالحماية. لقد ضمنت حرية العبادة لهم من طريق الجزية.. التى أمست تدفع بدلاً من الخدمة العسكرية. وكانت هذه الضريبة مضافاً إليها الخراج، أقل فى مجموعها من الضرائب التى كانت مفروضة فى ظل الحكم البيزنطى. كانت كل فرقة من الفرق التى تعامل كملّة، أى كطائفة نصف مستقلة استقلالاً ذاتياً ضمن الدولة. وكانت كل ملّة تخضع لرئيسها الدينى..»[٢].

«من وجهة نظر منطقية وعقلانية نستطيع أن نفترض أنه كان خليقاً بالنصارى أن يتحالفوا مع المسلمين النّزاعين إلى الوفاء بالمعاهدات لكى يدافعوا عن الإنسانية بلاء المغول. والواقع أنه كان فى ميسورهم أن ينهجوا هذا النهج ومع ذلك فنحن نجد أن ما حدث كان هو العكس تقريباً. فقد وجه زعيم العالم المسيحى، البابا أنوسنت الرابع، بعثتين إلى منغوليا. وكان القديس لويس الورع ، قد أبى على نحو موصول أن يتفاوض مع المسلمين بأية حال، ومع ذلك فإنه لم يجد أية غضاضة على معتقداته الدينية أن يوجه موفدين لمفاوضات المغول الوثنى»[٣].

(١) المصدر السابق، ص١١٥.

(٢) نفسه، ص١١٩.

(٣) المصدر السابق، ص١٣٠.

«كان الإسبان قد نعموا، فى ظل الحكم الإسلامى، بمعاملة متسامحة تحررية، ولكنهم لم يكونوا الآن (بعد انتصارهم النهائى) فى وضع نفسى يساعدهم على تبنى السياسة المتدينة نفسها فراحوا يحنثون، فى حرارة دينية متعصبة، بالعهود الغليظة التى أخذوا على أنفسهم باحترام الدين الإسلامى والممتلكات الإسلامية. فإذا بهم يحرقون الكتب العربية ويلقون معظم الآثار التى كانت عنوان تفوق الثقافة الإسلامية. وفى عام ١٤٩٩م دشن الكاردينال كزمينز برنامجاً للتنصير الإجبارى شعاره: إما المعمودية وإما الإخراج من البلاد. ونشطت محاكم التفتيش نشاطاً رهيباً. وأكره كثير من المسلمين واليهود على مغادرة إسبانيا. وعام ١٥٥٦م أجبر الملك فيليب الثانى من بقى من المسلمين فى البلاد على التخلى عن لغتهم ودينهم ومؤسساتهم. حتى إذا كانت سنة ١٦٠٩ أُمضى مرسوم ملكى نهائى إلى ترحيلهم ترحيلاً كاملاً. ودوّن المؤرخون عدد المسلمين الذين أبعدوا أو قتلوا، ما بين سقوط غرناطة ومطلع القرن السابع عشر، بثلاثة ملايين ونيف»[1].



(١) نفسه، ص١٨٠.

كوستاف لوبون

«ثبتت أصول شريعة الرسول ﷺ وفنون العرب ولغتهم أينما حلت، ولم يدر فى خلد أحد من الفاتحين الكثيرين الذين قهروا العرب إقامة حضارة مقام حضارة العرب، وانتحلوا كلهم دين العرب وفنونهم، واتخذ أكثرهم العربية له لغة، وتقهقرت أمام الإسلام فى الهند ديانات قديمة، وجعل الإسلام مصر الفراعنة القديمة، التى لم يكن للفرس واليونان والرومان فيها سوى نفوذ قليل، عربية تامة العروبة، وعرفت أقوام الهند والفرس ومصر وأفريقية لهم سادة غير أتباع محمد ﷺ فيما مضى ولم يعرفوا لهم سادة غير المسلمين بعد أن رضوا بالإسلام ديناً»(١).

«ساعد وضوح الإسلام البالغ وما أمر به من العدل والإحسان كل المساعدة على انتشاره فى العالم، ونفسر بهذه المزايا سبب اعتناق كثير من الشعوب النصرانية للإسلام، كالمصريين الذين كانوا نصارى أيام حكم قياصرة القسطنطينية فأصبحوا مسلمين حين عرفوا أصول الإسلام، كما نفسر السبب فى عدم تنصرّ أى أمة بعد أن رضيت بالإسلام ديناً، سواء أكانت هذه الأمة غالبة أم مغلوبة»(٢).

«.. إن القوة لم تكن عاملاً فى انتشار القرآن، فقد ترك العرب المغلوبين أحراراً فى أديانهم، فإذا حدث أن اعتنق بعض الأقوام النصرانية الإسلام واتخذوا العربية لغة لهم فذلك لما رأوا من عدل العرب الغالبين ما لم يروا مثله من سادتهم السابقين، ولما كان عليه الإسلام من السهولة التى لم يعرفوها من قبل»(٣).

«.. لو وفق موسى بن نصير (فى اجتياز أوربا) لجعل أوربا مسلمة، لحقق للأمم المتمدنة وحدتها الدينية، ولأنقذ أوربا، على ما يحتمل، من دور القرون الوسطى الذى لم تعرفه إسبانية بفضل العرب»(٤).

---

(١) حضارة العرب، ص٢٧.

(٢) نفسه، ص١٢٥.

(٣) نفسه، ص ١٢٧ ـ ١٢٨.

(٤) نفسه، ص٢٦٧.

برنارد لويس

«الواقع أن الذى غزا أتراك آسيا الوسطى، لم يكن المسلمين بل كان الإسلام ذاته. فقد كان المتصرفون والمبشرون المتجولون.. يتنقلون بين القبائل التى لم يتم إخضاعها فيما وراء النهر، ينشرون الدين البسيط، دين الكفاح الذى ازداد على الحدود بين الإسلام والوثنية»(١).

« ... هروب اليهود الإسبان إلى تركيا معروف للجميع، لكنه ليس الحالة الوحيدة على الإطلاق. وعندما انتهى الحكم العثمانى فى أوروبا، كانت الأمم المسيحية التى حكمها العثمانيون خلال عدة قرون لا تزال هناك، بلغاتها وثقافاتها ودياناتها ـ إلى حد ما ـ بمؤسساتها.. أما إسبانيا وصقلية فليس فيها اليوم مسلمون أو ناطقون باللغة العربية..»(٢).

«لم يكن اللاجئون المسلمون واليهود، ولا المسيحيون من ذوى الآراء الدينية والسياسية المنشقة، هم الأوربيين الوحيدين الذين استفادوا من الحكم العثمانى إذ إن الفلاحين فى المناطق التى غزيت قد تمتعوا ـ بدورهم ـ بتحسّن كبير فى أوضاعهم. فقد جلبت حكومته الإمبراطورية العثمانية الوحدة والأمن مكان الصراع والفوضى... (وأصبح) الفلاحون يتمتعون بقدر من الحرية فى حقولهم أكبر بكثير من ذى قبل، وكانت الضرائب التى يدفعونها تقدّر بصورة مخففة وتجمع بطريقة إنسانية، وذلك بالمقارنة بما كان يجرى فى أنظمة الحكم السابقة والمجاورة.. فحتى القرن التاسع عشر كان الأوربيون الذين يزورون البلقان يعلقون على أوضاع فلاحى البلقان الحسنة وعلى رضاهم عن هذه الأوضاع، وكانوا يجدونه أفضل من الأوضاع السائدة فى بعض أنحاء أوروبا المسيحية. وكان الفرق أوضح بكثير فى القرنين الخامس عشر والسادس عشر، فى عصر حركات التمرد الكبيرة التى كان يقوم بها

(١) تراث الإسلام (تصنيف شاخت وبوزورث ١/٢٧٩).

(٢) نفسه، ١/٢٩٨٦ ـ ٢٨٧.

الفلاحون فى أوروبا. وحتى عملية الداوشرمة Deushrime وهى عملية الجمع القسرى للأولاد من بين الفلاحين المسيحيين من أجل تجنيدهم فى الجيش العثمانى وفى خدمة الدولة لم تخل من نواح إيجابية. فبهذه الوسيلة كان أقل القرويين شأناً يستطيع أن يرتقى إلى أعلى المراكز وأكثرها نفوذاً وقد ارتقى الكثيرون بالفعل وأحضروا أسرهم معهم، وهو شكل من أشكال المرونة الاجتماعية كان مستحيلاً فى المجتمعات الأرستقراطية للعالم المسيحى المعاصر للعثمانيين»[1].

* * *

السر ليختنستادتر

«لقد جسمت العدواة المسيحية خطر الحرب المقدسة فى إخضاع البلاد التى لا تدين بالإسلام للسيطرة الإسلامية، إذ أن القتال لم يكن له كل هذا العمل فى انتشار الفتوح حتى فى إبان القرن الأول بعد الدعوة، وإنما تم معظم هذه الفتوح بالتسليم ومعاهدات الصلح، ووردت فى هذه المعاهدات فقرات تبيح لأهل الكتاب من أبناء البلاد المفتوحة أن يحتفظوا بعقائدهم وشعائرهم بشروط ليس على الجملة بالمرهقة. فليست فكرة النار والمدن بالفكرة الصحيحة التى يؤيدها الواقع، ومن الميسور كما يقول المؤرخ توينبى أن تسقط الدعوة التى شاعت بين جوانب العالم المسيحى غلوّا فى تجسيم أثر الإكراه فى الدعوة الإسلامية، إذ لم يكن التخيير ببلاد الروم والفرس بين الإسلام والسيف وإنما كان تخييراً بين الإسلام والجزية وهى الخطة التى استحقت الثناء لاستنارتها حين اتبعت بعد ذلك فى البلاد الإنجليزية على عهد الملكة اليصابات..»[2].

---

(١) المصدر السابق، ١/٢٨٧ ـ ٢٨٨، وانظر المرجع نفسه ١/٢٨٨.

(٢) الإسلام والعصر الحديث، عن العقاد: ما يقال عن الإسلام، ص٢٢ ـ ٢٣.

آدم متــز

«إن أكبـر فـرق بين الإمبـراطورية الإسـلاميـة وبين أوروبا التى كانت كلها على المسيـحيـة فـى العـصـور الـوسطى وجـود عـدد هائل من أهل الديانات الأخـرى بين المسلمـين وأولئك هم (أهل الـذمـة) الذين كـان وجـودهم من أول الأمـر حـائلاً بين شعوب الإسـلام وبين تكوين وحدة سيـاسيـة.. واستند أهل الذمـة إلى مـا كـان بينهم وبين المسلمين مـن عهـود ومـا مُنحـوه من حقـوق فلم يرضـوا بالاندمـاج فى المسلمين وقـد كان وجـودهـم سببـاً لظهـور مبـادئ التـسـامح التى ينادى بهـا المصلحون المحـدثون وكـانت الحـاجـة إلى المعيـشـة المشتـركة ومـا ينبـغى أن يكـون فيـهـا من وفـاق ممـا أوجـد من أول الأمــر نوعــاً من التـسـامح الـذى لم يكـن مـعـروفـاً فى أوروبا فـى العـصــور الـوسطى ومـظهـر هـذا التـسـامح نشـوء علم مـقـارنة الأديان، أى دراسـة الملل والنِّحَل على اختلافها، والإقبال على هذا العلم بشغف عظيم»(١).

«لم يكن فى التـشـيع الإسـلامى مـا يغلق دون أهل الـذمـة أى باب مـن أبواب الأعمـال، وكان قدمـهم راسخـاً فى الصنائع التـى تدرّ الأرباح الوافرة، فكانوا صيـارفة وتجاراً وأصحـاب ضياع وأطباء. بل إن أهل الذمة نظمـوا أنفسـهم بحيث كان معظم الصيـارفة والجـهابذة فى الشـام مثـلاً يهـوداً، على حين كان أكثـر الأطبـاء والكتبـة نصـارى. وكـان رئيس النصـارى فى بغـداد هو طبـيب الخليـفـة، وكـان رواد اليـهـود وجهابذتهم عنده...»(٢).

«كانت حياة الذمى عند أبى حنيفة وابن حنبل تكافئ حياة المسلم، ودية المسلم، وهـى مسـألة مهـمة جداً من حيث المبدأ... ولم تكن الحكومة الإسـلامية تتـدخل فى الشعـائر الديـنيـة لأهل الـذمـة، بل كـان يبلغ من بعض الخلفـاء أن يحـضـر مـواكبـهم

(١) الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع، ١/٥٧.

(٢) نفسه، ١/ ٦٨ ـ ٦٩.

وأعيادهم ويأمر بصيانتهم.. وكذلك ازدهرت الأديرة بهدوء..»[١].

«ومن الأمور التى تعجب لها كثرة عدد العمال والمتصرّفين غير المسلمين فى الدولة الإسلامية..»[٢].

«كان تسامح المسلمين فى حياتهم مع اليهود والنصارى، وهو التسامح الذى لم يسمع بمثله فى العصور الوسطى، سبباً فى أن لحق بمباحث علم الكلام شىء لم يكن قط من مظاهر العصور الوسطى، وهو علم مقارنة الملل...»[٣].



(١) المصدر السابق، ١/ ٦٩ ـ ٧٠.

(٢) نفسه، ١/٨٧.

(٣) نفسه، ١/ ٣٦٦.

جواهر لال نهرو

«المدهش حقاً أن نلاحظ هذا الشعب العربى الذى ظل منسيّا أجيالاً عديدة بعيداً عما يجرى حوله قد استيقظ فجأة ووثب بنشاط فائق أدهش العالم وقلبه رأساً على عقب. وأن قصة انتشار العرب فى آسيا وأوروبا وأفريقيا، والحضارة الراقية والمدنية الزاهرة التى قدّموها للعالم هى أعجوبة من أعجوبات التاريخ»[١].

«سار العرب من فتح إلى فتح، وكثيراً ما ربحوا الحروب بدون قتال. وفى غضون خمسة وعشرين عاماً من وفاة الرسول ﷺ، فتح العرب جميع بلاد فارس وسوريا وأرمينية وجزءاً من أواسط آسيا الشرقية ومصر وجزءاً من شمال أفريقيا. وقد سلمت لهم مصر بسهولة لأنها كانت قد قاست كثيراً من استبداد الإمبراطورية الرومانية ومن الحروب الطائفية..»[٢].

«.. إن العرب كانوا فى بداية يقظتهم متقدين حماساً لعقيدتهم وأنهم كانوا مع ذلك قوماً متسامحين لأن دينهم يأمر فى مواضع عديدة بالتسامح والصفح. وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه شديد الحرص على التسامح عندما دخل بيت المقدس، أما مسلمو إسبانيا فإنهم تركوا للجالية المسيحية الكبيرة هناك حرية العبادة.. والواقع أن أبرز ما يميز هذه الفترة من التاريخ هو الفرق الشاسع بين العرب المسلمين وتعصب النصارى الأوروبيين!»[٣].

«... كانت حياة العرب فى زمن محمد ﷺ غريبة، وكانت عزيمتهم تختلف عن عزيمة الجنود والجيوش التى كان يعتمد عليها الملوك. لقد برز هؤلاء العرب بعقيدة متوقدة قهرت الجبال ونشرت الإسلام فى الآفاق كما تنتشر النار فى الهشيم.. برزوا شامخين فى عالمهم فدانت أمام زحفهم المظفر الجيوش الجرارة كانت

---

(١) لمحات، ص٢٣. (٢) نفسه، ص٢٧.

(٣) نفسه، ص٣١.

الشعوب الأخرى متململة من أمرائها، فلاح العرب كبارقة الأمل لهذه القوة التى كانت ترقب الفرج والثورة الاجتماعية»[1].

«إذا عدت النظافة عيباً فى العرب، فقد أسند إليهم عيب آخر ألا وهو التسامح الدينى ويكاد المرء لا يصدق أن تلك هى التهمة الرئيسية الموجهة للعرب فى كتاب رئيس أساقفة فالنسيا الذى وضعه فى عام ١٦٠٢ بعنوان «إلحاد العرب وخياناتهم» وطالب فيه بإقصاء العرب عن إسبانيا. وقد قال: (إن العرب يحبذون جداً حرية الضمير فى الشؤون المتعلقة بالدين، شأنهم فى ذلك شأن الأتراك والمسلمين الذين تركوا لأتباعهم الحرية الدينية). ولعمرى ما أجمل هذا المدح الذى قصد به ذم مسلمى إسبانيا الذين يمتازون بتسامحهم الدينى فى الوقت الذى استرسل فيه المسيحيون الأوروبيون فى التعصب والغلظة»[2].

* * *

ليندون هاريس

(١)

«إن ابن القبيلة الأفريقى يلمح نظافة المسلم شخصاً وبزة، كما يلمح المكانة التى يكسبها بأدب (الحشمة) الاجتماعية وتتعلق مكانة الرجل الأفريقى بهذه الحشمة والمصطلح عليها، وهى مكانة ذات شأن حيث يعيش الناس على مرأى بعضهم من بعض فى حيزهم المحدود فلا جرم أن يعتز المسلم بهذه الحشمة فوق اعتزازه بكل شىء لأنها مقياس خُلقه وحياته، وبها يستدعى المناظرة ومحاولة التشبه به من أبناء البلاد الأصلاء»[3].



(١) المصدر السابق، ص٣٣.   (٢) نفسه، ص٤٨.

(٣) الإسلام فى أفريقيا الشرقية، عن العقاد: ما يقال عن الإسلام، ص٦٩ ـ ٧٠.

زيغريد هونكه

«لعلّ من أهمّ عوامل انتصارات العرب ما فوجئت به الشعوب من سماحتهم فما يدعيه بعضهم من اتهامهم بالتعصب والوحشية إن هو إلا مجرد أسطورة من نسج الخيال تكذبها آلاف من الأدلة القاطعة عن تسامحهم وإنسانيتهم فى معاملاتهم مع الشعوب المغلوبة.

والتاريخ لا يقدم لنا فى صفحاته الطوال إلا عدداً ضئيلاً من الشعوب التى عاملت خصومها والمخالفين لها فى العقيدة بمثل ما فعل العرب. وكان لمسلكهم هذا أطيب الأثر مما أتاح للحضارة العربية أن تتغلغل بين تلك الشعوب بنجاح لم تحظ به الحضارة الإغريقية ببريقها الزائف ولا الحضارة الرومانية بعنفها فى فرض إرادتها بالقوة»(١).

«﴿ لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ (البقرة: ٢٥٦)

هذا ما أمر به القرآن الكريم، وبناء على ذلك فإن العرب لم يفرضوا على الشعوب المغلوبة الدخول فى الإسلام. فالمسيحيون والزرادشتيون واليهود الذين لاقوا قبل الإسلام أبشع أمثلة للتعصب الدينى وأفظعها، سمح لهم جميعاً دون أى عائق يمنعهم، بممارسة شعائر دينهم. وترك لهم المسلمون بيوت عبادتهم وأديرتهم وكهنتهم وأحبارهم دون أن يمسوهم بأدنى أذى. أوَ ليس هذا منتهى التسامح؟ أين رأى التاريخ مثل تلك الأعمال ومتى؟ ومن ذا الذى لم يتنفس الصعداء بعد الاضطهاد البيزنطى الصارخ وبعد فظائع الإسبان واضطهادات اليهود؟ إن السادة والحكام المسلمين الجدد لم يزجوا بأنفسهم فى شؤون تلك الشعوب الداخلية. فبطريرك بيت المقدس يكتب فى القرن التاسع (الميلادى) لأخيه بطريرك القسطنطينية عن العرب: (إنهم يمتازون بالعدل ولا يظلموننا البتة، وهم لا

(١) شمس العرب تسطع على الغرب، ص٣٥٧ ـ ٣٥٨.

يستخدمون معنا أى عنف)»[١].

«.. إن الإنسانية والتسامح العربى هما اللذان دفعا الشعوب ذات الديانات المختلفة إلى أن تعيش فى انسجام مدهش... وأن تبدأ نموها وتوسعها وازدهارها ولأول مرة يتحرر أصحاب المذاهب المسيحية.. من اضطهاد كنيسة الدولة فتنتشر مذاهبهم بحرية ويسر... واستطاع العربى بإيمانه العميق أن يكون أبلغ سفير وداعية لديانته، لا بالتبشير وإيفاد البعثات وإنما بخلقه الكريم وسلوكه الحميد. فكسب بذلك لدينه عدداً وفيراً لم تكن أية دعاوى مهما بلغ شأوها لتستطيع أن تكسب مثله»[٢].

«إن الأديرة المسيحية فى سورية، التى كادت أن تنمحى فى عصر الحكم المسيحى وصلت إلى ذروة عظمتها فى الدولة الإسلامية، أو ليس هذا بغريب؟»[٣].

«أوَ ليس من العجيب أن نتساءل لماذا نفسر كما يحلو لنا، والعرب المسلمون قد فتحوا فعلاً جزءاً من أوروبا هو الأندلس، فلم يقضوا على المسيحية التى يزعمون أن شارل مارتل قد حماها، ولم يقضوا على المدنية الغربية التى لم يكن لها وجود؟!.»[٤].



(١) شمس العرب تسطع على الغرب، ص٣٦٤.

(٢) نفسه، ص٣٦٦ ـ ٣٦٧.

(٣) نفسه، ص٣٦٨.

(٤) نفسه، ص ٥٤٠ ـ ٥٤١.

مونتكرمرى وات

«يعنى التأكيد ـ على إخضاع مشركى الجزيرة للإسلام ـ أن الإسلام قد انتشر بحد السيف.

حقاً إن القبائل الوثنية فى الجزيرة العربية كان عليها أن تختار الإسلام أو السف، إلا أن تعامل المسلمين كان مختلفاً تجاه اليهود والمسيحيين والزرادشتيين وغيرهم ممن اعتبرت ديانتهم شقيقة للإسلام، رغم الدعوى القائلة بأن الأتباع المعاصرين لتلك الديانات قد ابتعدوا عن جوهرها.

ومهما كان الأمر فقد كان بالإمكان قبولهم نوعاً من الحلفاء للمسلمين فى معظم الأقطار التى فتحتها العرب. لذلك فإن غرض الجهاد لم يكن يهدف إلى تحويل أولئك السكان نحو الإسلام بقدر ما كان يهدف إلى اعترافهم بالحكم الإسلامى وبمنزلة أناس يحميهم الإسلام.. وبعامة فإنهم (أهل الذمة)، وكانت الطائفة الذمية مجموعة من الناس تعتنق ديانة واحدة لها استقلالها الداخلى برعاية رئيس دينى كالبطريك أو الرابى، وكان على كل فرد من أفراد المجموعة الذمية دفع ضريبة شخصية إلى الحاكم المسلم، إضافة على مبالغ مختلفة أخرى تحدد استناداً على شروط الاتفاقية مع المجموعة.

وكانت تلك الضرائب أحياناً أقل وطأة من الضرائب التى كانت تدفع للحكام السابقين. وكانت حمايتهم بصورة فعالة بالنسبة للدولة الإسلامية تمثل كلمة شرف تلتزم بها الدولة وتنفذها ثم إن وضع أهل الذمة لم يكن سيئاً رغم بعض القيود المفروضة عليهم..»[1].

« .. كانت هناك مناطق مثل شرق أفريقيا وجنوب شرق آسيا انتشر الإسلام فيها نتيجة نشاط رجال الأعمال إذ لم يكن للمسلمين فى تلك المناطق الوثنية آية

(١) تأثير الإسلام على أوروبا فى العصور الوسطى، ص١٣ ـ ١٤.

سرية فى ممارسة الصلاة خمس مرات يومياً، وأن إخلاص هؤلاء المسلمين والتزامهم المتزن بالإسلام الحنيف أذهل الوثنيين الذين كانت لهم علاقات تجارية مع المسلمين مما أدى إلى اعتناق الإسلام والاختلاط عن طريق الزواج إلى تكوين مجتمعات إسلامية صغيرة وسط المناطق الوثنية ونمت تلك المجتمعات بصورة تدريجية..»[1].



(١) المصدر السابق، ص٣٠.

هـ. ج. ولز

«.. أنشأ أبو بكر رضي الله عنه، بذلك الإيمان الراسخ الذى يزحزح الجبال ينصب نفسه فى بساطة وحسن تبصُّر، لتنظيم إخضاع العالم بأسره لله، بجيوش صغيرة من ثلاثة آلاف أو أربعة آلاف عربى، بناء على تلك الرسائل التى بعث بها النبى ﷺ من المدينة إلى ملوك العالم.. والحملات العسكرية التى بدأت عند ذاك، من ألمع ما خلد تاريخ العالم.. وكان «المسلمون» فى كل مكان يخيرون الناس بين أشياء ثلاثة:

- فإما أن تدفع الجزية،
- وإما أن تسلم بالله الحق وتنضمّ إلينا،
- وإما أن تقاتل..

ولم يحدث فى أى مكان شىء اسمه المقاومة الشعبية.. فإن فاضل الناس بين البلاط الفارسى وبين العرب، كان العرب - أعنى عرب السنين العظيمة - أنظف الطرفين وأطهرهما بشكل ظاهر، وكانوا أكثر عدالة وأوسع رحمة. وانضم العرب المسيحيون دون تردد إلى الغزاة كذلك انضم إليهم كثير من اليهود. وكما كان الحال فى الغرب كان كذلك فى الشرق إذا استمر الجهاد الإسلامى لنشر الإسلام»[١].

«... استطاع الجنس السامى فى بضع سنين باسم الله ورسوله ﷺ أن يسترد تقريباً كل الأملاك التى خسرها للفرس الآريين قبل ذلك بألف سنة، وسقط بيت المقدس مبكراً.. وكان النصارى ينعمون بالتسامح فى مقابل دفع الجزية فقط، وتركت الكنائس بأسرها والآثار المقدسة بأجمعها فى حوزتهم»[٢].

«... لقد ساد الإسلام لأنه كان خير نظام اجتماعى وسياسى استطاعت الأيام

---

(١) معالم تاريخ الإنسانية، ٣/٦٤٣، ٦٤٤ - ٦٤٥.

(٢) نفسه، ٣/٦٤٧.

تقديمه. وهو قد انتشر لأنه كان يجد فى كل مكان شعوباً بليدة سياسياً، تُسلب وتظلم وتخوَّف ولا تعلم ولا تنظم، كذلك وجد حكومات أنانية سقيمة لا اتصال بينها وبين أى شعب أصالة. كان أوسع وأحدث وأنظف فكرة سياسية اتخذت سمة النشاط الفعلى فى العالم حتى ذلك اليوم، وكان يهب بنى الإنسان نظاماً أفضل من أى نظام آخر. وكان النظام الرأسمالى الاسترقاقى فى الإمبراطورية الرومانية، والأدب والثقافة والتقاليد الاجتماعية فى أوروبا قد انحلت انحلالاً تاماً وانهارت قبل أن ينشأ الإسلام..»[١].



(١) المصدر السابق، ٦٤٩/٣.

ريشار وود

«ميز صاحب الشريعة الإسلامية ﷺ بين أهل الكتاب - وهم النصارى واليهود - وبين المشركين من العرب الذين تعرضوا لما أنزل الله على رسوله ﷺ. ولقد وقع بين الخليفة الثانى عمر بن الخطاب رضي الله عنه وبين بطريق بيت المقدس اتفاق يضمن حماية النصارى ومنحهم امتيازات، وفَّى بها. ثم تولى الأمر بعدُ خلفاؤه إلى زمن السلاطين الآن. وبهذا بقيت طوائف نصرانية متعددة آمنة نامية مترفهة تحت حكم المسلمين، بل كانت فى بعض الأحيان تمتاز حالتها الاجتماعية على حالة مواطنيها من المسلمين»[1].

«إن الذى يبحث بحثاً دقيقاً عن أسباب الفتن التى سفكت فيها الدماء فى المشرق يعلم أن الباعث الوحيد على حدوثها هو إصبع السياسة الأجنبية التى تنتهز الفرص لإيقاد نار الفتنة بين ذوى الأحقاد، ولم يكن أولئك المفسدون يحسبون أن هذه الفتن تجر إلى القتل والفظائع. ومن هذا القبيل واقعة الدروز والموارنة، وواقعة الصقالبة والبلغاريين، فقد تبين أن الاعتداء إنما كان يبتدئ من جانب النصارى»[2].

«... إن القرآن قد سمح للذميين بحرية ممارسة شعائر دينهم، وأوجب مساواتهم فى الحقوق المدنية والجنائية مع سائر الأهالى، ولم يمنع من استشارتهم فى مصالح الوطن»[3].

«.. إن النصارى (فى الدولة العثمانية) متمتعون بالحرية التامة.. ونحن لم ننفرد بهذا القول فإن كثيرين من علماء الإنكليز والروس ألفوا كتباً أكدوا فيها أن أرباب الفلاحة خارج البلاد العثمانية يحسدون البلغار العثمانية على حسن حالهم وأمنهم فى منازلهم وبساتينهم الخصبة وما تحت يدهم من الأطيان والمواشى،

(١) الإسلام والإصلاح، ص١٩ - ٢٠.
(٢) نفسه، ص٢٠
(٣) نفسه، ص٢١.

وصوامع كنائسهم، مشرفة على كل الجهات. بل يقول هؤلاء المؤلفون إن البلغار العثمانيين أحسن حظاً من المسلمين العثمانيين»[١].

«.. للرؤساء الروحيين والأساقفة (فى الدولة العثمانية) أن يتوسطوا لدى رجال الحكومة فى حماية أبناء طوائفهم، وهذا زيادة فى الاحتياط لكيلا ينال غير المسلمين حيف أو ظلم.. وقد زالت تماماً الموانع التى كانت موجودة فى سبيل تشييد الكنائس والمجامع اليهودية، وأبيح لغير المسلمين من عثمانيين وأجانب إنشاء ما يشاءون من المعابد. والواقع أن الكنائس كثر عددها جداً وقد اعترف بذلك القسس الأمريكيون. ومما يبرهن على تساهل الحكومة العثمانية فى ذلك إعفاؤها كل ما يجىء برسم الكنائس والأديار والمستشفيات وغيرها من الضريبة الجمركيه.. وهذا أمر لا نعلم أنه يوجد فى بلاد أخرى.. وزيادة فى عناية الدولة العثمانية بحماية غير المسلمين صدر أمر سلطانى ينذر بالعقاب كل من يصدّهم عن عبادتهم.. ولا ريب فى أن الدولة العثمانية قد صرفت جهد الطاقة لإرضاء رعاياها النصارى واليهود، وإزالة الفروق التى كانت موجودة بينهم وبين المسلمين، ومشاركتهم فى الإدارة العامة، وتقليدهم المناصب الرفيعة، وإعلاء شأنهم وإثبات حقوقهم. وفوق ذلك كله فهى قد أذنت لهم بعقد جمعيات تتفاوض فيما تراه صالحاً لدينهم ودنياهم.. حتى صار النصارى يتعلمون من دولة إسلامية ما يرمى إليه الدين من الحضّ على الرفق واللين والتساهل والصبر.. أما اعتراض المعترضين بأن المساواة بين الطوائف غير كاملة - ما دام النصارى لم يشتركوا فى الجندية العثمانية - فجوابنا عليه أن الذنب فى ذلك على النصارى أنفسهم لا على الباب العالى، إذ النصارى مع حرصهم على نوال كل الحقوق لم يقبلوا أن يدخلوا تحت ما يقابلها من الواجبات»[٢].



(١) المصدر السابق، ص٢٢.
(٢) نفسه، ص٢٥ - ٢٧.

لويس يونغ

«على الرغم من سجل أوروبا الطافح بالتزمت الفكرى واللاتسامح الدينى، على النقيض من المسلمين، فإنها ظلت ترفض الاعتراف بما للعرب من يد طولى على حضارتها وتتجاهل دورهم الحضارى وتقلل من شأنه»(١).

«.. إن التسامح الدينى الذى مارسه الإسلام فى القرون الوسطى، يفوق التسامح الدينى الذى مارسته المسيحية فى القرون الوسطى، حيث كاد ألا يكون هناك أى تساهل دينى مع اليهود أو المسلمين والآخرين الذين خضعوا لسلطان المسيحية»(٢).

«فى القرنين الحادى عشر والثانى عشر (الميلاديين) نشأ مظهر آخر للتمثيل الدبلوماسى بين العرب وأوروبا تجلى فى منح الامتيازات وحق السكن للأجانب، وليس هذا بغريب على العرب. وكان هؤلاء الأجانب يستثنون من الأنظمة والقوانين المعمول بها محلياً. كما يسمح لهم بالعيش وفق أنظمتهم فى بلادهم. يقولون إن القانون يطبق على الأفراد وليس بحسب وجودهم فى الأرض الإسلامية وإنما بحسب انتمائهم القومى والدينى، فالشريعة الإسلامية تطبق على المسلمين. وهذا ما يفسر التسامح الدينى للمسلمين تجاه الأقلية المسيحية واليهودية التى سح لها بممارسة حياتها الخاصة»(٣).

«إن أشياء كثيرة لا يزال على الغرب أن يتعلمها من الحضارة الإسلامية منها نظرة العرب المتسامحة وعدم تمييزهم فروق الدين والعرق واللون»(٤).



(١) العرب وأوربا، ص٩.

(٢) نفسه، ص٥١.

(٣) نفسه، ص١٦١.

(٤) نفسه، ص١٠.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن اتبع هديه إلى يوم الدين...

وبعد: أصبح المسلمون اليوم كالأيتام على مأدبة اللئام، الكل يسْخر منهم، الكل يتجرأ عليهم، ديارهم مستباحة، ودماؤهم مباحة، وثرواتهم منهوبة، وإرادتهم مسلوبة، ولم يقتصر الأمر عند هذا الحد الذى لا يحتمل، ولكنه تعداه إلى الاستهزاء والسخرية والإساءة إلى معتقداتهم ودينهم ومقدساتهم ونبيهم ﷺ.

وهذا الجرم الخطير ليس وليد اليوم وإنما مستمر منذ زمن طويل.. حين فرط المسلمون فى تطبيق شريعتهم، والاقتداء بسنة نبيهم محمد ﷺ، وقصروا فى الأخذ بالسنن الربانية فى الصعود والتقدم، وانحرفوا عن المفاهيم الصحيحة لتعاليم الإسلام الحنيف الذى أنشأ حضارة مزدهرة ومضيئة فى كل الميادين والمجالات سادت العالم كله، وشهد بذلك المنصفون من العلماء والمفكرون والكتاب فى الشرق والغرب.

وفى الوقت الذى كان يعيش فيه الغرب ظلمات العصور الوسطى من الخرافة والجهل والظلم والقهر والطغيان تحت سيطرة الكنيسة ورجال الدين، فلا مجال لإعمال العقل والبحث أو التفكير العلمى. فكان الفضل للفكر الإسلامى فى نقل المنهج العلمى التجريبى إلى الغرب لكى يتقدم وينهض من غفوتم بفضل العلماء المسلمين الأفذاذ من أمثال: ابن سينا، وابن رشد، وجابر بن حيان، والخوارزمى، والرازى الطبيب، والكندى، وابن الهيثم... إلخ.

ولم يتعرض الإسلام ونبيه الكريم ﷺ لحملات تشويه كبيرة مثلما يتعرض له الآن من جانب الدول الغربية وخصوصاً بعد تحالف المسيحية الصليبية مع الصهيونية العالمية للقضاء على الإسلام والمسلمين.

والتاريخ الأسود للغرب الأوروبى والأمريكى مع الإسلام يكشف العديد من الحقائق المذهلة وهى أن هذا التطاول والافتراء على الدين الإسلامى له صناعة تقوم عليها مؤسسات وحكومات ومنظمات ومراكز للأبحاث تنفق عليها المليارات من الدولارات من أجل غرس العداء للإسلام والمسلمين فى نفوس الشعوب الغربية وقادتها.

وصناعة العداء للإسلام ونبيه الكريم ﷺ تتم بإتقان شديد يفوق إتقان الغرب فى صناعة منتجاته التكنولوجية الحديثة. وصناعة الكراهية تبدو صناعة كبيرة تستخدم فيها كل وسائل التأثير والإقناع العاطفى، وتعمل بإلحاح على إثارة مشاعر الكراهية والخوف معاً من الإسلام والمسلمين.

ولم يقتصر الأمر على ذلك وإنما ربطوا الإسلام بالإرهاب وخصوصاً بعد أحداث الحادى عشر من سبتمبر ٢٠٠١ ولم يرو غليلهم ما حدث من احتلال وتدمير لكل من أفغانستان والعراق، والحملات الشرسة على الإسلام والمسلمين فى كل وسائل الإعلام على اختلافها وتنوعها مثل الإنترنت والقنوات الفضائية والكتب والصحف... إلخ.

وإنما قاموا بتدنيس وحرق المصحف الشريف، ومحاولة تحريفه تحت مسمى (الفرقان الحق)، والإساءة للرسول ﷺ من خلال رسوم كاريكاتيرية مسيئة نشرت فى إحدى الصحف الدنماركية وغيرها تصور النبى الكريم ﷺ بأنه إرهابى، وأخرى تقف خلفه النساء وغير ذلك من الأكاذيب والأباطيل التى يروجونها فى كتبهم وصحفهم وأفلامهم وبحوثهم الأكاديمية.

والحقيقة أن للدنمارك تاريخاً أسودَ من الإساءات ضد الإسلام والمسلمين ولا يختلف الأمر فى ذلك عن باقى الدول الأوروبية - أهمها أن ملكة الدنمارك (مارجريت) ألفت كتاباً عن الحضارة الأوروبية وكان النقيض لها الحضارة الإسلامية. فتهجمت على الإسلام والمسلمين والرسول الكريم ﷺ هذا إلى جانب عشرات المقالات داخل الصحف الدنماركية التى تنتقد الإسلام ونبيه ﷺ.

بل إن رئيس الوزراء الدنماركى لم ينس أن يكون له نصيب فى هذه الجريمة بتصريحاته عقب أحداث الحادى عشر من سبتمبر ٢٠٠١ أن أهل الإسلام «هم حثالة

الشعوب».. أى إهانات هذه وأى مذلة التى نرتضيها لأنفسنا. والحقيقة إنه ليست الدنمارك وأوروبا وحدهما المسيئين للإسلام والمسلمين. فتاريخ أمريكا مع الإساءة للإسلام طويل جداً وحافل، وإن كان أكبر قدر من الإساءة هو حرق وتدنيس المصحف الشريف فى معتقلات جوانتانامو. بل إن المذيع الأمريكى «جرام» وصف الإسلام بأنه منظمة إرهابية. مدعياً أن المشكلة ليست فى التطرف وإنما تكمن فى الإسلام نفسه. وهذا يعنى أن العالم الغربى يتخذ من حرية الرأى والتعبير ذريعة للتطاول على الإسلام ورسوله ﷺ بينما تختفى هذه الشجاعة تحت اسم «أعداء السامية» أو المحرقة النازية. فأين هنا قانون بوش الذى يظهر تحت مسمى معاداة السامية عندما يختص الأمر باليهود؟ ولماذا يختفى عندما يتعلق الأمر بالمسلمين والرسول ﷺ؟

والغريب أن بعض السذج من الغربيين الذين صدقوا أن الحرية متاحة لهم أكبر ضحاياها مثل الباحث الفرنسى روبير فوريسون الذى تمت محاكمته لدفاعه عن زميله وكذلك الكاتب المسلم الفرنسى روجيه جارودى الذى حوكم فى فرنسا عام ١٩٩٨ بسبب آرائه فى أفران هتلر، وكذلك مهاتير محمد رئيس وزراء ماليزيا السابق بتهمة معاداة السامية.

والواجب على المسلمين أن يفضحوا مؤامرات ومخططات الغرب على الإسلام، وتفنيدها والرد على المزاعم الأفاكة، ناهيك عن دحض هذه الترهات التى تتعلق بالإسلام والقرآن الكريم والرسول ﷺ والمرأة المسلمة والحضارة الإسلامية والقيم والأخلاق والعقائد والعبادات والشرائع الإسلامية عبر وسائل الإعلام المختلفة من شبكات المعلومات (الإنترنت) وسائر القنوات الفضائية والصحف والمجلات.. إلخ.

كما يجب على المسلمين أن يُعرِّفوا الغرب والعالم بدينهم ونبيهم ﷺ، وأن ينشروا الحقائق الصحيحة عن الدين الإسلامى بكل اللغات الحية فى العالم. وأن يستفيدوا بكل آليات عصر العولمة وثوراتها العلمية الجبارة الضخمة المتمثلة فى وسائل الاتصال والمعلومات فى نشر الدعوة الإسلامية إلى غير المسلمين فى شتى أنحاء المعمورة.

* * *

والكتاب الذى نقدمه اليوم يتناول العلاقة التاريخية والثقافية بين الغرب والإسلام، ويناقش إشكالية العلاقة بين الغرب والإسلام.

ويتناول بالتحليل التاريخ الأسود للغرب مع الإسلام بدءاً من الحملات الصليبية إلى المخططات الكنيسية لتتصير المسلمين فى العالم، بالإضافة إلى ذلك صورة العرب والمسلمين فى المناهج الغربية.

وكان لزاماً على الباحث أن يتعرض لموقف الغرب من الإسلام بشىء من التفصيل قبل أن يفرد الصفحات الكثيرة للشهادات الغربية المنصفة فى حق الإسلام وقرآنه الكريم وتاريخه وحضارته ورجاله، ووضع المرأة والأسرة فيه وما يتعلق بذلك من قضايا ومسائل والتى كثيراً ما يتهم فيها الدين الإسلامى من جانب المغرضين فى الغرب.

وهذا الكتاب يقدم مجموعة من الشهادات المنصفة لعقائد وشرائع وأخلاق وحضارة الإسلام فى كل الميادين. وهذه الشهادات صدرت عن أعلام معظمهم من غير المسلمين فيهم السياسى والأديب والشاعر والفيلسوف والعالم والعسكرى والرجل والمرأة، وهذه الشهادات تؤكد أن الدنيا لا تخلو من أحرار الفكر الذين يمكن أن يصلوا إلى الحق أو إلى جوانب منه، ويؤدوا حق الشهادة فى ذلك.

وقد جمع الباحث مادة ضخمة من الشهادات والنقول والوثائق والبيانات التى تبرز جمال الإسلام وكماله فى جميع شؤون الحياة.

وينبغى أن نؤكد على أن مهمة هذا الكتاب هو محاولة حصر قدر طيب من الشهادات الإيجابية كما يتضح من هدفه ومنهجه، ومن الضرورى أن نقرر أن الأمر يتجاوز كونه اقتطاعاً قسريا للشهادات، إلى السعى العلمى المتبصر لاستقصاء المعطيات الإيجابية للمفكر غير المسلم، والتى إذا إذا ما عرضت عليه أكد صدقها ثانية وثالثة ورابعة لأنه لم يقلها إلا بدافع قدرة الإسلام فى جانب من جوانبه، على تأكيد تميزه، وتفوقه وفاعليته.

وفى المقابل فإن بمقدور أى قارئ أن يتابع بعض الشهادات ذات الطابع السلبى فى بعض المصادر التى ذكرت فى هذا الكتاب وغيرها كثير. وقد أشرنا إلى العديد منها فى هذا البحث.

وأخيراً تجىء هذه الشهادات الإيجابية لتبرز ما كتبه الباحثون الغربيون عن الإسلام بعد أن درسوه على حقيقته مجردين من الهوى والتعصب، فهى تلقى الضوء على رسالة الإسلام الأخلاقية السامية، ودعوته الإنسانية العالمية، فلم تسمع الإنسانية من قبل صوتاً أعلى من صوت الإسلام، ولا بياناً أروع من بيانه ولا أخلاقاً أعظم من أخلاقه ولا تشريعاً أفضل من تشريعه.

وليس مستغرباً أن ينصف العشرات من أعلام الثقافة الغربية الدين الإسلامى بعد أن تعرفوا على مبادئه القويمة. ولعل فى وثائق وشهادات الإنصاف الغربى لعظمة الإسلام الرد العلمى والعملى، والموضوعى على حملات تشويه صورة الإسلام فى الغرب. ولعلى بذلك أكون قد ساهمت فى إبراز حقائق الإسلام أمام القارئ وخير شاهد على ذلك ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا﴾ والله يهدى من يشاء وهو على كل شىء قدير.

الحسينى الحسينى معدّى

المصادر والمراجع

١ ـ لواء أحمد عبد الوهاب: الإسلام فى الفكر الغربى، مكتبة التراث الإسلامى، القاهرة ١٩٩٣.

٢ ـ نجيب العقيقى: المستشرقون، دار المعارف، القاهرة.

٣ ـ محمود حمدى زقزوق: الإسلام فى تصورات الغرب، مكتبة وهبة، القاهرة.

٤ ـ مارسيل بوازار: إنسانية الإسلام، ترجمة: عفيف دمشقية، دار الآداب، بيروت.

٥ ـ رجب البنا: المنصفون للإسلام فى الغرب، دار المعارف القاهرة، ٢٠٠٥.

٦ ـ رجب البنا: الغرب والإسلام، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٨.

٧ ـ رجب البنا: الأمية الدينية والحرب ضد الإسلام، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٥.

٨ ـ أحمد حامد: الإسلام ورسوله فى فكر هؤلاء، دار الشعب، القاهرة، ١٩٩١.

٩ ـ أحمد حامد: لماذا أسلم هؤلاء، دار الشعب، القاهرة، ١٩٧٦.

١٠ ـ محمد عطية الإبراشى: عظمة الرسول ﷺ، دار القلم، القاهرة، ١٩٦٦.

١١ ـ عبد الخالق سيد أبو رابية: فى جولة مع المستشرقين، دراسات فى الإسلام، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، العدد: ١٧٩، ١٩٧٦.

١٢ ـ عماد الدين خليل: المرأة والأسرة المسلمة من منظور غربى، دار الفرقان، الأردن، ١٩٩٧.

١٣ ـ عماد الدين خليل: قالوا عن الإسلام، موقع صيد الفوائد عبر شبكة الإنترنت.

١٤ ـ موريس بوكاى: القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم.

١٥ ـ توماس أرنولد: الدعوة إلى الإسلام.

١٦ ـ جوستاف لوبون: حضارة العرب.

١٧ ـ زيجريد هونكه: شمس العرب تسطع على الغرب.

١٨ ـ مايكل هارت: المائة الأوائل.

١٩ ـ محمد أسد (ليوبولد فايس): الطريق إلى مكة.

٢٠ ـ لورافيشيا فاجليرى: دفاع عن الإسلام.

٢١ ـ هاملتون جب: الاتجاهات الحديثة فى الإسلام.

٢٢ ـ نظمى لوقا: محمد الرسالة والرسول.

٢٣ ـ مونتجمرى وات: تأثير الإسلام على أوروبا فى العصور الوسطى.

٢٤ ـ زكريا هاشم زكريا: آراء فلاسفة وعباقرة الغرب فى الإسلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة، ٢٠٠٠.

٢٥ ـ أنور الجندى: أضواء على الفكر العربى الإسلامى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٦.

٢٦ ـ محمد عمارة: الإسلام فى عيون غربية بين افتراء الجهلاء وإنصاف العلماء، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٥.

٢٧ ـ محمد محمد الدهان: نحو عقلية إسلامية واعية، العدد رقم (٥)، قوى الشر المتحالفة وموقفها من الإسلام والمسلمين، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة ـ مصر، ١٩٨٦.

٢٨ ـ هشام محمد طلبة: محمد ﷺ فى الترجوم والتلمود والتوراة، مكتبة الإيمان، القاهرة، ٢٠٠٣.

٢٩ ـ مجلة الأزهر، صفر ١٤٢٧ هـ ـ مارس ٢٠٠٦، الجزء الثانى، السنة التاسعة والسبعون.

٣٠ ـ مجلة منار الإسلام، تصدر فى دولة الإمارات العربية المتحدة، العدد ٣٧٣، السنة ٣٢، محرم ١٤٢٧ هـ ـ فبراير ٢٠٠٦.

٣١ ـ تراث الإسلام ـ القسم الأول، تصنيف: شاخت وبوزورث،

ترجمة: د. محمد زهير السمهورى، تعليق وتحقيق: د. شاكر مصطفى،

مراجعة: د. فؤاد زكريا، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، العدد رقم ٨، أغسطس ١٩٧٨.

٣٢ ـ تراث الإسلام ـ القسم الثانى، تصنيف شاخت وبوزورث، ترجمة د. حسين مؤنس وإحسان صدقى العمد، مراجعة: د. فؤاد زكريا، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، العدد رقم ١١، نوفمبر ١٩٧٨.

٣٣ ـ تراث الإسلام ـ القسم الثالث، تصنيف: شاخت وبوزورث، ترجمة: د. حسين مونث وإحسان صدقى العمد، مراجعة د: فؤاد زكريا، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، العدد رقم ١٢، نوفمبر ١٩٧٨.

٣٤ ـ مجلة الرابطة ـ شهرية علمية ثقافية تصدرها رابطة العالم الإسلامى، السنة (٤٢) العدد (٤٧٦) المحرم ١٤٢٦ هـ يناير ٢٠٠٦ م.

٣٥ ـ مجلة البيان ـ إسلامية شهرية جامعة تصدر عن المنتدى الإسلامى، السنة الحادية والعشرون، العدد (٢٢٢)، صفر ١٤٢٧ هـ، مارس ٢٠٠٦ م.

٣٦ ـ مجلة منار الإسلام، تصدر فى دولة الإمارات العربية المتحدة، العدد ٣٧٤، السنة ٣٢، صفر (١٤٢٧ هـ ـ مارس ٢٠٠٦).

٣٧ ـ جريدة أخبار الحوادث، تصدر عن دار أخبار اليوم، القاهرة، العدد ٧٢٦، السنة ١٣، ١ من صفر سنة ١٤٢٧ هـ ـ ٢ من مارس ٢٠٠٦.

ـ وكتب وبحوث ودراسات وإصدارات أخرى.

ـ مواقع عديدة على شبكة الإنترنت العالمية.

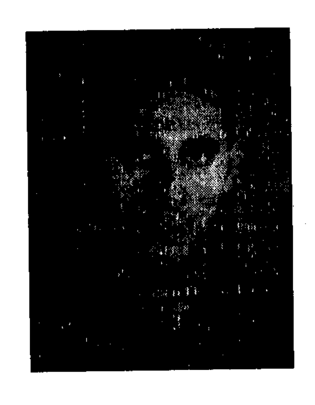
فهرس المحتويات

الفصل الثالث

الفصل الرابع

الفصل الخامس

السيرة الذاتية



- الاسم: الحسينى الحسينى معدِّي

- تاريخ الميلاد: ٢٦/١٠/١٩٦٨

المؤهلات العلمية

- ليسانس آداب وتربية تخصص «لغة عربية» عام ١٩٩١

- دبلوم خاص فى التربية وعلم النفس عام ١٩٩٥

- ماجستير فى التربية «تخصص أصول تربية» عام ٢٠٠٢م. فى موضوع: التربية الجنسية بالمرحلة الثانوية فى مصر ـ الواقع والممكن.

- يعد رسالة الدكتوراه فى قسم «التربية المقارنة»

المؤلفات العلمية

١ ـ نماذج حيه للمهتدين الى الحق ٤ أجزاء دار الكتاب العربى. دمشق ـ القاهرة عام ٢٠٠٦.

٢ ـ الأجوبة الجلية فى الردود للأسئلة المسيحية (مسيحى يسأل ومسلم يجيب فى أربعة أجزاء) دار الكتاب العربي دمشق ـ القاهرة عام ٢٠٠٦.

٣ ـ الرسول ﷺ فى عيون غربية منصفه دار الكتاب العربي دمشق ـ القاهرة عام ٢٠٠٦.

٤ - حروب الغرب المقدسة على الإسلام وثائق المؤامرة والإدانة دار الكتاب العربي دمشق - القاهرة عام ٢٠٠٦.

٥ - التلمود أسرار وحقائق.. أخطر كتاب ضد الانسانية والاديان السماويه دار الكتاب العربي دمشق - القاهرة عام ٢٠٠٦.

